جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

كليـــــة الدراســـات العليـــا.

قسم اللغة العربية وآدابها.

نحو القرآن الكريم، دراسة لغوية دلالية في ضوء اللسانيات السياقية المعاصرة

Holy Qurans' syntax contemporary linguistic reaning study.

إعداد الطالبة:

آمال عبد الملك فراش.

إشراف الأستاذ الدكتور:

عـودة خليل أبو عودة.

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في تخصص النحو/ قسم الدراسات اللغوية.

٤/آب/ ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

الإهداء

* إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.... إلى نبي الرحمة ونور العالمين رسول الله ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ.

* إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب ..... إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من به أكبر وعليه أعتمد (والدي الغالي).

* إلى من حاكت لي السعادة بخيوط من حنان ..... إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وثقتي..... إلى بلسم الجراح وشعلة الأمل (أمي الغالية).

* إلى من بوجوده اكتسبت قوةً وحباً لا حدود لهما .... إلى سندي ورفيق دربي (زوجي العزيز).

* إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة .... إلى رياحين حياتي (أخوتي).

* إلى من أشعلت حياتي نوراً وبهجةً وسروراً بقدومها ابنتي (سيلينا الغالية).

* إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ....إلى من تحليّن بالإخاء وتميزنّ بالوفاء .... إلى من سعدت برفقتهن في دروب الحياة بحلوها ومرها (صديقاتي) وأخصّ بالذكر أماني عبد الحكيم غنام.

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة :

(نحو القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية في ضوء اللسانيات السياقية المعاصرة)

و أجيزت بتاريخ: ٢٠١٤/٨/٤م.

أعضاء لجنة المناقشة : **التوقيع**

د. عودة خليل أبو عودة . **مشرفًا** ....

أستاذ النحو وعلم اللغة.

العلوم الإسلامية العالمية.

د. محمود عبيدات

أستاذ النحو وعلم اللغة. **عضوًا** ....

العلوم الإسلامية العالمية

أ.د. يحيى عبابنة

أستاذ النحو وعلم اللغة

جامعة مؤتة **عضوًا** ....

أ.د. عبد المنعم صالح

أستاذ النحو وعلم اللغة **عضوًا** ....

العلوم الإسلامية العالمية

فهرس المحتويات

ملخص الرسالة باللغة العربية

تناولت هذه الدراسة موضوع (**نحو القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية في ضوء اللسانيات السياقية المعاصرة**) وقد جاءت هذه الرسالة في مقدمةٍ تناولت أهمية هذا الموضوع، وأهمية القرآن الكريم في حياة البشرية كلها، ودورهُ في النهوض بالعالم بأسره، وعرض لبعض الدراسات السابقة في هذا المجال ، وأهم ما تميزت به هذه الدراسة عن سابقاتها .

وكان الفصل الأول دراسة نظرية لمفهوم نحو الجملة، ونحو النص ونحو القرآن الكريم، جاءت في مبحثين : أولهما مفهوم نحو الجملة ونحو النص ، والثاني في توضيح مفهوم نحو القرآن الكريم . و كان الفصل الثاني عن وحدة بناء النص القرآني تركيباً ودلالةً ، وقد جاء متضمناً لثلاثة مباحث الأول عن السياق وأثره في بيان الدلالة القرآنية ،والمقصود بالسياق القرآني وأنواعه ، الثاني عن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأقسامه وأنواعه وأهميته ، والثالث بحثت فيه قضية الترادف في القرآن الكريم ونفيه عنه من خلال الأدلة على الفروق اللغوية الدقيقة بين معاني الألفاظ المتقاربة . أما الفصل الثالث فجاء متضمناً لشواهد تطبيقية من القرآن الكريم في ثلاثة مباحث الأول منه كان عرضاً لقصة سيدنا موسى في مشاهد حياته المتنوعة ، والثاني كان في بعض المسائل المشكلة في إعراب آيات القرآن، وأثر ذلك في تفسيرها ،أما الثالث فقد تضمن شواهد قرآنية في التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر .وقد خلصت الرسالة إلى مجموعة من النتائج منها :إن مناقشات العلماء الطويلة في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية حول ظواهر التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر لهو اعتراف يقيني بأن هذا القرآن معجز في كل آياته وسوره محكمٌ لاترادف فيه ، ولايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، تنزيل من حكيم حميد

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

This study talked about (The Holly Quran for linguistic, semantic study under contextual linguistics). This study came up with introduction about the importance of the subject, the importance of The Holly Quran in the whole human life, and its roll of being a motivator of the whole world, and it shows some of the previous studies in same field, and how it distinguished than the previous studies.

The first chapter was about theoretical study of the identification of the word, throw out the text and The Quran, it comes with two subjects: the first one was about the identification throughout the sentence and the text, the second one about clearing the identification throughout the holly Quran, and it was about the text unit morphologically and semantically. It comes included three studies: the first one about context and it its impact on the Quranic semantics, the Quranic context and its variety, the second one about verbal similarity in the holly Quran and its sections, varieties and significant. The third one studied the synonymy in Quran and negate that on it through the evidence about the minute lingual differences between

the meaning of the similar words. The third chapter includes empirical evidences out of the holly Quran in three sections, the first one displaying the Story of Moses in his deferent ways of life, the second one about issues about the problem of inflect the Quran verses and its influence on interpretation of Quran. The third one comes up with Quran evidences in submissions and delays, skipping and putting, the study concluded with the group of results: Scientists long discussions about in interpreting books and Quranic study books about submissions, delays, skipping and putting, it is certainty confession that the holly Quran is prodigious in its verses and in its Suras, no synonymy on it, and its came from The great God.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ على أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا)

صدق الله العظيم

الإسراء : ٨٨

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فمن فضل الله على نفسي، أن أعانني على تسجيل هذه الأطروحة (نحو القرآن الكريم، دراسة لغوية دلالية في ضوء اللسانيات السياقية المعاصرة) وأوجد لدي رغبة ملحة في أن أحظى بشرف خدمة كتاب الله العزيز، وترسيخاً لمفهوم نحو القرآن الكريم، لا سيما أنه المعين الذي لا ينضب في حياة البشرية، فيما احتواه من إعجاز في لغته وأسلوبه وطرائق توجيهاته وارشاداته في العبادات والأخلاق وإصلاح للنفوس، اضافة إلى توجيهاته في نواحي الحياة الخاصة والعامة، وفي كل ما يهم الفرد والمجتمع، لذا فإن الاهتمام بتعلم القرآن ودراسته وحفظه يُعّد الأساس الذي تستقيم به حياتنا حاضراً ومستقبلاً، كيف ولا فيه قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"(١).

فقد أجمع العلماء على ضرورة فهم كتاب الله وتدبر معانيه ووجوه إعجازه، وهذا لا يتأتى إلا بفهم علوم العربية قبل كل شيئ ذلك أنها اللغة التي نزل بها كتابه الكريم، والمعين على فهمه والغوص في مكنوناته، فالناظر في كتاب الله تعالى، توجب عليه النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها؛ لمجيئه بأساليب متنوعة بما فيها المحكم والمتشابه ،والحقيقة والمجاز، والأمر والنهي والعموم والخصوص، والمفصل والمجمل، فإن لم يكن القارئ على دراية كافية بما يقرأ متمعناً بالآية وما يحيط بها، وما تقصده وترنو إليه ، فإنه يعجز عن فهم المراد منها.

---

(١) فيض القدير، المناوي، الجزء الثاني، صفحة٣٩٢.

وقد كان هذا الكتاب معيناً لكل من طرق باباً من أبواب علوم العربية، نحوها، وبلاغتها وعلوم الشريعة بمفسريها، وعلماء أصولها، كل منهم نال مبتغاه ووصل إلى مقصده وبهذا يقول عنه نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا على مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبلُ الله والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاه لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم، ولا تنقي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد" (١).

وقد أحدث القرآن الكريم تحولاً عظيماً في حياة البشرية، فنقل الأمة العربية من الحضيض إلى القمة، ومن التفرق إلى الوحدة، ومن المهانة إلى العزة، فيكون هو أساس المنهج المتكامل الذي قُدم للبشرية يقول الله تعالى "**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**"(٢).

ويقول تعالى: "**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**"(٣).

ولطالما استحوذ موضوع نحو القرآن الكريم اهتمامي خلال دراستي لهذه المرحلة في احدى مساقاتها، واكتمل هذا في خاطري مع اقتراح مشرفي الفاضل الدكتور عودة أبو عودة عليّ بالكتابة في هذا الموضوع، لأبدأ مشواري هذا الذي استغرق قرابة العامين.

---

(١) معالم في الطريق، السيد قطب، الطبعة السادسة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م، صفحة٥١.
(٢) المائدة: ١٥-١٦.
(٣) الشورى: ٥٢-٥٣.

وتكمن أهمية هذه الدراسة ومشكلتها في أن تدبر آيات القرآن الكريم في إطار ما وصفه علماء النحو واللغة من قواعد وأصول تجعل المرء يتساءل عن الحكمة من ورود آيات متشابهات بنفس اللفظ في سورٍ متفرقة، أو بحذف بعض الألفاظ أو الحروف في آيات وذكرها في آيات أخرى، وبتقديم لفظٍ وتأخيره في آيات الكتاب ، وأثر ذلك في بناء النص القرآني، ودلالته على المتلقي وعلى فضاء النص، كما وتهدف هذه الدراسة الدراسة إلى معالجة علم نحو النص في القرآن الكريم، من حيث تقديم الآيات الكريمة التي تدل على تماسك النص القرآني كلّه، وأنّ دلالته متكاملة من خلال السياق القرآني المتكامل ، هذا العلم (نحو النص) الذي نشأ في أوروباو أمريكا في منتصف القرن العشرين، فارضاً نفسه حين نشر هاريس دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تأريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان (تحليل الخطاب) ، مما أدى إل الانشغال به بديلاً عن نحو الجملة الذي كان أساساً في الفكر العربي والغربي ، إلا أن الناظر بالقرآن الكريم والدارس لبيانه والملم بأساليبه يجد أن القرآن الكريم نصاً واحداً مترابطاً وفق كل العلائق التي سموها بمستويات التحليل النصي، وبحفظ السبق لهم في دلالة المصطلح.

ووجدت دراسات كثيرة بحثت في هذا العلم وتطبيقه على القرآن الكريم تحملعنوان (نحو ومنها:

١-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي للدكتور أحمد عفيفي.

تناولت هذه الدراسة تعريفاً لمصطلحات (الجملة والنص ونحو النص) وتحدث عن الحاجة إلى علم نحو النص وصولاً إلى السياق وعلاقته بنحو النص ، ثم ذكر ملامح الاتفاق والاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص ، وأنهى هذه الدراسة بحديثه عن الترابط النصي.

٢–أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالاً للدكتور محمود سليمان الهواوشة.

تناولت هذه الدراسة أثر عناصر الاتساق اللفظية في تماسك النص التي أجراها على سورة يوسف ، وقد قام المؤلف ببحث موضوع حد الجملة والنص وأثر الدلالة في ذلك ، والعلاقة الناشئة بين اللفظ والمعنى في بناء النص ، واستعرض لمفهوم الاتساق وعناصره .مؤكداً على أن الإحالة هي من أهم عناصر الإتساق في النص ، ثم عمد إلى تحليل سورة يوسف وفقاً لهذه العناصر مبيناً أن سورة يوسف جزء من القرآن ارتبط أولها بعموم القرآن الكريم وجاءت الإحالات في المقطع الأول تمهيداً للتماسك اللفظي والدلالي وتماسك آخرها بأولها . ومثلها **نحو النص دراسة تطبيقية ، سورة البقرة أنموذجاً ، للدكتور عمر محمد عوض أبو خرمة . ونحو النص نظرية تطبيقية ،سورة آل عمران أنموذجاً ، رافد حميد سويدان**

٣–نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب للدكتور مصطفى النحاس.

وضحت هذه الدراسة مفهوم نحو الجملة قديماً وحديثاً ، والمصطلحات المرتبطة به .بدأها بمفهوم نحو النص موضحاً الفرق بينه وبين نحو الجملة ، ثم عرض لجهود القدماء في الكشف عن وسائل الترابط النحوي في النصوص، بما فيها الإحالة والعطف وغيرها .

٤–الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، للدكتور أشرف عبد البديع عبد الكريم .

تحدثت هذه الدراسة عن اتجاهات البحث في التراث مبيناً ما بها من قضايا متعلقة بانص ، وعرضاً لمعايير النص عن الباحثين في الإعجاز القرآني ، ثم تكلم عن المفاهيم والتصورات

المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بنحو النص ، وصولاً إلى بعض المعايير النصية عند الباحثين في الإعجاز .

٥-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية النصية "تأسيس نحو النص " للدكتور محمد الشاويش.

عرض في هذه الدراسة للنص ومنزلته وبعض النظريات اللسانية الحديثة، وأثر النحو العربي والبنى العاملية والمعنوية في تحليل نص الخطاب ، ثم عرض للأبنية الخطابية الكاشفة عن بنية الخطاب، وصولاً إلى الروابط الإحالية والأبنية الدلالية المؤسسة للعهد وتفسير الإبهام وتحقيقها للدور الرابطي .

أردت من خلال ما سبق ،توضيح أن دراستي تختلف عن تلك الدراسات ، وفي الوقت نفسه هي مكملة لها متمنيةً أن تكون خطوة أساسيةً في بناء نظرية نحو النص القرآني ومنطلقاً للدراسات اللاحقة لها حيث جاءت دراستي في مستويين :

الأول : كان جانباً نظرياً لنحو النص ومفاهيمه ومستوياتة والأسس المتعلقة به .

الآخر : كان جانباً تطبيقياً على سور القرآن المختلفة حاولت من خلاله التأكيد على مدى الترابط الحاصل بين الآيات والسور وإن تعددت أجزاء القرآن وأحزابه وسوره.

كما أنني ومن خلال البحث المطول في هذه الدراسات المتصلة بعلم (نحو النص) لم أجد دراسة تحمل عنوان (نحو القرآن الكريم) سوى **دراسة الدكتور أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية** . التي اختلفت اختلافاً تاماً عن مقصود دراستي هذه ، حيث جاءت هذه الدر اسة توضح جهود النحاة في كيفية استخلاص القاعدة النحوية من القرآن الكريم وهذا مخالف تماماً عن المقصود الذي أردته في أطروحتي.

سرت في هذه الدراسة على منهج الوصف والتحليل والاستنتاج، من خلال تتبع آيات القرآن الكريم التي تتضمن لطائف دلالية، خلال السياق القرآني في مختلف صور التراكيب اللغوية وقد اتسمت هذه الدراسة بطابع نظري متبوع بطابع تطبيقي، أملاً مني بالإتيان بشيئ جديد في عالم المعرفة يحقق الإفادة لمن اطّلع وقرأ.

وقد جاءت هذه الدراسة مكونة من ثلاثة فصول على النحو الآتي:

- الفصل الأول تضمن مبحثين نظريين أولهما عن معنى نحو الجملة ونحو النص، وقمت من خلال هذا المبحث بتعريف كل منها موضحة مقصودها مشيرة إلى مفهوم الجملة، ثم بيان معنى نحو النص، من خلال توضيح مفهوم النص نفسه والمعايير أو الخصائص التي يقوم عليها النص وصولاً إلى الترابط النصي والنص المترابط والفرق بينهما، وبيان أشكال ومستويات التحليل النصي.

- المبحث الثاني: فقد عرضت فيه لمعنى نحو القرآن مبينة كيفية التماسك الحاصل بين آيات القرآن الكريم، والأدوات النصية التي ساهمت في تحقيق هذا التماسك، والتماسك الحاصل بين سور القرآن وعلاقاته.

- الفصل الثاني جاء مكوناً من ثلاثة مباحث:

الأول: عرضت فيه لمفهوم السياق وأثره في بيان الدلالة القرآنية والمقصود بالسياق القرآني وأنواعه.

الثاني: كان حديثاً عن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وبيان المقصود منه وأقسامه وأنواعه وأهميته.

الثالث: كان في ظاهرة الترادف في القرآن الكريم عرضت فيه لأراء العلماء المثبتين للترادف والمنكرين له، موضحة عدم وقوعه في القرآن من خلال شواهدٍ قرآنية على الفروق اللغوية لمعاني الألفاظ المتقاربة.

- أما الفصل الثالث وهو الفصل التطبيقي في أطروحتي فقد جاء متضمناً أيضاً لثلاثة مباحث

-الأول: دراسة بيانية لقصة موسى عليه السلام في مراحل حياته المتنوعة وهو طفل رضيع، وقصته في أهل مدين، وعودته إلى مصر مع أهله وتكليفه بالنبوه.

-الثاني: مسائل إعرابية في القرآن وأثرها في التفسير، وقد أشرت فيه إلى مفهوم الإعراب، وأهميته في تفسير القرآن وفهمه وأثره في اختلاف التفسير في آيات الكتاب العزيز.

-الثالث: لمسات بيانية من القرآن ذكرت فيه شواهد بالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير.

وخُتِمت هذه الأطروحة بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات التي آمل بها.

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي وأستاذي الفاضل الدكتور عودة أبو عودة الذي كان له الفضل الأكبر من بعد الله في توجيهي صوب هذا الموضوع وتقديمه للأراء والنصائح السديدة، واستدراكه للأخطاء الواقعة في دراستي التي كان لها الأثر الأكبر في اكتمال هذه الدراسة، سائلةً الله أن يجزيه كل خير عني، كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة بما فيهم الدكتور يحيى عبابنة ،الذي تشرفت بالتعلم على يده في

أثناء فصول الماجستير، والدكتور الفاضل محمود عبيدات الذي تمنيت طوال مراحل دراستي أن أنهل من بحر علمه ، والدكتور عبد المنعم صالح ، الذي سأحظى بشرف التعرف عليه ،على قبولهم مناقشة هذا العمل ،وعلى الجهد الذي سَيُبذل من قبلهم في تقديم النصح والإرشاد والتقويم، راجيةً من الله أن ينفعني بكل ما يقال من قبلكم، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر لكل من كان عوناً وسنداً لي في اتمام هذا العمل.

"اسأل الله أن تكون هذه الدراسة اضافة في عالم المعرفة لكل من أطلّع عليها أو قرأ منها، وأن تكون اساساً ينتفع به، وما كان من إحسان بها فمن الله وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول :

مفهوم نحو الجملة ونحو النص ونحو القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى نحو الجملة ونحو النص.

المبحث الثاني: معنى نحو القرآن الكريم.

المبحث الأول : نحو الجملة ونحو النص

قبل البدء في مفهوم نحو الجملة ومتعلقاتها كان لا بد أن نعرض إلى الجملة العربية من حيث مفهومها، وأقسامها؛ ذلك أن هذه الجملة، والبناء الذي تتشكل فيه ما هو إلا التنفيذ الواقعي للبنية الأساسية التي يقوم عليها النص.

ومما لا شَكَ فيه أن فهم أيّ نص فهماً قائماً على تفسيره، يستدعي في مدارجه الأولى فهم البناء اللغوي له وبناء الجمل المنطوية في ثنايا سطوره ،حتى نتمكن من تفسير هذا البناء النصي وتحليله تحليلاً لغوياً يكشف لنا عن الأجزاء المكونة لجمله موضحاً عناصر تركيبها، وكيفية ترابط هذه العناصر بعضها مع بعض بطريقة تؤدي إلى حدوث تآلف بين الجملة وجارتها؛ ذلك أن البحث أو التحليل اللغوي ليس له حد يقف عنده وينتهي إليه. فاللغة بجوانبها المتعددة أشبه بطبقات الأرض، كلما كَشَفتَ عن طبقة وحللت عناصرها المختلفة ظهرت طبقة أخرى تليها ،مكونة من عناصر تحتاج إلى البحث والتحليل، وهذه العناصر جميعها يتداخل بعضها في بعض ويتفاعل معه[(١)] وصولاً إلى بر الأمان الذي نجد فيه المعنى المفيد والفهم الدقيق لفحوى النص؛ لذلك كان حريّاً بي أن ألقي بعض الومضات على ما قيل في الجملة العربية، من حيث مفهومها والأركان التي تقوم عليها وأقسامها.

---

(١) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م. صفحة١٨.

مفهوم الجملة بين القدماء والمحدثين

قبل مراجعة مفهوم الجملة عند النحاة السابقين ، يستحسن أن أبحث في المعنى المعجمي لها، وفيه يقول ابن منظور:

الجُمُل: الجماعة من الناس. والجُمْلة واحدة الجُمَل. والجُملة: جماعة الشيء.

وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقه؛ وأجمل له الحساب كذلك. والجُمْلة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال أجْمَلت له الحساب والكلام[١].

من الثابت أن مصطلح الجملة بلفظه هذا لم يكن موجوداً في كتاب سيبويه (ت ١٨٠)؛ ذلك أنه لم يستخدم هذا المصطلح على الوجه الذي تناوله من جاء بعده من العلماء، فلم يَرد مصطلح الجملة في الكتاب إلا مرة واحدة جاءت فيها بصيغة الجمع، وذلك في قوله "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها. وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا، لأن هذا موضع جُمَلٍ"[٢].

وقارئ كتاب سيبويه يلحظ أنه يستخدم الكلام، حيث يتوقع القارئ أنه يستخدم الجملة في مواضع كثيرة من الكتاب[٣]، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن كتاب سيبويه يعدّ إكتمالاً ناضجاً لنحو اللغة العربية، والمتكأ الأساس للنحاة الذين جاءوا بعده ،نستطيع القول إن مفهوم الجملة عند قدامى النحويين كان مرتبطاً أشد الارتباط بمفهوم الكلام، فالكلام يؤدي معنى الجملة[٤]. أيّ إن مفهوم

(١) لسان العرب، ابن منظور ،الجزء الثالث والرابع، الطبعة السابعة، دار صادر، بيروت ، ٢٠١١. مادة جمل.

(٢) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الجزء الأول، عالم الكتب– بيروت. صفحة ٣٢.

(٣) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف ،صفحة ١٨.

(٤) انظر الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً، فتحي عبدالفتاح الدجي، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٣٩٨–١٩٧٨. صفحة ١٩–٢١.

الجملة عند بعض قدامى النحويين، كان متلبساً بمفهوم الكلام(١) ولم يكن هناك فصل بينهما. الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن مصطلح الجملة مستحدث بعد الخليل وسيبويه ،ولعل أقدم من استعمل مصطلح الجملة هو الفراء (ت ٢٠٧) إذ يقول "أولم يبيّن لك من يعمل خيراً يجز به" فجملة الكلام فيها معنى رفع. ومثله أن تقول قد تبين لي أقام عبدالله أم زيد، في الاستفهام معنى رفع. وكذلك قوله (سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ) (الأعراف: ١٩٣) فيه شيء يرفع (سواء عليكم)، لا يظهر مع الاستفهام. ولو قلت سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين الرفع الذي في الجملة(٢).

وكذلك ورد ذكر الجمل عند صاحب المقتضب (ت ٢٨٥) حيث قال:

وإنما كان الفاعل رفعاً؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب(٣)" من خلال قول المبرد نكشف عن غاية الجملة في تحقيق الفائدة للمخاطب ،فلا بد أن تؤدي الجملة معنى صحيحاً بعيداً عن التناقض والإخلال في تحقيق الفهم لدى المتلقي، وإن لم تحدث ذلك كان عبثاً لا فائدة منها، وفي هذا يقول سيبويه"ألا ترى أنك لو قلت (إن يضرب يأتينا) وأشباه هذا لم يكن كلاماً" وقال "لأنك لو قلت (ما زيداً عاقلاً أبوه) نصبت وكان كلاماً، ولو قلت (ما زيد عاقلاً عمرو) لم يكن كلاماً لأنه ليس من سببية"(٤). فلا بد إذن أن تؤدي الجملة معنى محققاً.

---

(١) يرى الدكتور عبدالرحمن أيوب في كتابه دراسات نقدية في النحو العربي أن النحاة لم يقصدوا بالكلام النماذج التركيبية للجمل بل الأمثلة الواقعية لها فهي التي تدل على معانٍ تفيد فائدة تامة فـ"اسم مسند إليه + اسم مسند لا يفيد فائدة لغوية كما تفيد عبارة محمد قائم.

(٢) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ١٩٥٥، الطبعة الثانية ١٩٨٠، عالم الكتب، بيروت ،صفحة ١٩٥.

(٣) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٩٩، صفحة ١٤٦ باب الفاعل.

(٤) الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم، صفحة ٧.

ومع شيوع مصطلح الجملة عند النحاة ،إلا أنه لم يتغلب على مصطلح الكلام الذي أورده سيبويه ،ودليلنا في ذلك أن مصطلح الكلام مستخدم حتى عصرنا الحاضر، وهذا ما نجده عند الأستاذ عباس حسن في كتابه النحو الوافي فقد ذكر أن الكلام أو الجملة هو" ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل[١]". الأمر الذي سوغ شيوع المصطلحين عند النحاة – الكلام والجملة– بعض هؤلاءالنحاة يسوي بينهما ويرى أنهما مترادفان بحيث يؤدي كل مصطلح منهما ما يؤديه الآخر. وبعضهم يقدم أدلة حاسمة للفرق بينهما.

ومن أمثلة النحاة الذين قالوا بترادف المصطلحين:

ابن جني (ت٣٩٢) الذي عرف الكلام بأنه "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ،وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه ،ومه ورويد... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت من ثمره معناه فهو كلام[٢].

وتبعه في ذلك من النحاة الزمخشري[٣] (ت ٥٣٨)، وأبو البقاء العكبرى[٤] (ت ٦١٦).

---

(١) النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ص١٥.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. الصفحة ١٨.

وانظر الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، معارف الإسكندرية ١٩٨٤. صفحة ٢٧-٣٣. وانظر الجملة بين النحو والمعاني، محمد طاهر الحمصي، رسالة دكتوراه جامعة دمشق، صفحة ٢-٣. وانظر نظام الجملة في شعر المعلقات. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ١٩٩١، صفحة ٢٠-٢٢.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، صفحة ٣٣.

(٤) مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء العكبري، تحقيق الدكتور عبدالفتاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١١٤٦، صفحة ٤٢.

ونجد من النحاة من قدم فروقاً بين الكلام والجملة، وهذا ما نجده عند ابن هشام (ت ٧٦١) إذ يقول "إن الكلام هو القول المفيد بالقصد ؛أيّ الكلام الدال على معنى يحسن السكوت عليه .وقال إنّ الجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ والخبر كزيد قائم ،وما كان بمنزلة أحدهما نحو ضُرب اللص... وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فإنه بعد أن فرغ في حد الكلام قال: ويسمى جملة والصواب أنخا أعم منه ، إذ شرطه الإفادة ."[١]. وتبعه في ذلك الرضي[٢] (ت٧١٥) وغيرهم.

هذا حال الجملة عند قدامى النحو، أما عند المحدثين فنجد أن الدكتور مهدي المخزومي وضع للجملة تعريفاً بناء على الوظيفة التي تؤديها، فقال فيها "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أيّ لغة من اللغات ،وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[٣].

ويعرفها الدكتور إبراهيم أنيس بقوله "إن الجملة في أقصر صورها ،هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه ،سواء ركب هذا القَدْر من كلمة واحدة أو أكثر[٤].

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الثاني، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، صفحة ٤٣١.

(٢) الوافية في شرح الكافية، ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف العلوي الأستزابادي، تحقيق عبدالحفيظ شلبي، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣. صفحة ٢-٤.

(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، صيدا- بيروت ، ١٩٦٤، صفحة ٣١.

(٤) من أسرار اللغة. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، مصر، ١٩٦٦، صفحة ٢٦٠-٢٦١.

أقسام الجملة:

ما عليه أغلب نحاة العربية أن الجملة تنقسم إلى قسمين رئيسين: الجملة الفعلية التي صدرها فعل نحو قام زيد، والآخر الجملة الاسمية التي صدرها[١] اسم سواء أسند إليه اسم آخر، أم صفة، أم فعل نحو محمدٌ حاضر[٢].

والحقيقة الفارقة بين القسمين السابقين لا يقع على الشكل فحسب، من حيث إن الجملة الاسمية يتصدرها الاسم، والفعلية الفعل، بل بحسب الأصل الذي كانت عليه – أي ما هو صدر في الأصل– فالجملة من نحو "كيف جاء زيد" ومن نحو (ويريكم آياته فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ)[٣] ومن نحو (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[٤] (خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ من الأجداث كأنهم جراد منتشر)[٥]، فعلية؛ لأن هذه الأسماء في نية التأخير[٦]– أي يخرجون خشعاً أبصارهم على سبيل التأويل. ولم يحسم النحاة أيّ هذه الجمل الأصل أو الفرع، ولكن يستفاد من البحوث التي قدموها في الجمل، أن الجملة الفعلية أكثر شيوعاً في الكلام من الجملة الاسمية بعضاً منهم عدّ الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة.

وأضاف ابن هشام [ت ٧٦١] إلى النوعين السابقين ما يسمى بالجملة الظرفية، وهي المصدرة بظرف، أو مجرور نحو: أعندك زيد، و أفي الدار زيد، إذا قدرت زيداً فاعلاً بالظرف والجار والمجرور ، لا بالاستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما ، ومثل الزمخشري لذلك

---

(١) المراد بصدر الجملة المسند والمسند إليه فلا غيره بما يقدم عليها من الحروف نحو أقائم الزيدان فالجملة فعلية.
(٢) انظر الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثانية دار الفكر، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م، صفحة ١٥٧–١٥٨. وانظر النظام النحوي في اللغة العربية، ياسر الملاح، الطبعة الثانية، دار البيرق العربي، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م. صفحة ٦٠–٦١.
(٣) غافر: ٨١.
(٤) البقرة: ٨٧.
(٥) القمر: ٧.
(٦) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، الجزء الثاني، صفحة ٤٣٤.

بفي الدار من قولك " زيد في الدار" وهو مبني على أن الاستقرار المقدر فعل لا اسم. وعلى أنه حُذف وحده وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن أعمل فيه(١).

ولعل الذي دفع ابن هشام للقول في الجملة الظرفية ،أن الكوفيين يذهبون إلى أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه ويسمون الظرف المحل، ومنهم من يسميه الصفة، وذلك نحو قولك أمامك زيد، وفي الدار عمرو"(٢).

ونسب الزمخشري إلى أبي علي الفارسي، جعل الجمل على أربعة أقسام وهي الجملة الفعلية، والاسمية، والظرفية، والشرطية(٣). إلا أن ابن هشام يرى أن الجملة الشرطية في حقيقتها هي جملة فعلية(٤) ولعل السبب في ذلك أن النحاة عدّوا تقسيم الجمل على الواقع في الصدارة دون النظر إلى إلى ما تقدمها من حروف.

أما الدكتور مصطفى حميدة(٥) فيرى أن الجملة العربية لا تخرج في تقسيمها عن نوعين اثنين لا ثالث لهما، هما الجملة البسيطة وهي التي تتضمن علاقة إسناد واحدة سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أو أحدهما أو لم تشتمل. وقد تكون علاقة الإسناد في الجملة البسيطة علاقة ارتباط نحو زيد رجل كريم، وقد تلجأ العربية إلى الربط بينهما لأمن اللبس نحو زيد هو الكريم.

---

(١) مغني اللبيب، ج٢، ص٤٣٣.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، دار الفكر. ص٥١.

(٣) بناء الجملة الفعلية في ضوء علم اللغة المعاصر، عبدالرحيم رضوان، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك. ص٣٣.

(٤) مغني اللبيب، ج٢، ص٤٣٣.

(٥) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الطبعة الأولى، لبنان- بيروت، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م. صفحة ١٤٨-١٤٩.

والجملة المركبة وهي التي تتضمن علاقتي إسناد فأكثر سواء اشتملت على متعلقات بعناصر الإسناد أم لم تشتمل. وقد تكون العلاقة بين الإسنادين أو الإسنادات علاقة ارتباط نحو يُرَدِدُ زيدٌ دائماً كلمة الله أكبر، وقد تلجأ العربية إلى الربط بينهما لأمن اللبس ،نحو جاء زيدٌ والشمس طالعة.

أركان الجملة:

تقوم الجملة العربية على ثلاثة عناصر رئيسية هي المسند، والمسند إليه ،وعلاقة الإسناد، أما المسند والمسند إليه فهما مالا يغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم عنهما بداً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك عبدالله أخوك وهذا أخوك ومثل: يذهب عبدالله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدٌ من الآخر في الابتداء[١] وعليه فركنا الإسناد في الجملة الاسمية المبتدأ والخبر، وفي الجملة الفعلية الفعل والفاعل، إذا كان الفعل مبنياً للمعلوم، أما إن كان الفعل مبنياً للمجهول فركنا الإسناد الفعل ونائب الفاعل.

أما الركن الثالث وهو علاقة الإسناد، فهو عملية ذهنية، تعمل على ربط المسند بالمسند إليه[٢].

معنى نحو الجملة:

أسلفنا فيما سبق حديثاً عن الجملة، وخلصنا إلى أن الجملة عبارة عن فكرة تامة توصل لنا معنى محدداً. وفي هذا يقول الدكتور مصطفى حميدة: "الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى دلالياً واحداً، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط، والانفصال في السياق"[٣]. فنجده يتحدث

---

(١) الكتاب، ج١، صفحة ٢٣.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي ، صفحة ٣١.

(٣) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص١٤٨.

عن علاقات ارتباط وانفصال تحدث بين الجمل؛ ذلك أن الارتباط ينشأ بين المعنيين داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين إذا كانت العلاقة بينهما وثيقة تشبه علاقة الشيء بنفسه؛ فَتُغني تلك العلاقة عن الربط بأداة، وهذه العلاقة تصطنعها اللغة داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين لأمن لبس الارتباط، أو لأمن لبس الانفصال(١) فاللغة تلجأ إلى الربط حين ترى أن ثمة علاقة بين طرفين لكنها علاقة غير وثيقة(٢) وكل هذه العلاقات تتداخل وتتشابك ضمن سياق يجمع فيما بينها، فنحن أمام فضاء واسع تتشابك في داخله عدد من المعايير التي تبدأ بالمفردة التي تتآزر مع الأخرى لتشكيل جملة، قانونها نظرية العامل النحوي، الذي هو بمثابة نظام يحكم هذا التآزر الحاصل بين المفردات من أجل الوصول إلى الجملة، بحيث يجعلها قادرة على الارتباط بما يجاورها؛ فالكلمة أو المفردة هي لبنة الجملة؛ ذلك أن هذه المفردة ليست مجموعة من أحرف معينة بل هي بنية لها خصائصها الدلالية والمعجمية ،التي تمكنها من الارتباط مع ما قبلها ومابعدها، حالها في ذلك حال الجملة التي تمتلك نظاماً ومكونات تجعلها قادرة على الارتباط بالجمل المجاورة لها بحيث تمكنها من تشكيل بنية متكاملة ألا وهي البنية النصية.

فالنص مجموعة من الجمل التي تجمعها روابط دلالية، ولغوية، وسياقية، يقول **برينكس** "وتعد الجملة من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النص، الجملة إذن قطعة من نص توصف من خلال نقطة ،أو علامة استفهام ،أو علامة نداء، ثم يمكن بعد ذلك وصفها بأنها وحدة مستقلة نسبياً"(٣). ومما لا شك فيه أن الاتجاهات اللسانية النصية قامت على حدود الجملة ومكوناتها

---

(١) الانفصال هو انعدام العلاقة بين المعنيين، يستوي في ذلك انعدامها بين الجملة وما يجاورها من جمل وانعدامها بين المكون وما يجاوره من مكونات، وإذا كانت العلاقة منعدمة بين طرفين فلا حاجة إلى الربط بينهما.

(٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، صفحة ١٤٦، وانظر دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني، قرأ وعلق عليه محمود شاكر، مكتبة الخانجي– القاهرة، صفحة ٢٤٣ أورد حديثاً في سياق الفصل والوصل عن أنواع الجمل وعلاقتها مع بعض.

(٣) نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبدالراضي، مكتبة الثقافة الدينية، صفحة ٤٠.

،ومجموع القواعد التي تضبطها وفقاً لما ورد في تراثنا العربي وعليه قسمت الدراسات اللسانية الجملة النظرية إلى نوعين[١]:

١- جملة نظام: وهو شكل الجملة المجرد، الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

٢- جملة نصية: وهي الجملة المنجزة جداً في المقام. وفي هذا المقام توفر ملابسات ما لا يمكن حصرها، يقوم على الفهم، والإفهام، وتتعدد الجمل في المقام الواحد على لسان شخص واحد نظرياً إلى مالا نهاية له، وهذا التعدد يعود إلى التفرد من حيث البنية المولدة للجمل، أي على النحو – نحو الجملة– ولكنه يخرج عنها عندما يتعلق الأمر برصد عمل الدلالة في النصوص في وجوهه المختلفة: الانسجام في الموضوع، والزمان، والأشخاص، وما يتعلق بها من عمل المضمرات كالضمائر وأسماء الإشارة وغيرها من التفاعل القائم بين أطراف التواصل.

والواقع الذي يصدق على هذه الجمل هو دخول موجهات على جملة النظام ،لا يتعدى أثرها الدلالي حدود الجملة، ويكون ذلك باستخدام الأساليب المتنوعة للتراكيب اللغوية ،كالحذف، أو الإضمار، أو المؤكدات... وغيرها من موجهات الجملة غير النصية فينتج عنها جمل تختلف عن درجة المعنى المقصود منها ،عن الجملة المكونة من المسند والمسند إليه وفقاً لأغراض دلالية يسعى إليها منتج التركيب اللغوي على مستوى الجملة[٢].

(١) نسيج النص بحث ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣، صفحة ١٤.

(٢) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ،سورة يوسف مثالاً، محمود سلمان حسن الهواوشة، دار عماد الدين، عمان، ٢٠٠٩. صفحة ٢٢.

ولأن النص مكون من دلالة جامعة تقدمها لنا اللغة بقوالبها المختلفة ،فإنه لا يكتفي بالعناصر الأساسية – المسند والمسند إليه– لأداء المعنى، فلا بد من حدوث الارتباط بين علاقة المسند، والمسند إليه من جانب، والموجهات سابقة الذكر من الجانب الآخر، لأداء المعنى واكتماله.

أما الجملة النصية فهي لا تخرج عن إطار النص ولو كانت في أبسط مكوناتها، فهي إما جزء من نص موجود، أو جزء من نص منوي كائن في ذهن **المنتج** ذُكِرَ بعضه وأضمر الآخر وفقاً لمقتضيات الموقف. وقد ذكر جون لوينز أن الجمل القائمة بذاتها، وبقايا الجمل، وتعابير كلامية مثل ياللسماء، كلها تعتبر نصاً بالنسبة لسياق وحداتها الكلامية ، بصرف النظر عن استخدامها ضمن امتدادات أوسع من النص أولاً(١).

وعليه فإذا كان تحليل النص مبنياً على تحليل الجملة ؛لأنها وحدة أساسية من وحداته ،أو لبنة من بنائه؛ لذلك فإن نحو الجملة ينبغي أن يكون أساساً لنحو النص، وينبغي أن يُقَدِم نحو الجملة مجموعة من الإجراءات التي لا بد منها عند التحليل. وفي هذا يقول فان دايك: "ونظراً لأن أي تتابع يمكن أن ينشأ من جملة، فيجب أن يشتمل أي نحو لوصف التتابع – في حقيقة الأمر– على نحو لوصف الجملة، فالنظر العميق في بنية الجمل ضروري للغاية إذا ما وضع في الاعتبار أن العلاقات على نحو ما ترد في التتابعات لا تقوم في الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المنفردة، ويجب أن يُقَدِّم – انسجاماً مع أهداف النحو– وصف لتتابع الجمل يعد أساس المنطوق اللغوي"(٢).

---

(١)،أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ،سورة يوسف مثالاً، محمود سلمان حسن الهواوشة، صفحة ٢٤.

(٢) نحو النص بين الأصالة والحداثة، صفحة ٤٢.

أما من حيث الموضوع الذي يدرسه نحو الجملة، فإنه يدرس ما يعرف بالجملة[1] وقوفاً عند وصف الجمل وصفاً يسند إلى المكونات النحوية[2]، فنحو الجملة ما هو إلا صورة من صور التحليل النحوي، يقف في معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها دون أن يتجاوزها في القليل النادر، فإذا ما تعدى الأمر في تجاوز حدود الجملة إلى مجموعة تتابعات كبرى تتصل بكلية النص وبنائه العام عن طريق البحث في تلك الظواهر التي تتعلق ببنية النص الكلية فما ذلك إلا تجاوزاً إلى نحو النص. وهذا يقتضي أن التحليل المتبع في نحو الجملة يبدأ باختراع الجمل، وعزلها تقريباً عن سياقها في النص، فيصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لا نهائي لعدد من نماذج الجملة ،وما على النحو إلا الكشف عن هذه النماذج وتحديد قوانينها الحاكمة لمكوناتها التركيبية، ليصير الكلام جميعه قيد الضبط[3].

ويشير الدكتور تمام حسان، إلى مجموعة من المبادئ الحاكمة التي تخص نحو الجملة وهي[4]:

١- الاطراد: هو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى، وما خرج عنها عدّ شاذاً. ونحو النص ينأى عن الاطراد ؛لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليدل بها على لفتات ذهنية، أو ليشير لها انتباه المتلقي.

٢- المعيارية: فالقاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة أو الخطأ، وينبغي أن يراعى هذا الأساس عند النظر في أيّ قول؛ ولهذا لا يؤمن نحو الجملة بنص إلا إذا كان موافقاً

(١) نسيج النص، صفحة ١٥.

(٢) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، عمان، اربد، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، صفحة ٤٠.

(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١، صفحة ٦٥.

(٤) نفسه، صفحة ٧٣-٧٥.

ومتطابقاً مع القواعد التي سبق استنباطها ،أما نحو النص فهو بعيد عن المعيارية ؛لأنه لا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص.

٣- الإطلاق: ومعناه أن تطلق القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام في نحو الجملة. أما نحو النص فلا يطبق على كلام قبل صياغته ،أو في أثنائها؛ أيّ إن الحكم في نحو النص يكون بعد إنتاجه، وفي حالة التواصل الفعلي.

٤- الاقتصار على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها إلا عند ارادة معنى الإضراب، أو الاستدراك، أو غير ذلك من الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين مثل التعليل، أو الشرط ،أو ما شابه ذلك من الدلالات. أما نحو النص فالأصل أن يكون ميدانه النص كاملاً دون تجزئة، ومن هنا كانت أهم ملامحه هي دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملاً مع الاختلاف الشديد في كيفية تقسيمه.

نخلص مما سبق أن الجملة جزءً من أجزاء النص، فإذا كان نحو الجملة ممداً لنحو النص بمجموعة من الإجراءات والتحليل – تكون بمثابة الوسائل التي يتوصل بها إلى تحليل النص كله – فإن ذلك مبني على اعتبار الجملة من مكونات النص اللغوية والدلالية، ولذا تُحلل عناصر الجملة بالكشف عما بينها من علاقات لغوية ودلالية، وصولاً إلى تحليل النص كله ،لا بالنظر إلى كل جملة في حال استقلالها عن النص(١).

ذلك أن الجملة المتصفة بنظام اللغة النحوي ،هي ركيزة النص الأساسية ومنطلق التحليل فيه.

(١) يُنظر نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي ،صفحة ٤٤.

معنى نحو النص:

قبل المضي في حديثنا عن معنى نحو النص، وجب علينا معرفة أن هذا العلم لم يكن مركباً من كلمتين عبثاً هما نحو، ونص، بل إن هذا المصطلح مركب إضافي تكون من إضافة كلمة نص إلى كلمة نحو، فنشأ معناه من جمع معنى كل عنصر فيه إلى معنى الثاني لذا فإن فهم كل مفردة يؤدي بالضرورة إلى الوصول إلى مفهوم هذا العلم(١). وعليه فقد قدم لنا علماء العربية تعريفاً للنحو نذكر منها ما ذكره ابن جني (ت ٣٩٢) في قوله النحو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية ،والجمع، والتحقير... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها(٢).

ولعل علم النحو كان علماً ملاصقاً للنص وعلمه ؛لأنه هو السبيل للكشف عن خبايا المباني، وطريقة ارتباطها بالمعاني، والدلالات العقلية والنفسية، ولهذا فإن مهمة النحو أن يجلي عبقرية النظام اللغوي في النص وقدرته على التعبير الدقيق، من خلال وسائل التماسك النصي لفظاً ومعنى، التي تساعد على تلاحم النص وترابط أجزائه ليعطي معنى للمتلقي(٣)، أضف إلى ذلك أن النظام النحوي هو المسؤول عن بناء الجملة، بحيث تؤدي معنى واحداً؛ لذلك كان هو صاحب السلطان على سائر أنظمة اللغة، بل إن اللغة لم تُنشئ سائر الأنظمة إلا من أجله، فقد جندت النظامين الصوتي، والصرفي متعددة الاحتمالات في الاستعمال النحوي ثم استودعت المعجم تلك الصيغ لتكون رهن إشارة النظام النحوي حين يطلبها(٤).

وبذلك يكون النحو هو النظام الحاكم لزمام النص.

---

(١) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، الأردن – إربد، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣.
(٢) الخصائص، الجزء الأول، صفحة ٣٤.
(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي،صفحة ٩.
(٤) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، صفحة ١٣١.

أما النص فقد ورد معناه عند ابن منظور قائلاً[١].

النصُّ: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصه نصاً: رفعه. وكل ما أُبهرَ، فقد نُصَّ... يقال نص الحديث إلى فلان أيّ رفع.

أما اصطلاحاً فقد تبين أن الاتفاق على مفهوم محدد للنص أمر لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن أن تتطابق رؤى الباحثين في فهمهم له ،إذ إن كل اتجاه يفهمه وفقاً للمرجعية التي ينطلق منها والطريقة التي يتعامل بها معه، وبدا أن مسألة وجود تعريف جامع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي؛ وذلك لاختلاف المدارس اللغوية التي ينتمي إليها علماء اللغة واختلاف حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم[٢] وبناءً على ذلك فقد تشعب تعريف علم نحو النص ،ويعود عدم الاستقرار على مفهوم واحد في ذلك إلى أمور عدة منها[٣]:

١- التماسّ بين علم اللغة النصي وغيره من العلوم، وإن كان هذا التماسّ يعد ركناً أساسياً في الدراسة النصية.

٢- تعدد معايير هذا التعريف، هل هي معايير شكلية، أم معاييردلالية، أم شكلية ودلالية معاً.

٣- عدم اكتمال تطوير نحويات النص؛ وذلك يعني عدم اكتمال العلم.

ونذكر في مفهوم النص قولهم إنه يطلق على ما به يظهر المعنى[٤]؛ أيّ الشكل الصوتي المسموع من الكلام، أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى مكتوب[٥].

---

(١) لسان العرب، الجزء الثالث عشر والرابع، مادة نصص، صفحة ٢٧١.

(٢) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، ، صفحة ٢٣.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، الطبعة الأولى، دار قباء، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٧.

(٤) لا يحمل النص فقط دلالة الوضوح بل يشتمل على معان أخرى تتمثل في الظهور والثبات وعلو المصدر، والاستقصاء، التام، والتركيب والاقتصاد، انظر هامش نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى صفحة ٢٩-٣١.

(٥) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة ،صفحة ٢٤.

وقيل هو نسيج من الكلمات المنسقة في تأليف معين، بحيث يفرض شكلاً وحيداً وثابتاً قدر المستطاع ،والنص من حيث هو نسيج فهو مرتبط بالكتابة(١) ؛لأنه رسم بالحروف، وللنص هالته الروحية كذلك من حيث هو وحي كلماته(٢). فالنص فضاء ثري يختزن طاقات، ومعارف كبيرة، ومتنوعة ،ومتشابكة(٣) ذلك أنه شبكة محطات ألسنية ،وبنيوية، وأيدولوجية ،وكلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير(٤) فالنص هو بمثابة الومضات المتآلفة، في فضاء لا متناهٍ تتنقل فيها الأفكار بين اللغة، والمبدع ،والمتلقي.

وعلى الرغم من كثرة التعريفات التي وردت في حق النص، وعلم نحو النص(٥) نجدها تتفق على أنه "فرع من فروع علم اللغة، يدرس النصوص المنطوقة، والمكتوبة وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص ،وتربط فيما بينهما لتخبر عن الكل المفيد، وكذلك هو الدراسة اللغوية لبنية النصوص(٦). حيث إن الموضوع الذي يدرسه هذا العلم هو النص متناولاً كل أشكال الأبنية الواردة فيه ،وأنواع السياقات ومستويات اللغة، ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي، والنماذج الهيكلية المتنوعة النظرية، والتطبيقية كما أنه يمكن أن يكون معيناً على تفسير ما عَجَزَت عنه الأنحاء الأخرى" وأن كثيراً من الظواهر التي تستعصي على الوصف في اللسانيات المعاصرة يمكن

---

(١) الكتابة هي السمة الأساسية للنص عند رولان بارت، لكن تمكن للنص أن يكون ملفوفاً.انظر في الأسلوبية وتحليل الخطاب ،منذر عياشي،دار المحبة،١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م،صفحة ١٢١ وما بعدها حيث أورد عدد من التعريفات للنص عند طائفة من علماء الغرب.

(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، صفحة ٧.

(٣) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الناهي، الدار البيضاء، المغرب، صفحة ٢٨.

(٤) في نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، المجاهد، عدد ١٤٢٤هـ، صفحة ٥٧.

(٥) ويسمى هذا العلم بعلم النص، وعلم اللغة النصي، أو نحو النصوص، علم لغة النص.

(٦) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الجزء الأول، صفحة ٣٥.

أن تصاغ بطريقة أفضل إذا وصفت من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك؛ لذلك أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين ضرورة لا اختياراً[١].

وقد قام علماء النصية[٢] بوضع معايير، أو خصائص للنص هي[٣]:

١- السبك، أو الربط، أو التضام (cohesion): وهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستقرار اللفظي.

٢- الحبك ،أو التماسك، أو الانسجام، أو الاتساق (coherence) ويتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي ،والعمل على إيجاد الترابط المفهومي.

٣- القصد (intentionality)، وتعني هدف النص.

٤- التناص (intertextuality)، ويعني التفاعل والتعالق بين نص ما، ونصوص أخرى.

٥- المقامية (situationality) ،وتعني الموقف، أو المقام الذي أنشئ من أجله النص.

٦- الإعلامية ،أو الأخبارية (informativity) أي توقع المعلومات الواردة في النص، أو عدمها.

٧- القبول ،أو المقبولية (Acceptabilty) وترتبط بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول ،أو التماسك.

---

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان – بيروت، لونجمان، مصر ،١٩٩٧م، صفحة ١٤٣.

(٢) منهم روبرت دي بوجراند والفجانج دريسلي.

(٣) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ٧٥ وما بعدها ويَذكر أن تمام حسان أشار إلى خمسة معايير خاصة بنحو النص وهما القصد، التناص، المقامية، الإعلامية، القبول.

هذه المعايير التي تحكم النص لا بد أن تتوافر فيه بحيث تعمد إلى تحقيق الترابط النصي الذي هو بمثابة العلاقة ،أو القانون العام الذي يربط بين أجزاء النص وجمله ،الأمر الذي يعيننا على تفسيره بالشكل الصحيح، ولهذا الترابط أشكال متنوعة وقبل عرضها وجب علينا التفرقة بين **الترابط النصي، والنص المترابط**، فالترابط النصي إجراء معلوماتي، يسمح بربط كلمة بأخرى أو فقرة بأخرى، كما يتيح للمستعمل إمكانية اختيار مساره داخل النص(١)، فالترابط النصي مظهر من مظاهر التفاعل النصي(٢) أما النص المترابط فهو نص افتراضي محتمل لا يأخذ شكله الواقعي إلا من خلال نشاط القارئ ،مما يجعل منه نصاً تفاعلياً؛ لأن التواصل أصبح يتطلب التشارك فالحركة أصبحت تتجه من النص إلى القارئ، وبالعكس خلافاً لما كان عليه الأمر مع النص الذي كان يمارس سلطة كبيرة على القراءة؛ لأنه لم يكن بمقدور القارئ التحرر من التتابع الذي تفرضه خطية الكتاب، لكنه مع النص المترابط أصبح بوسعه القفز على أجزاء ومشاهد ويتجه مباشرة إلى ما يهمه(٣) فالنص المترابط هو الذي يسمح للقارئ بقدرة الربط وفق ما يرى، ودليلنا في ذلك أعظم النصوص وأشرفها – القرآن الكريم– فالقرآن نص واحد مترابط في أجزائه وهذا أمرٌ لا خلاف فيه وقارئ القرآن الحق يستطيع ربط آي القرآن بعضها ببعض لفهم المعنى المراد فمثلاً قوله تعالى

---

(١) دراسة في النص والنص المترابط من النصية إلى التفاعلية، للكاتبة **لبيبة الخمار**، daifi.montadarabi.com

(٢) من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، سعيد يقطين، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، المغرب – الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، صفحة ١٢٨، ويقصد بالتفاعل النصي أن النص ساحة للتفاعل بين المؤلف والكاتب والجمهور والقارئ ينظر التفاعل النصي في مقدمة لتحليل الخطاب المكتوب، **مايكل هووي**، ترجمة الدكتور ناصر بن عبدالله بن غالي، صفحة ٣٦. وينظر في دراسة لبيبة الخمار إذا تقول إن ثالوث المحاكاة والتحويل والمعارضة هو الذي يحقق التفاعل النصي.

(٣) دراسة في النص والنص المترابط من النصية إلى التفاعلية، لبيبة الخمار. وانظر من النص إلى النص المترابط،سعيد يقطين، صفحة ١٢٣.

"**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحملـه وفصاله ثلاثون شـهراً**"(١) تجعل القارئ يربطها بقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"(٢) فالآية الأولى حملت القارئ إلى الانتقال السريع إلى الآية الثانية والدافع من وراء هذا الاستعمال هو ترابط القرآن بأكمله وكأنه سورة واحدة، ذلك أن آي القرآن يفسر بعضها بعضا وكذلك قوله تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)(٣).

يرتبط ارتباطاً بيناً بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(٤).

فالنص المترابط هو السبيل لتحليل خواصه وعرض مكونات النصية عرضاً يؤكد على المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، ذلك أن أهم ملامح نحو النص هي المزج بين جميع المستويات الصوتية، والصرفية، والمعجمية ،والدلالية بحيث لا يمكن الفصل بينهما(٥). بحيث يتحقق الانسجام والتماسك الذي يؤلف بين جمل النص. ذلك أن النص بكليته لا بد أن ينطوي على مجموعة مميزة من الخصائص التي تؤدي إلى التماسك والانسجام(٦) هذه الخصائص توجب على نحو النص الكشف عنها وتتبعها وصولاً إلى النظام الرابط والحاكم لهذا النص، فنحن نقف حائرين أمام حشد من الاتساق، والسمات اللغوية ،والمعلومات التاريخية فيجب أن نعلم أننا بدأنا نقيم علاقة حميمة مع النص ،وأن حيرتنا لن تطول سنرى النص فجأة وقد شمله

---

(١) الأحقاف: ١٥.
(٢) البقرة: ٢٣٣.
(٣) البقرة: ١٢٩.
(٤) الجمعة: ٢.
(٥) البنية النصية لقصة موسى، رضوان حبيب كياني، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، باكستان، ٢٠١١م، صفحة ٤٥.
(٦) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ٩٨.

نورٌ منبعث من مصدر ما ،وسيتبين لنا أن كل تلك الجزئيات قد تجمعت في نظام، هذا النظام الذي نسميه الترابط النصي الذي يخلق بنية النص ،هذه البنية التي لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات ،ولكنها تملك تنظيماً خاصاً من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها تخصها(١)، الأمر الذي يقودنا إلى القول إن هذا الترابط ،أو النظام الحاكم للنص يتكون نظراً للترابط الحاصل بين الجمل مع بعضها مع بعض، بحيث تساعد هذه الجمل المترابطة في تكوين سياق يساعد على تفسير التراكيب ،والعناصر اللغوية، والمكونات الأساسية لهذا النص ذلك أن هذه الجمل لا يمكن فهمها بمعزل عن الأخرى، أو يتجاهل ترابطها بعضها مع بعض، وقد جاء هذا الترابط على أشكال ولعل السبب في ذلك كما أسلفت سابقاً أن نحو النص علم جامع لمستويات اللغة. الأمر الذي ترتب عليه أن تكون أشكال ومستويات التحليل النصي على النحو الآتي:

١ – الترابط الرصفي "النحو"(٢):

وهو أقرب إلى ظاهر النص ويرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة ونقلها وتذكرهما.

أما الأدوات التي تحقق التماسك في هذا النوع من الترابط فهي:

١ –التعريف(٣): وهو وضع للعناصر الداخلة في عالم النص حين تكون وظيفة كل من هذه العناصر لا تحتمل الجدل في سياق الموقف، بمعنى أن تحدد الوضع باسم علم، أو بصفة معرفة... فالتعريف يمكن أن يشمل أي عنصر من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط

---

(١) نحو النص اتجاه في الدرس النحوي، صفحة ٩٧.

(٢) نفسه، صفحة ١٠٣.

(٣) نفسه، صفحة ١١٤.

بمركز الضبط.كما أن استخدام الأدوات يشكل دوراً كبيراً في هذه الوسيلة مثل استخدام أداة التعريف، أضف إلى هذا أن هناك عناصر صالحة للوصول إلى مستوى المعرفة مثل:[1]

-العناصر المذكورة كما تبدو في عالم النص ومثاله الملك.

-العناصر المخصصة المعهودة في المعلومات المشتركة لمستعملي اللغة الذين يتعرف بعضهم إلى بعض على مستوى شخصي.

-كيانات وقائع مختزنة ضمناً لمعلومات العامة لمستعملي اللغة الذين تجمعهم معرفة شخصية ومثاله السينما.

-العناصر ذات التفرد التي يعرفها الشخص بالحواس الخمس ومثاله الشمس

-العناصر المنتمية للنظام العام ،ومثاله الشرطة والدفاع المدني وغيرها من العناصر التي اكتسبت المعرفة من ذاتها ؛لأنها تدل على شيء واضح ومحدد للعيان

٢. **الاستبدال**[٢]: وهو عملية تتم داخل النص، حيث إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر. والاستبدال ينقلنا إلى الاستمرارية الدلالية، أيْ وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة مثاله قوله تعالى: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ)[٣] فقد تم استبدال

---

[٣]انظر النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بو جراند ، ترجمة تمام حسان ، الطبعة الأولى عالم الكتب، القاهرة ،١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ،الصفحة ٣٠٨-٣١٠.

(٢) نفسه صفحة ١٢٣-١٢٤.

(٣) آل عمران: ١٣.

كلمة أخرى بكلمة فئة وتم الاستدلال على ذلك من النص القرآني. ويقع الاستبدال في ثلاثة أنواع هي:

- الاستبدال الاسمي: ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل (آخر، آخرون، نفس)
- الاستبدال الفعلي: ويتم باستخدام الفعل(يفعل).
- الاستبدال القولي: ويتم باستخدام (ذلك، لها).

٣. **الحذف**[١]: يتم حذف أحد العناصر من التركيب، إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة كافياً في أداء المعنى، ويتم حذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره. ويقع الحذف عند هاليدي ورقيه[٢] في ثلاثة أنواع هي:

- الحذف الإسمي: حذف اسم داخل المركب الإسمي.
- الحذف الفعلي: المحذوف يكون عنصراً فعلياً.
- الحذف داخل ما يشبه الجملة.

والحذف والاستبدال متشابهان غير أن الحذف لا أثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف ،أما الاستبدال فيترك أثراً وهو كلمة من الكلمات المشار إليها في الاستبدال[٣].

(١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ١٢٥.

(٢) Halliday and R. Hassan. Cohesion in English, Longman, London ١٩٧٦, page ١+٢

(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ١٢٦.

٤. **الإحالــة**(١): وهـي قسـم مـن الألفـاظ لا تملـك دلالـة مسـتقلة بـل تعـود علـى عنصـر ،أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، وشرط وجودها هو النص. فهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سُبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين(٢):

١- الإحالة المقامية (خارج النص): وهي إحالة إلى ما هو خارج النص، وترتبط هذه الإحالة بأنواع محددة من النصوص، وتحتاج إلى جهد أكبر للكشف عنها وإيضاح كيفيتها وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها. والذي يقع خارج النص، ويستعان في تفسيره إلى السياق،والمقام الخارجي والإشارات الدالة عليه.

٢- الإحالة النصية (داخل النص): وهي إحالة على ما هو داخل النص، أو اللغة وتختص هذه الإحالة بعناصر جزئية، أو كلية وتشترط وجود العناصر اللغوية (الإشارية، والإحالية) في الملفوظ سابقه ،أو لاحقه، وتنقسم إلى نوعين:

١. إحالة على السابق، وتسمى إحالة قبلية وتعود على مفسر سبق التلفظ به.

٢. إحالة على اللاحق، وتسمى إحالة بعدية تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص. (٣)

---

(١) نسيج النص، الأزهر الزناد،صفحة ١١٨.

(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٩م، صفحة ٨٧-٨٩.

(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ١١٧.

وتمثل وسائل الترابط الإحالية في الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة[١].

٢- الترابط المفهومي (الدلالة) [٢]:

ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل فاعل، وحدث وحالة... من أجل إيجاد معنى كلي للنص؛ لأن النص بما يحتويه من قضايا "جمل" ترتبط بعلاقات ويجب تنشيط المفاهيم التي تقوم عليها تلك العلاقات، وإدخال محتواها في المخزون العقلي، والانتقال بين العبارات ومحتوياتها. ويعتمد هذا الترابط على اختيار المرسل عناصر معينة ترتبط بعناصر سابقة ضمن بعض العلاقات الدلالية المنظمة[٣] ذلك أن هذه العلاقات معنوية كانت، أو تضمينية تتم من خلال تجاوز بسيط للعلاقات اللفظية ومثال ذلك السماء زرقاء والشمس تتلألأ، أوالسماء زرقاء.الشمس تتلألأ[٤] ويتحقق هذا الترابط عبر ظاهرتين لغويتين هما التكرار، والمصاحبة المعجمية[٥]،وقد أشار السكاكي (ت٦٢٦)إلى هذا الأمر في حديثه عن العطف عندما قال :

"اعلم أن تمييز موضع العطف من غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفاً على بعض تارة ومتروكاً العطف بينهما تارة أخرى ... فإنه نوعان نوع يقرب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه

(١) أدوات المقارنة لا تختلف من منظور الاتساق عن الضمائر وأسماء الإشارة وتقسم إلى ١- أدوات مقارنة عامة ومن أمثلته (مثل، نفس) ٢- أدوات مقارنة خاصة مثل (أكثر، أفضل) يُنظر في لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، الطبعة الثانية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م، صفحة ٢٥.

(٢) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، صفحة ١٨٢.

(٣) لسانيات النص، صفحة ٢٤.

(٤)النظرية الشعرية ،جون كوين، ترجمة أحمد درويش،دار غريب، ٢٠٠٠، صفحة ١٨٨.

(٥) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، صفحة ٧٩.

فالقريب هو أن تقصد العطف بينهما بغير الواو أو بالواو بينهما لكن بشرط أن يكون المعطوف عليها محل الإعراب والبعيد أن تقصد العطف بينهما بالواو وليس للمعطوف عليها محل إعرابي"(١)

١- **التكرار**(٢): هو تكرار لفظتين ووجهما واحد، ويعد هذا التكرار ضرباً من ضروب الإحالة إلى سابق، بمعنى أن الثاني يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما وبالتالي بين الجملة، أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار.

وقد جعل علماء لغة النص التكرار على أقسام هي(٣):

١. **التكرار المحض:** ويقصد به إعادة أعيان الألفاظ، ويغلب عليه أن يكون وسيلة للسبك، والحبك في آن معاً أيّ أن يكون فاعلاً في ظاهر وعالم النص. ويقسم هذا النوع إلى قسمين:

الأول: التكرار مع وحدة المرجع؛ أيّ المسمى واحد.

والآخر: التكرار مع اختلاف المرجع ؛أيّ المسمى متعدد.

٢. **التكرار الجزئي:** ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ،ولكن في أشكال وفئات مختلفة ويغلب عليه أن يفعل فعله في ظاهر النص أصالة ،وفي عالم النص بالتبعية(٤).

---

(١)مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، صفحة ٣٥٧.

(٢) نفسه، صفحة ٧٩.

(٣) نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، فصول، المجلد التاسع، العددان الثالث والرابع، الهيئة العامة القاهرة، فبراير ١٩٩١، صفحة ١٥٧-١٥٩ .

(٤) يرتبط التكرار بالإحالة أيّ إن الضمير قد يحيلنا إلى الاسم الظاهر بحيث جاء هذا الضمير لينوب عنه.

٣. **شبه التكرار**: ويقوم في جوهره على التوهم، إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق وغيره. ويتحقق هذا النوع من التكرار على مستوى التشكل الصوتي، وهو أقرب إلى ما سماه الإمام السكاكي الجناس المحرف بأنواعه الناقص، والمذيل ،ثم المضارع واللاحق، وتجنيس القلب.

٤. **التوازي**[١]: ويقصد به تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها .ويرتبط التوازي بمفهوم الحذف، وهو تكرار المبني مع إسقاط بعض عناصر التعبير.

ونجد عيسى الوداعي يجعل التكرار في قسمين رئيسيين[٢]:

الأول: وقد أطلق عليه مصطلح تكرار التنامي، ويعني به تكرار كلمة، أو صيغة معينة لغرض التدرج، وتنمية النص وصولاً إلى الهدف المنشود، وكأن النص يبدأ من نقطة الصفر وصولاً إلى النهاية حينها تصل الرسالة إلى ذهن المتلقي كاملة.

والآخر: ما اصطلح على تسميته تكرار التبئير، ويقصد به تكرار عنصر معجمي (بلفظه التام ،أو الجزئي، أو بذكر مرادفه) أو تكرار صيغة تركيبية في نص ما بهدف إدارة النص عليها وجعلها محوراً له.

٢- المصاحبة المعجمية ،أو التضام:

ويعني إيراد زوج من الكلمات بالفعل ،أو بالقوة نظراً لإرتباطهما بحكم هذه العلاقة ،أو تلك وهذه العلاقات متمثلة في[٣]

١- التضاد: وينقسم إلى:

---

(١) أيّ إن التوازي يكون بين جملتين نمطهما واحد.

(٢) التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية ٢٠٠٥م، صفحة ٣٤-٣٦.

(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صفحة ١١٣.

أ- التضاد الحاد "غير المتدرج"، ويعني ذكر النقيض ومثله حي ميت/ متزوج، أعزب

ب- التضاد الاتجاهي: مثل أسفل – أعلى/ يصل – يغادر

ج- التضاد العكسي: مثل باع – اشترى/ زوج – زوجة

٢- التنافر: ويرتبط بفكرة التضاد، مثل كلمات خروف، فرس، ومرتبط بالرتبة مثل ملازم – رائد – مقدم، ويمكن أن يكون مرتبطاً باللون مثل أحمر – أخضر. وبالزمن مثل شهر – أعوام.

٣. علاقة الجزء بالكل: كعلاقة اليد بالجسم.

٣- التداولية (علاقة المتلقي بالنص)(١):

المتلقي هو الذي يكمل حلقة البحث الدلالي لبيان مفهوم النص ومعانيه، فالنص له أثره كذلك بعناصره المختلفة ولكن ذلك لا يكفي، فعملية الإيصال، والإبلاغ لا تكتمل إلا بوجود متلق يتأثر بمفاهيم النص وجمالياته ،علاوة على أثر الناقل، أو المتلقي. ومن العوامل التي تتدخل في تحصيل دلالة مفهوم النص وهي ذات علاقة بالمتلقي ثقافته ،وفكره ،وعقيدته، ودينه...الخ فهي ذات تأثير ظاهر في تحصيل مفهوم النص، ومعناه والإعجاب به أو النفور منه.

وعلى هذا فالمتلقي ركن من أركان التحليل النصي ، حيث إن العلاقة التي تربطه بالنص علاقة تأثّر وتأثير من حيثية الدلالة والمعنى التي يوصلها النص إليه. فالمتلقي بمثابة القراءة الثانية للنص

---

(١) البنية الاحالية في ديوان قصائد مغضوب عليها لنزار قباني، بوباكر بوترعة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- بائنة، الجزائر، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، صفحة ٣٩-٤٠.

٤ –الترابط الموضعي الشرطي للنص:[١]

ويعتمد على الروابط السببية المعتادة بين الوقائع التي تدل عليها الأقوال.ويشير هذا النوع من الترابط إلى العلاقات التي بين المساحات، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ،ولهذا الترابط صور وأنواع وهي:[٢]

أ) ربط مطلق الجمع:ويربط بين صورتين، أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة، أو متشابهتين.

ب) ربط التخيير :ويكون بربط صورتين، أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة، أو متشابهتين غير أن الإختيار لابد أن يقع على صورة واحدة من هاتين الصورتين.

ج) ربط الاستدراك: ويربط بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض.

د)التفريع : ويشير إلى أن العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة تدرج أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى . ويُستخدم لذلك كلمات مثل (مادام،بناء على هذا،من حيث،ومن ثم ، وهكذا).[٣]

وبعد حديثنا عن نحو الجملة ونحو النص، نخلص إلى أن نحو الجملة ينفصل عن نحو النص في الموضوع، والمنهج ،والغاية[٤] حيث إن نحو الجملة يدرس ما يعرف بالجملة ،في حين أن نحو النص يدرس ما يعرف بالنص، أما منهج البحث في دراسات الجملة فهو قائم على النزعة

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص،صلاح فضل ،عالم المعرفة،١١٣٤هـ-١٩٩٢م،صفحة ٢٢.
(٢) أنظر النص والخطاب والإجراء،صفحة ٢٤٦وما بعدها .
(٣) نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي ،صفحة ١٢٩ .
(٤) انظر نسيج النص، صفحة ١٥-٢٠.

المعيارية التي تغلب القاعدة على المثال في حين نجد البحث في لسانيات النص قائم على المنهج الوصفي وإذا كانت غاية البحث في نحو الجملة قائمةً على الوصول إلى نظرية الجملة العربية من خلال وصف نظامها القائم على مجموعة من العلاقات المحكومة بقواعد تقيم أشكالاً يقاس عليها الكلام، فإن غاية نحو النص هي وصف لنظام النص بأكمله.

هذه الأمور السابقة الذكر تفرق بين نحو الجملة ونحو النص ذلك أن اندراج الجملة أو الجمل في النص أمر ضروري مطرد لأنها من مكوناته المباشرة أما اندراج النص في الجملة فهو ممكن؛ ولذلك يختلف فهم الجملة عن فهم النص وإن كانا متكاملين، الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن هناك نقاطاً يفترق فيها النحْويَّيْن أحدهما عن الآخر عن لكنهما يلتقيان أيضاً، فنحو النص يعتمد على أغلب المصطلحات، والمفاهيم المستخدمة في نحو الجملة إذ يرتكز نحو النص عليها ارتكازاً شديداً إلى الحد الذي يستحيل معه الفصل بينهما(١).

كذلك يرتكز نحو النص على اعتبارات أخرى تجعله يتجاوز حد الجملة الجزئي منها ،للبحث في ائتلاف المعنى بين التراكيب الأساسية داخل الاستعمالات اللغوية، والإشارة إلى عملية الفهم، والتأثير، والكشف عن الروابط الداخلية بالنص، والروابط الخارجية خارج النص، والربط بينهما(٢)، أضف إلى أن اهتمام كلٍّ منهما ينصبّ على قضايا بعينها كالاهتمام بقضية السياق والعلاقات، والروابط الحاكمة للجمل بشكل خاص، والنص بشكل عام وعليه فليس لنحو النص أن يلغي نحو الجملة ذلك أن كلاً منهما مكمل للآخر.

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، صفحة ٧٧.
(٢) علم لغة النص،سعيد بحيري ، صفحة ١٠٤-١٠٥.

المبحث الثاني:- معنى نحو القرآن

القرآن الكريم كتاب العربية الشامل؛ ذلك أنه قوام هذه اللغة، فهو الأساس الذي ترتكز عليه أيّ دراسة سواء كانت نحوية ،أو بلاغية ،أو أسلوبية...، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله – عز وجل– المنزل على أشرف الخلق سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا نقلاً متواتراً... وغيرها فقد اتصف القرآن بكثير من الصفات التي جعلت منه أوثق كتاب لدى العلماء يُقْبِلون عليه، ويدرسونه متفحصين لآياته تفحصاً شاملاً؛ طمعاً منهم في إغناء قرائحهم وعلمهم، بمعرفة مفادها الشمول والثبات؛ فكان بذلك النص الوحيد الذي يُقتدى به وبتراكيبه وأساليبه، يُنقَلُ منه، ويُتّبعُ في طرائقه وأسلوبه. وعليه فقد جاء هذا المبحث بغية التأكيد على شمولية هذا الكتاب الكريم، وتماسكه من خلال آياته وسوره، فمما لا شك فيه أن النص القرآني نص محكمٌ مبين. وما أريده هنا هو إثبات صحة ما قاله العلماء في نحو النص بأسلوب القرآن الكريم، ابتغاءَ تحصيل الفائدة وبيان منزلة هذا الكتاب العزيز. فليست الغاية من التعريف بنحو القرآن استعراض جهود النحاة[١] في كيفية استخلاص القاعدة النحوية من القرآن، ومدى اتفاق هذه القاعدة مع آيات الكتاب الحكيم، أو موافقة الآية للقاعدة ، فقد ذهب جمع من أهل اللغة إلى ضرورة موافقة الآيات الكريمة للقاعدة النحوية ،غافلين في ذلك أن القاعدة تسير خلف النصوص الفصيحة لا أمامها، وفي هذا يقول سعيد الأفغاني: "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذها مذهباً ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها، ويتابع حديثه في ذلك قائلاً: "ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة... أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جَعَلَهُ حجة وجعل

(١) لمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع يُنظر نظرية النحو القرآني، نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، أحمد مكي الأنصاري، الطبعة الأولى، دار القبله، ١٤٠٥هـ.

يصرفه عن وجهه ويحرفه عن موضعه ،ويتحيل في إحالته أو أوقعه الله عليه"[١]. إن ما أقصده بنحو القرآن تأكيد القول أن القرآن الكريم بترابطه وتماسكه كأنه سورة واحدة ، وأن أحسن طريقة للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمِل في مكان فقد فُصِل في موضع آخر وما اُختُصِر في مكان فإنه قد بُسِط في آخر[٢]. الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن قضية التماسك النصي لم تكن وليدة الفكر الغربي، بل إننا نجد جذورها ضاربة في عمق تراثنا العربي ،متأصلة في أمهات المصادر اللغوية من نحو وبلاغة، وكتب أصول الفقه والتفسير ،إلا أن ما ورد عن هؤلاء العلماء كان بمثابة اللمحات والإشارات إلى علم نحو النص، فلم يُقَّدَم هذا العلم – نحو النص– على شكل نظرية متكاملة، بل كان على شكل إشارات متناثرة في طيات هذه الكتب ،ومن ذلك ما نجده عند سيبويه (ت ١٨٠) في حديثه عن العلاقة بين المسند والمسند إليه ،وعن ارتباط الشكل والمعنى ،وحديثه عن قضية اللفظ والمعنى. وغيره من النحاة أمثال ابن جني (ت ٣٩٢)، وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١) وغيرهم[٣]. ومن ذلك أيضاً ما ورد عند ابن طباطبا (ت ٣٢٢) [٤] والجرجاني (ت ٤٧١) [٥]وابن الأثير (ت ٦٣٧) وفي هذا يقول: "اعلم أنه يحتاج صاحب الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء الأول منها اختيار الألفاظ المفردة وحكم ذلك حكم الألئ المبددة فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم ، الثاني نظم كل كلمة معأختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقاً نافراً عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها، الثالث: الغرض

([١]) في أصول النحو: سعيد الأفغاني، الطبعة الثالثة، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣-١٩٦٤، صفحة ٣٢.

([٢]) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م صفحة٢٢.

([٣]) انظر التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى الوداعي ،ص١٧-٢٤ حيث تحدث فيها عن جهود النحويين في نحو النص.

([٤]) عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبدالستار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، صفحة ١٣١.

([٥]) دلائل الإعجاز، الإمام الجرجاني، صفحة ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٨٧، ٩٣، ٣٩٢.

المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه على الرأس وتارة تجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شنفاً في الأذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه(١).

وكذلك الحال عند الأصوليين، فنجد عندهم تطبيقات نصية مبكرة وراقية تجاوزت إطار التحليل على مستوى الجملة ، ونجد أن مصطلح النص ورد عندهم بمعانٍ مختلفة تعكس مستويات دلالية متفاوتة تحددها درجة الظهور أو الخفاء في النص، ونجمل تلك المعاني على النحو التالي(٢):

١- عبارة النص: يطلق على المعنى الحرفي للنص؛ أيّ المعنى الذي يتبادر من خلال الصيغ التي تكوِّن مفردات وجمل النص، فهو المعنى الظاهري الذي يبرز سطحياً في النص.

٢- إشارة النص: وهو المعنى المتبادر من مقصود السياق.

٣- دلالة النص: وهو ما يفهم من روح النص ومعقوله.

٤- اقتضاء النص: وهو المعنى الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره.

أما مفسرو القرآن فنجد في تفاسيرهم حديثاً عن التناسب بين آيّ القرآن وسوره .ومن أبرز هؤلاء المفسرين الإمام الزمخشري (ت ٥٨٣هـ) في تفسيره الكشاف، والزركشي (ت ٧٤٩هـ) في البرهان في علوم القرآن، والسيوطي(ت٩١١هـ) في الإتقان في علوم القرآن ، والطاهر بن عاشور(ت١٣٩٠هـ) في تفسيره التحرير والتنوير وغيرهم.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الجزء الأول، مطبعة مصطفى الباني الحلوي، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، صفحة ١٤٢. وللمزيد انظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي،صفحة ٩٧ وما بعدها، وانظر نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد عبد الراضي، صفحة ١٣٤-١٥٤.

(٢) انظر علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاّف، الطبعة الأولى، الزهراء للنشر والتوزيع، صفحة ١٤٤-١٥٠.

وبالرغم من كل هذه الجهود العربية التي تدلل على أن السَبْقَ في هذا العلم عائدٌ إلى تلك الثلة من علماء العربية الأجلاء الذين انكبوا على دراسة هذه اللغة وكتابها الخالد بأشد التفاصيل إنه لا يجيز لنا أن نتنكر لصنيع علماء الغرب في هذا العلم، فقد بذلوا جهوداً ضخمة وقدموا لنا هذا العلم – نحو النص– في نظرية متكاملة الجوانب والأطراف بدءاً من دي سوسير(١) فقد كان لتفريقه بين اللغة والكلام الأثر الكبير في تحليل النصوص الأدبية ،وفي تركيز البحث في بنية العمل ذاته وفي التأثير في المدارس اللسانية التي جاءت بعده ،مثل: مدرسة براغ، وكوبنهاجن الأمر الذي أدى إلى توجيه النظر إلى علم اللغة والإفادة منه في تطوير النظر إلى النص. وكذلك جهود زليج هاريس Harris إذ عمد إلى نشر دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان تحليل الخطاب.(٢) وكذلك فعل فان دايك في كتابيه الأول "some expects of text grammar بعض وجوه نحو النص والآخر": text and context "النص والسياق" وفيها تشكلت –إلى حد كبير – معالم نظرية نحو النص في الدراسة اللغوية الحديثة،.و في هذا الاتجاه أيضاً كان كتاب هاليدي cohesion in English "الاتساق في اللغة الإنجليزية" وغيرهم الكثيروأهمهم دي بوجراند الذي توج تلك الجهود بكتابه الكبير النص والخطاب والإجراء.

فالفيصل بين علماء العرب والغرب، هو طريقة عرض هذا العلم فما ورد عند علماء العربية كان بمثابة الملامح والإشارات التي لم تُقَدَّم بصورة واضحة كما قُدمَت في بدايات النصف الثاني من هذا القرن ،وحتى نكون في مدارج المنصفين كان حرياً بي إثبات صحة ما قاله علماء الغرب في مباحث علم نحو النص من خلال إنعام النظر في آيات القرآن الكريم ، وتدبر سوره وآياته

---

(١) انظر علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، الطبعة الثالثة، دار آفاق عربية ١٩٨٥.

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات،سعيد البحيري، صفحة ١٨.

والوقوف على مدى الترابط الدلالي بين كثير من المواضع في القرآن الكريم ،والوقوف على صور البيان المدهشة في النص القرآني الخالد. ولقد قدمت في العصر الحديث دراسات كثيرة موثقة ،على أساليب الربط والتماسك بين سور القرآن الكريم وآياته في الموضوعات التي يتكرر ورودها في سور القرآن الكريم مثال ذلك ما ورد في سيرة سيدنا موسى عليه السلام ، في طفولته وفي عمله في أهل مدين ،وفي مواجهته لفرعون وجنوده ،وفي موقفه مع السحرة الذين حشرهم فرعون في أطراف مملكته، ومثاله أيضاً قصص الأنبياء جميعاً ، وآيات الأحكام ، وآيات القرآن الكريم كلها حيث نجد وسائل الربط الكثيرة وشواهد البيان العالي ، من دلالات التقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، وصور الفعل المتعددة بين مضارع وماضٍ وأمر ، وبين تنوع صيغ الأسماء ، وبين الإفراد والتثنية والجمع ، ومثل اختيار الألفاظ التي تصور الواقع عند الناس مثل (نافقوا)

و(فسقوا) و(حبطت أعمالهم) و (ولا تصعر خدك للناس) وغير هذا من مئات الشواهد القرآنية التي تشعرك بأنك أمام نص واحد متماسك ، تتشكل دلالته في سياق سوره و آياته، والناظر في كتب التفسير يلاحظ مدى فطنة المفسرين إلى أن آي القرآن كلٌ واحد لا يتجزأ، بالرغم من اختلاف أسباب وأوقات نزول آياته فقد "أنزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السور تتنزل لأمر يحدث ،فالآية جواباً لمستخير ويوقِفُ جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم– على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن"[١]. فآيات هذا الكتاب مترابطة حتى تكون "كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٢]. وتكمن فائدة هذا الاتساق

---

(١) تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، صفحة ٢٧.

(٢) منهج ابن العربي في تفسير أحكام القرآن، منصور بن فضيل كافي، الطبعة الأولى، دار حامد ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، صفحة ٢٧٣.

في جعل أجزاء الكلام بعضها آخذٌ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(١).

وعليه فالدراسة في هذا المبحث تتناول جانبين:

الأول: التماسك بين آيات القرآن الكريم ،والأدوات النصية التي ساهمت في تحقيق هذا التماسك.

والآخر: التماسك بين سور القرآن ،وعلاقات هذا التماسك.

أولاً- التماسك بين آيات القرآن الكريم

القرآن الكريم في مفرداته وآياته وسوره متصل اتصالاً معجزاً ،جعله كالبنيان المتكامل لا يمكننا أن نحذف حرفاً من حروفه ،أو نغير موضعه ،أو أن نزيد في عدد هذه الحروف أو نُنقص منها(٢). إلا في بعض القراءات القرآنية التي قد يكون فيها اختلافاً في هذا. فالنص القرآني امتاز بكماله على نصوص البشرية بعمومها، والسبب في ذلك هي تلك الروح القوية المسيطرة على آياته وسوره ،يجذب بعضها بعضا بصورة تجعل من آياته وسوره كلاً متلاصقاً لا مجال لتفكيكه ،أو تجزئته. فقارئ القرآن ينتقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى ومن موضوع إلى آخر دون أن يشعر بفجوة أو انقطاع أثناء تنقله ذلك أن "روح القرآن بما فيها من التئام والتحام سيطرت على معانيه وألفاظه وقد أطلق الرافعي على هذه الروح – روح التركيب- فقال "وهذه الروح لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نطقه وخرج مما يطيقه الناس... وهذه الروح كأنها جعلت من القرآن جملة واحدة ،ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين ،إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرشاني، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، صفحة ٣٠٢.

(٢) انظر وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، صفحة ٤٣.

وتأليفها ،ثم إلى هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة وهي صفة إعجازه في جملة التركيب ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازاً..." (١).

نجد أن الرافعي جلّى الحديث تجليلة أصابت المبتغى والهدف الذي أرنو إليه ،في توضيح هذا الترابط المعجز الذي تذهل له العقول وتخرّ ساجدةً أمام عظمة الخالق وبديعه وإعجازه في نظمه لهذا الكتاب ،الذي تستشعر فيه وكأنه يدور حول موضوع واحد وقصة واحدة بالرغم من تعدد المواضيع والقصص في مواضع شتى من سوره إلا أن كلاً منها يسدِل بخيطه إلى السورة الأخرى فيتشابك معها متنقلاً إلى سورة أخرى وهكذا. حتى يشعر القارئ كأنه يقرأ نصاً واحداً بل سورة واحدة.

وقد أشار العلماء القدامى – كما أسلفت سابقاً– إلى أمور هي من صلب التماسك النصي وأشاروا في حدثيهم إلى أهمية البحث في المناسبة بين الآيات والسور، ذلك أن المناسبة تعني المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام، أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي ،أو غير ذلك من أنواع العلاقات(٢). والمناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية مترابطة الأجزاء ،ومهمة المفسر محاولة الكشف عن هذه العلاقات الرابطة بين الآية والآية من جهة، وبين السورة والسورة من جهة أخرى وهذا يعتمد على قدرة المفسر

---

(١) البيان القرآني، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م، صفحة ١٧٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، المجلد الثاني، صفحة ٣٠١-٣٠٢.

وعلى نفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص[١]. وعليه فالمناسبة علم واسع يُقصد به تحقيق الانسجام النحوي، والمعجمي، والتداولي ،بين الجمل وأجزاء النص فكيف إذا كان هذا النص كتاب الله الذي قال فيه عز وجل (**آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثم فصلت من لدن حكيم خبير**)[٢]، وقد تحدث عن هذا العلم – المناسبة بين الآيات والسور – طائفة من العلماء نذكر منهم على وجه الخصوص السيوطي في الإتقان في علوم القرآن، والزركشي في البرهان في علوم القرآن، ولعل ما قدمه السيوطي في دراسة التماسك بين آي القرآن وسوره فيه شهادة على عبقريته ووعيه بآليات التماسك النصي في القرآن الكريم، وقد وضع لهذا التماسك الحاصل بين آي القرآن قاعدة، مفادها أن الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ،وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ،وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ،التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ،فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة[٣].

وبناء على هذه القاعدة نجد أن الإمام السيوطي حدد لنا الأطر العامة لدراسة هذا التماسك المتمثلة في السبب الذي سيقت له هذه الآية والسياق الوارد فيها .وسيكون لنا حديث في هذا الأمر في المبحث الأول من الفصل الثاني– إن شاء الله– ثم المقدمات أو الأدوات التي أعانت في تحقيق هذا الغرض وصولاً للمتلقي أو المخاطب الذي يُعد شريكاً أساسياً في إدراك مقاصد النص

---

(١) انظر مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠، صفحة ١٦٠.

(٢) هود: ١

(٣) الإتقان في علوم القرآن، المجلد الثاني، صفحة ٣٠٦.

من خلال فهم وتدبر القرآن وتفسيره ،ذلك أن الله سبحانه لا يخاطب خلقه إلا بما يعرفونه. وقد قال الطبري في ذلك "غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب ،ولا يرسل إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل[١].

فالغاية هي تحقيق التواصل بين المخاطِب والمخاطَب بنص الخطاب . فإذا تحقق كان دلالة على انسجام حاصل في النص، وإن لم يتحقق من قِبَل المخاطِب ترتب عليه عدم فهم المخاطَب للخطاب وبالتالي يكون هذا الخطاب لم يفده في شيء فحال هذا المخاطَب قبل الخطاب وبعده على السواء والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يخاطِبَ خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسل إليه[٢].

* الأدوات أو الوسائل النصية في القرآن الكريم[٣] وتنتمي هذه الأدوات إلى مستويين اثنين هما:

- المستوى النحوي: ويشمل الإحالة، والتعريف ،والاستبدال ،والحذف ،والربط في القرآن الكريم.
- المستوى المعجمي أو الدلالي: ويشمل التكرار والتضام أو المصاحبة ،والعلاقات القائمة بين الآيات والسور بما فيها:
  - البيان والتفسير.
  - الإجمال والتفصيل.

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد محمود شاكر، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، صفحة ١١.

(٢) نفسه ص١١ بتصرف.

(٣) انظر الخطاب العقلي في القرآن الكريم دراسة في علم تحليل الخطاب،فريال القضاة، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، دبي، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، صفحة ٢٢٠-٢٣٠ حيث قامت بدراسة وسائل التماسك النصي المتمثلة بالمستوى النحوي والدلالي دون دراسة العلاقات في سورة الروم بشكل جدول متضمن للأدوات التي حققت التماسك في هذه السور.

- العام والخاص.

١. المستوى النحوي في القرآن الكريم:

١-١ الإحالة:

إن أول ما ينبغي الإقدام عليه إذا أردنا الوقوف على أشكال الإحالة في أيّ نص هو تتبع الفعل الإحالي في قراءة خطية، والعمل على تحديد طبيعة العناصر اللغوية التي تجعلنا نلتفت إلى الوراء أو ننتظر اللاحق ،أو تجعل المتلقي يلتفت إلى خارج النص(١). مع الأخذ بعين الاعتبار عدم الاكتفاء بالوسائل الإحالية المعهودة لنا "أسماء الإشارة، الضمائر، الأسماء الموصولة... لوصف المظاهر الإحالية في النص، فهناك ما يسمى بالإحالة النصية التي تؤديها ألفاظ من قبيل: (قصة، خبر، رأي، فعل)(٢) وهذه جاءت تارة لتحيلنا إلى سابق ومنه لفظ **(سؤلك)** في قوله تعالى: **(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)**(٣) فلا يمكن تحديد الدلالة الفعلية لهذه المفردة إلا باستدعاء سابق يتمثل بنص تضمنته الآيات التالية: **(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي* وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً* وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً* إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً)**(٤).

أيّ أن لفظ "سؤلك" في هذه السورة يفسره عنصر إشاري لغوي، ويشكلان معاً بنية إحالية. ومن الألفاظ التي تحيل بنا على متأخر لفظ "تجارة"(٥) في قوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ**

---

(١) الإحالة في النص القرآني، ياسين فوزي أحمد بني ياسين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، صفحة ١٢١.

(٢) نسيج النص بحث ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، صفحة ١١٩.

(٣) طه: ٣٦.

(٤) طه الآيات من ٢٥-٣٥.

(٥) الإحالة في النص القرآني، ياسين فوزي، صفحة ١٢٢.

أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[1] **فتيحل على متأخر، وهو قوله تعالى (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ)**[2].

والناظر في النص القرآني بل والمتتبع له يلحظ الإحالة بنوعيها راسخة في آيّ هذا الكتاب على النحو الآتي:

أ- الإحالة داخل النص "قبلية وبعدية"

ومن أمثلة الإحالة داخل النص القرآني بالعودة على سابق أي – إحالة قبلية قوله تعالى: "**كل ذلك كان سيئ عند ربك مكروها* ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُورا**"[3].

يقول القرطبي ت (٦٧١) قوله تعالى " كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها " اشارة إلى جملة ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه ، وذلك يصلح للواحد والجمع والمؤنث والمذكر في تفسيره الإشارة بـ "ذلك" إلى هذه الآداب والقصص والأحكام التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة التي نزل بها جبريل عليه السلام[4].

والملاحظ أن اسم الإشارة عاد على نص متكامل فحقق بذلك إيجازاً وترابطاً من خلال العودة على نصوص متعددة، كانت بمثابة النص الواحد.

---

(1) الصف: ١٠.

(2) الصف: ١١.

(3) الإسراء: ٣٨-٣٩.

(4) الجامع لإحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، أبو عبدالله محمد بن أحمد مكي بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. صفحة ٨٦.

ومنه قوله تعالى: (**أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**)(١).

قوله تعالى "الذي" نجد أن الاسم الموصول عادا على مرجع واحد سابق ،هو لفظ الجلالة الله .وفي الآية نفسها يقول تعالى "والذين" فهذا الاسم الموصول عاد على متأخر (الممترين) وهم "علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل وقبلهم مؤمنو أهل الكتاب"(٢).

ومن أمثلة الإحالة البعدية في القرآن الكريم قوله تعالى: (**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(٣).

ورد في الآية الكريمة الاسم الموصول مجملاً؛ ليأتي تفصيل هذا المجمل فيما بعد. يقول القرطبي :"قوله تعالى (ما حرم) الوجه في ما أن تكون خبرية في موضع نصب (أتلُ) والمعنى تعالوا اتل الذي حرم ربكم عليكم"(٤). وبذلك تقرّ جملة الصلة على أن الآتي بعدها هو تفسير لهذا العنصر الإحالي (ما لمعنى الذي) فتكون (ما) أحالتنا إحالة بعدية إلى الأمور التي حرمها الله وهي عدم الشرك بالله، وعدم قتل الأولاد خشية الفقر، وعدم القرب من الفواحش...إلخ.

فانظر إلى هذا التماسك النصي المتحقق من خلال جملة الصلة المرتبطة ارتباطاً تفسيرياً لما بعدها.

---

(١) الأنعام: ١١٤.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، الجزء الثامن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، صفحة ٣٩٣-٣٩٤.

(٣) الأنعام: ١٥١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الجزء التاسع، صفحة ١٠٥.

ب- الإحالة الخارجية:

تمثلت الإحالة الخارجية في القرآن بالضمائر، سواء كانت ضمائر المتكلم، أم المخاطب أو الغائب .وقد جاءت الإحالات الخارجية المرتبطة بضمير الغائب(١) تدور أكثرها حول ثلاثة موضوعات رئيسية – أيّ أن المحال عليه في مثل هذا النوع يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم– والقرآن الكريم ومشركي مكة(٢).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ*الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ* فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً* فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)**(٣).

وقوله تعالى: **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)** (٤).

فالضمائر الواردة في السورتين هي من قبيل الإحالة الخارجة ؛لأنها تعود على شخص غير مذكور في الآيات الكريمة إلا أن الضمير هو من أحالنا بل وأشار إليه وهو رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

كذلك قوله تعالى: **(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**(٥) وقوله **(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)**(٦) وقوله (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)(١).

---

(١) بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، صفحة ٧٠-٧٤ تحدث فيها عن حقيقة ضمير الغائب في القرآن.

(٢) انظر العلاقات النصية في القرآن الكريم، مصطفى أحمد عبدالعليم، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، www.almaktabh.net. وانظر الإحالة في النص القرآني، ياسين فوزي، صفحة ١٣٣.

(٣) سورة الشرح.

(٤) سورة الكوثر.

(٥) النجم: ٤.

(٦) الحاقة: ٤٠.

الضمائر الواردة في هذه الآيات سواء متصلة أو منفصلة أحالتنا إلى ما هو خارج النص وهو القرآن الكريم.

ومنه قوله تعالى: **(بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ)**(٢).

فالضمائر في (قلوبهم) و(لهم) و(هو) يعود على مشركي مكة.

وقد يأتي الضمير في الآية الكريمة وتتعدد فيه احتمالات المحال إليه ومن ذلك:

قوله تعالى **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**(٣).

يقول ابن عاشور:" إن الضمير المنصوب في قوله تعالى "يعرفونه" إما أنه عائد إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم– أو أنه عائد إلى الحق أو إلى العلم"(٤).

وتعدد الاحتمالات في عودة الضمير يتطلب من المتلقي للنص بحثاً ومراجعة؛ ليرجح احتمالاً على الآخر، وقد يرجحها جميعاً .وهذا ليس بالأمر الهين وليس اعتباطاً، أو عشوائياً بل له مؤهلاته ؛ لذلك وجب على متلقي النص أثناء مراعاته لقانون التوافق بين الضمير والعنصر المحال إليه ،أن يراعي أموراً معينة وهي سياق الآية المتضمنة للبنية الإحالية ،وسياق الآيات والسورة المحيطة بالآية، ومناسبة الآيات، وسبب النزول كما ينبغي أن يكون هذا المتلقي على درجة من

(١) الطارق: ١٣–١٤.

(٢) المؤمنون: ٦٣.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، المجلد الأول، دار سحنون. تونس، صفحة ٤٠.

الوعي والثقافة(١). وما هذه الأمور السابقة إلا دليلٌ على تماسك النص القرآني من خلال علاقات آياته بعضها ببعض،وعلاقة الآيات بالسورة نفسها ،وعلاقة السور بعضها ببعض.

١-٢ التعريف:

يورد القرآن كلمات كثيرة غير مقصورة على المعنى المتبادر منها في أول الأمر، بل عند انعام النظر نجد أن دلالتها تتسع وأن لها ايحاءات مضيئة توحي بالمعنى الأهم والمقصود الأدق(٢). فالله سبحانه وتعالى أودع كتابه بلاغةً اقتضت الدقة والإحكام في التعبير، فلم تأت هذه الكلمات عبثاً ،بل كانت مقصودة لغرض إرادة المولى – عز وجل- .ومن الجوانب التي تجلت فيها عظمة الإعجاز البلاغي التعريف ،الذي ورد في القرآن الكريم في مقامات مختلفة تبعاً لاختلاف كل نوع من أنواع التعريف؛ ذلك أن التعريف في القرآن الكريم ارتبط بجملة من الأسباب منها :الإشارة إلى معهود خارجي كقوله تعالى **(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً* فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً)**(٣).

"الخطاب لأهل مكة فإن قلت لم نكر الرسول ثم عرف ؟ قلت : لأنه أراد : أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل ، فلما أعاده ، وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه "4 .

---

(١) انظر ظاهرة الاقتصاد اللغوي في القرآن "الضمير والحذف أنموذجين"، نواف عبدالكريم إبراهيم غرايبة، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، صفحة ٦٧- ٧٠ بتصرف.

(٢) من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، عبدالفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، صفحة ١٧.

(٣) المزمل: ١٥-١٦.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق أبو عبدالله الداني بن منير آل زهوي" الجزء الرابع، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ٢٠١٢م، صفحة ٤٨٣.

أو معهود ذهني كقوله تعالى **(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)**(١).

كلمة الشجرة، تدل على شيء موجود في ذهن المخاطب.

أو لمعهود حضوري نحو: **(اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورضيت لكم الاسلام ديناً)**(٢) فقد نزلت يوم عرفة.

وغير ذلك من الأسباب التي جاءت بها الكلمة معرفة في القرآن الكريم(٣).

١-٣- الاستبدال:

ذكرنا في المبحث الأول أن الاستبدال تعويض عنصر في النص بعنصر آخر مع المحافظة على الاستمرارية الدلالية. ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ)**(٤).

فقد تم استبدال كلمة أخرى بكلمة فئة.

---

(١) الفتح" ١٨.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الجزء الرابع، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، صفحة ١٠٣-١٠٧. وانظر مباحث علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، صفحة ١٧٩-١٨٠.

(٤) آل عمران: ١٣.

ومنه قوله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** حتى قوله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[١].

إن دلالة اسم الإشارة (ذلك) في الآيات الكريمة تعود غلى النعم التي ذكرها الله عزوجل ، ففي الآية الأولى (إن في ذلك)أي (في خلق الله لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها)وفي الآية الثانية (إن في ذلك) تعود دلالته على رؤية البرق وما يثيره في النفس وعلى إنزال الماء من السماء، وفي الوقت نفسه حقق اسم الإشارة إحالة على السابق لتدلنا على الآيات التي سخرها الله لعباده حتى يتفكروا في الأولى ويعقلوا في الثانية ، وكل فاصلة قرآنية تكون مرتبطة تمام الارتباط بالمعنى الذي يذكر فب الآية التي تسبقها .

فلاحظ تآزر تلك العناصر النصية بعضها مع بعض ،في هذه الصورة المتينة المحكمة. يشدد بعضها الآخر إذ تبين حكمة رب العزة التي فيما أراده لعباده فكان مدعاة للتفكر وإعمالاً للعقل في مثل هذه النعم التي أنعمها الله .ولنتأمل ذلك النص القرآني الواحد الذي يكشف لنا عن الترابط البياني في الآية الكريمة الأخيرة، إذ يقول تعالى **(يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً)** فجعل سبحانه وتعالى البرق مدعاة "للذعر والخوف تارة، ثم هو سبب ليطمئن عباده بعدها مباشرة" أن هذا البرق الذي يخيفكم هو إشارة لنزول الماء من السماء ؛لتحيوا به فسبحان من جعل الخوف سبيلاً إلى الأمان والاطمئنان وهذا من عجائب التعبير القرآني .

---

(١) الروم: ٢١-٢٤.

١-٤- **الحذف**

يُقصد بالحذف إسقاط بعض الصيغ الموجودة في النص سواء أدى ذلك إلى حدوث تغير إعرابي لبعض الصيغ الباقية ،أو إثباتها على ما كانت عليه[١]. وقد جاء الحذف كثيراً ومتنوعاً في آيات القرآن الكريم الأمر الذي أدى بمفسري، ومعربي القرآن بتقديره من خلال الآية الكريمة التي وقع فيها الحذف ،أو من خلال القياس على نظائرها من الآيات الكريمة الأخرى .وقد جاء الحذف في القرآن الكريم على النحو الآتي[٢]:

- حذف ما ليس بجملة ولا تركيب مثل حذف المبتدأ، الخبر، الفاعل، المفعول به، المضاف، المضاف إليه، حذف الحرف...الخ
- حذف الجملة مثل حذف الأجوبة مثل حذف جواب الشرط والقسم والاستفهام، حذف جملة الشرط، حذف جملة القسم، حذف جملة الحال...الخ
- حذف تركيب

وتكمن فائدة الحذف في التخفيف[٣] وفي التفخيم والإعظام[٤] لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن في كلّ مذهب... فعند ذلك يعظم شأنه ويعلوا في النفس مكانه وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل... وغير ذلك

---

(١) أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان – الأردن، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، صفحة ١٥. وقد ذكر صور مصطلح الحذف عند علماء اللغة أمثال سيبويه، والمازني والجاحظ... الخ صفحة ١٣ وما بعدها.

(٢) انظر الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبدالسلام أبو شادي، مكتبة القرآن، القاهرة، صفحة ٤٣ وما بعدها. انظر البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث صفحة ١٥١ وما بعدها.

(٣) إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، الطبعة الأولى، مطبعة الإسلام، ١٣١٥هـ، فصل في وصف وجوه من البلاغة.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١١٩-١٢٠.

ونظراً لتعدد أنواع المحذوفات في القرآن الكريم سنقتصر على ذكر بعض الأمثلة التي وقع فيها الحذف لأن المقام لا يتسع لذكرها جميعاً.

- حذف المبتدأ مثاله قوله تعالى **(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ)**[١].

يقول الزمخشري (ت٥٣٨) في تفسيره هم أموات بل هم أحياء[٢].

ويقول القرطبي: ارتفع أموات على إضمار مبتدأ وكذلك بل أحياء أي هم أموات وهم أحياء[٣].

فقد أفسح الحذف المجال للمتلقي للتفكر والتدبر واستقطاب جميع الأطراف الواردة في الآية الكريمة وقوله تعالى **(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)**[٤].

وفي قوله تعالى خالدين حملت على معنى الجمع في (ومن يعص)[٥].

وكأن التقدير (هم خالدين) فيها أبداً.

ومن أمثلة حذف الخبر قوله تعالى: **(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)**[٦].

قُرئت أمن بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال (أم) عليه، و(من) مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وحذف الخبر لدلالة الكلام عليه... وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر[٧].

---

(١) البقرة: ١٥٤.
(٢) الكشاف، الجزء الأول، صفحة ١٥٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثاني، صفحة ٤٦٢.
(٤) الجن: ٢٣.
(٥) الكشاف، الجزء الرابع، صفحة ٤٧٦.
(٦) الزمر: ٩.
(٧) الكشاف، الجزء الرابع، صفحة ٨٧.

وقوله تعالى: "**إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قال سلامٌ قوم منكرون**"[١].

في قوله تعالى (سلاماً) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه . وأصله نسلم عليكم سلاماً، وأما (سلامٌ) فمعدول به إلى الرفع على الإبتداء . وخبره محذوف ، معناه : عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام ، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به[٢].

ومن أمثلة حذف جملة الجواب قوله تعالى **(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً)**[٣].

في قوله تعالى ولو (أن قرآنا) جوابه محذوف، كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك وتترك الجواب. والمعنى: ولو أن قرآناً "سيرت به الجبال" عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها... لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف[٤].

ومن حذف جملة الشرط قوله تعالى **(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ)**[٥].

(فقد سألوا موسى) جواب لشرط مقدر ،معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى[٦].

موسى[٦].

فحذفت جملة الشرط وقدرت نظراً لوجود جواب لها.

---

(١) الذاريات: ٢٥.
(٢) الكشاف، الجزء الرابع، صفحة ٣٠٤.
(٣) الرعد: ٣١.
(٤) الكشاف، الجزء الثاني، صفحة ٣٨٩.
(٥) النساء: ١٥٣.
(٦) الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٤٤٩.

ومن أمثلة حذف التركيب قوله تعالى **(اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**(١).

يقول الله تعالى إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم وفي الآية الثانية يقول (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ) فلماذا وردت "إليهم" في الآية الأولى ولم يقل فألقه لها. يقول الزمخشري لما ألقي الكتاب إلى بلقيس كانت مع قومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماماً بأمر الدين واشتغالاً به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع.

– وفي الآية الثانية يقول تعالى **(قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).**

فقوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم استئناف وتبيين لما ألقي لها(٢)، وتأمل في البيان القرآني كيف يعلمنا منهج كتابة الرسائل وأدبها وايجازها ،ويمكن أن تعد هذه الرسالة أوجز رسالة في التاريخ وأكثرها اعجازاً ؛ إذ ورد فيها (المرسل) : (إنه من سليمان)وورد فيها البدء ب (بسم الله الرحمن الرحيم)وهذا منهج خالد ورد فيها النص الموجز (ألا تعلموا علي وآتوني مسلمين). فأي اعجاز ، وأي ايجاز هذا .

وعليه فقد جاء الحذف في القرآن الكريم يحمل في طياته هدفاً بلاغياً، متمثلاً في إيجازه وقدرته على تحقيق الغرض، مع وجود هدف تربوي يتمثل في التعليم التنبيه(٣) حيث إن المرتل لكلام الله كلما مرّ بموضع من مواضع الحذف تضاعفت يقظته إذا كان يقظاً،وتنبه إن كان غافلاً

---

(١) النمل: ٢٨-٢٩-٣٠.

(٢) الكشاف، الجزء الثالث، صفحة ٢٧٥.

(٣) الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، صفحة ١٥٢ ، بتصرف .

هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإن الأصل في التربية الحديثة عدم إعطاء المعلم للتلميذ المعلومة جاهزة بوجههم بل ويعينهم بالمناقشة الهادفة ثم يتركهم يستنبطون المعلومة بأنفسهم.

١-٥- الربط "العطف"

يعد العطف من أهم أدوات الربط النصي وقد درسه النحاة ضمن طائفة التوابع وقسموه إلى قسمين وفي هذا يقول ابن مالك[١] (ت ٦٧٢).

العطف: إمّا ذو بيان أو نَسَقْ والغرضُ الآنَ بيانُ ما سبق

فذو البيان: تابع، شِبْهُ الصفه حقيقة القصد به منكشفه.

وعليه فقد قسم النحاة العطف إلى:

- عطف البيان وهذا النوع من العطف يتبع متبوعه في الإعراب وفي التعريف والتنكير[٢]... وذكروا صحة إعراب هذا النوع من العطف بدل كل من كل.

- عطف النسق: وهو العطف بكل حروف العطف المعروفة ،ولعلهم سموه نسقاً ؛لأنه ينسق الكلام بعضه على بعض، بحيث يأخذ المعطوف نسق المعطوف عليه في أحكام معينة[٣].

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، صفحة ٢١٨.

(٢) التطبيق النحوي، عبده الراجحي، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان- الأردن، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م صفحة ٣٩٦ بتصرف.

(٣) نفسه صفحة ٣٩٦-٣٩٧ وانظر بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٩٨١م، صفحة ٤٧ وما بعدها تحدثت في هذا الفصل عن أساليب العطف في القرآن عند النحاة والبلاغيين.

وقد درس النحاة والمفسرون[1] عدة مباحث في باب العطف ،مثل عطف المفرد على مثله، وعطف الجملة على الجملة ،وعطف الاسم على الاسم ،وعطف الفعل على الفعل ،والعطف على المضمر والعطف السببي...الخ.

وسنكتفي بضرب بعض الأمثلة على بعض مباحث العطف السابقة وصولاً إلى التماسك الذي تحقق من خلال هذا الربط ،أو العطف الحاصل بين الآيات القرآنية. وقد ذكر السيوطي[2] أن هذا الارتباط إما أن يكون ظاهراً لتعلق الكلم بعضه ببعض ،بحيث تكون الثانية للأولى على وجه التأكيد ،أو التفسير، أو الاعتراض، والبدل، ولا بد أن يكون بينها جهة جامعة. وإما أن يكون هذا الارتباط غير ظاهر، بل يظهر وكأن كل جملة مستقلة عن الأخرى، الأمر الذي يقتضي دعامة تؤذن باتصال الكلام ،وهي قرائن معنوية مثل التنظير، والمضادة ،والاستطراد وغيرها[3].

أولاً- عطف المفرد على مثله:

مثاله قوله تعالى **(يا أيها الذيم ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)**[4].

وفائدة هذا العطف[5] تحصيل مشاركة الثاني للأول في الإعراب ؛ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته ،أو مفعوليته ليتصل الكلام بعضه ببعض.

ثانياً: عطف جملة على جملة أو عطف قصة على قصة

---

(1) يُنظر البرهان في علوم القرآن، الجزء الرابع صفحة ١٢٠-١٣٦.

(2) الإتقان في علوم القرآن، المجلد الثاني، صفحة ٣٠٢ وما بعدها بتصرف.

(3) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبدالعظيم إبراهيم محمد المرطعني، الجزء الأول، مكتبة وهبة، القاهرة، صفحة ٤٠٣-٤٠٦.

(4) المائدة: ٩٠.

(5) البرهان في علوم القرآن، الجزء الرابع، صفحة ١٢٠.

ونجد أن هذا النوع كانت الإشارة له قليلة في كتب النحو فقد أسلفت سابقاً أن النحاة جعلوا العطف في قسمين :الأول: البيان. والآخر: النسق. إلا أننا نجد ابن يعيش (ت٦٤٣) يتعرض لعطف الجمل فيقول "والغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض، واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى ،والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء ،وذلك إذا كانت الجملة الثانية أجنبية من الأولى غير ملتبسة بها ،وأريد اتصالها بها فلم يكن بد من الواو لربطها بها"[١].

ما نلحظه من كلام ابن يعيش هو أن الجمل المتعاطفة تترابط فيما بينها بواسطة حروف العطف حين يكون بينها علاقة تربطها. وقد جعل السيوطي هذه العلاقة في نوعين :الأولى[٢]: التضاد ومثاله قوله تعالى **(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا)**[٣].

وقوله تعالى: **(وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**[٤].

فالجهة الجامعة هي التضاد بين الولوج ،والخروج والنزول ،والعروج والقبض، والبسط.

والثانية: ترتيب الخطاب.

ويُقصد بترتيب الخطاب أن القرآن الكريم جرت العادة فيه إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون باعثاً على العمل بما سبق ،ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والتناهي كما في سورة البقرة والنساء والمائدة.

---

(١) شرح المفصل، موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش، الجزء الثالث، عالم الكتب، بيروت، صفحة ٧٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، المجلد الثاني، صفحة ٣٠٢.
(٣) الحديد: ٤.
(٤) البقرة: ٢٤٥.

وقد كان عبدالقاهر الجرجاني أكثر تفصيلاً لهذا النوع من العطف فرتب الجمل على ثلاثة أضرب هي[١]:

١. جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف. والتأكيد مع المؤكد ،فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها، لو عُطِفَت بعطف الشيء على نفسه.

٢. جملة حالها مع التي قبلها الاسم يكون غير الذي قبله ،إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاًأو مضافاً إليه فيكون حقها العطف.

٣. جملة ليست في شيء من الحالين. بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم ،لا يكون حقه في شيء ،فلا يكون إياه ولا مشاركاً في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به ، يكون ذكر الذي قبله ترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً وحق هذا ترك العطف البتة.

وما يهمنا من كلام عبدالقاهر إشارته إلى عطف الجمل بعضها على بعض ،وفي هذا يقول "اعلم أن مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان.. [٢] ويخلص عبدالقاهر إلى بيان أمر هذا العطف بقوله إن هذا العطف إما أن يكون بعطف جملة على جملة ،أو أن تعطف هذه الجملة على جملتين ،أو مجموعة جمل، ثم تعطف مجموع هذه الجملة على تلك[٣] ومثال هذا العطف قوله تعالى: **(ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين)**[٤] فقد **عُطف قوله تعالى (ثم نتبعهم**

([١]) دلائل الإعجاز، مرجع سابق، صفحة ٢٤٣.

([٢]) السابق صفحة ٢٤٣.

([٣]) نفسه صفحة ٢٤٥ بتصرف.

([٤]) المرسلات ١٦-١٧.

الآخرين) على قوله تعالى (ألم نهلك الأولين) والمقصود " ثم نفعل بأمثالهم مثل ما فعلنا بالأولين ، ونسلك بهم سبيلهم ؛ لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود (ثم سنتبعهم) وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ، ثم أتبعهم بالآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى ."[١].

ومن قبيل عطف القصة على القصة قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)** [٢].

هذه الآية ابتداء لذكر قصة المنافقين من الآية الثامنة حتى الآية العشرين ويقول الزمخشري: "إن سورة البقرة افتُتحت بذكر الذين أخلصوا دينهم... ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة. ثم تلت بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا ،وسماهم المنافقين. فكان وصف الله تعالى لحال الذين كفروا في آيتين ولحال المنافقين في ثلاث عشرة آية ويتابع بقوله قصة المنافقين حتى آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة"[٣].

مما سبق نجد في هذا الربط بين الآيات القرآنية ما يحقق التماسك الذي تستأنس وتطيب به نفس القارئ والسامع ،وهو يشعر بذلك الترابط القوي والمتماسك بترتيبه وتنسيقه وانسيابه على القلب مثل السمع. فسبحانه بأن جعل منه كتاب البشرية الخالد إلى يوم الدين.

---

(١) االكشاف ، الجزء الرابع ، صفحة ٥١١.

(٢) البقرة: ٨.

(٣) الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٥٤.

ثانياً- المستوى المعجمي أو الدلالي:

١-٢- التكرار

نالت قضية التكرار في القرآن الكريم اهتمام كثير من العلماء[١] الذين تفرقوا بين نفي وقوعه في القرآن وجوازه ؛لأن هناك أسباباً دعت إليه كالتقرير، والتأكيد، والتنبيه[٢] وغيرها من الأمور وقد جاءالتكرار ليؤدي وظيفتين الأولى: من الناحية الدينية باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع وأهم ما يؤديه من هذه الناحية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به[٣] وكأن هذا التكرار كان أكثر ما يكون في الأمور المتعلقة بصلب العقيدة كالأحكام ،والمعاملات، وقضايا التوحيد، وما إلى ذلك وفي هذا يقول النورسي: "إن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضاً في تكراره البليغ لجملة واحدة ،أو لفظة، وذلك عند إرشاد طبقات متباينة من المخاطبين إلى عدة معان وعِبَر كثيرة في تلك الآية أو القصة فاقتضى التكرار، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة كما أنه كتاب ذكر وتوحيد .وكل هذا يقتضي التكرار فكل ما كرر في القرآن الكريم إذاً من آية أو قصة إنما يشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة"[٤]. ولعل كلام النورسي يقودنا إلى القول بأن هذا التكرار جاء مقصوداً ،وما جاء بقصد إيصال غرض معين لا يمكن تكريرهُ فكل ما كرر في القرآن الكريم كان يحمل في طياته معنى وغرضاً وهدفاً جديداً.

---

(١) أمثال ابن قتيبة، سيد قطب، السيوطي، الزركشي... وغيرهم.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١٢ وما بعدها.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الجزء الأول، صفحة ٣٢٢.

(٤) التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً دراسة لغوية دلالية، سرمد طه حميد، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١١-٢٠١٢م ،صفحة ٣٦.

أما الوظيفة الثانية: فهي من الناحية الأدبية ذلك أن دور التكرار فيها متعدد وإن كان هذا الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها ،في معرض الوضوح والبيان"(١). أضف إلى ذلك الأثر النفسي الذي يحدثه التكرار في تكوين عاطفة تثير نوعاً من الانفعال اتجاه المكرر. وفي هذا يقول علماء النفس" لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة ولكن لابد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه ،فالتكرار هو السبيل لربط الانفعال به ،وتركزه حوله إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة(٢). ذلك أن الشيء المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها(٣).

وقد جاء التكرار في القرآن الكريم على وجوه:

١. تكرار الأداة ومثله قوله تعالى **(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)**(٤).

وقوله تعالى **(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)**(٥).

ما يلحظ على الآيتين السابقتين هو تكرار [إن] والظاهر في هاتين الآيتين يقتضي الاكتفاء [بإن] الأولى وطلب خبرها .وكان الخبر في الآيتين قوله تعالى" إن ربك من بعدها لغفور رحيم "لكن هذا الظاهر جاء بصورة مخالفة لحقيقته فقد تكررت [إن] مرة أخرى.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،عبد العظيم المرطعني، الجزء الأول، صفحة ٣٢٢.

(٢) الدوافع النفسية، مصطفى فهمي. الطبعة الرابعة، دار مصر، ١٩٦٠، صفحة ١٤٣.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١م، صفحة ١١٦.

(٤) النحل: ١١٠.

(٥) النحل: ١١٩.

وكان لهذا التكرار سبب يكمن في طول الفصل بين [إن] الأولى وخبرها وكما أن الغرض من [إن] هو التوكيد ولذا اقتضى الأمر إعادتها حتى تؤدي غرضها البلاغي المقصود منها(١).

٢. تكرار الكلمة مع أختها ومثاله قوله تعالى:

"**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب**"(٢).

تكررت [أولئك] مرتين.

فكأن أولئك كررت لزيادة مدح هؤلاء (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فأولئك متصفون بهدايتهم من الله ومتصفون بأنهم أصحاب العقول النيرة وكأن المعنى أن هؤلاء لما كانوا أصحاب عقول نيرة عرفوا فيها الحق من الضلال وسلكوا طريق الحق أثابهم الله بأن هداهم ،فالتكرار هنا له وظيفة عظيمة حاصلها أن مجيئها في الموضع الأول للإخبار بهداية الله لهم وفي الموضع الثاني بيان لحالهم بأنهم "أولو الألباب".

وقوله تعالى (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**)(٣).

تكررت [هم] ثلاث مرات

جاء الضمير الأول في هذه الآية مقترن بلام الجر التي تفيد الاختصاص للإشارة ،إلى أنهم في حالتهم هذه قد هيئ لهم سوء العذاب ،والظاهر أن المراد هو عذاب الدنيا .وجيء بهذا الضمير ملتصقاً بلام الجر التي تفيد الاختصاص لتفيد أن هذا العذاب مهيأ لهم تهيئة بأن ينالوا العذاب إذ

(١) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المرطعني، صفحة ٢٢٢-٢٢٣، بتصرف.
(٢) الزمر: ١٨.
(٣) النمل: ٥

بقوا على كفرهم .ويمكن تجنب هذا العذاب بإيمانهم لكن في الضميرين التاليين (وهم في الآخرة هم الأخسرون) فالجزاء هنا لا يكون مهيأ وإنما قد وقع أصالة عليهم لأنهم جاءوا بكفرهم(١).

لكن السؤال لماذا لم يقل الله هم في الآخرة الأخسرون فما الداعي من تكرار الضمير؟ لعل السبب في ذلك هو تأكيد رب العالمين على ثبات الجزاء فيهم بدليل أنه قرن الآخرة والأخسرون بضمير الفصل (هم) للتأكيد على أن هؤلاء في الآخرة مصيرهم الخسارة ؛أي لزيادة ثبات جزائهم المستحق في الآخرة وذلك لما تحمله الجملة الاسمية من دلالة الثبوت.

٣- تكرار الفاصلة القرآنية.

ومنه تكرار قوله تعالى **(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)** في سورة الرحمن .والتكرار الوارد في سورة المرسلات **(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)** والتكرار الحاصل في سورة القمر قوله تعالى **(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)**.

ولعل السبب العام الذي اقتضى هذا التكرار أن الفاصلة القرآنية جاءت عقب ما من شأنه أن يكون أكبر داعٍ من دواعي الإيمان بالله وعدم الشرك فيه، فوقوع الفاصلة في سورة الرحمن كان بداعي سياق ومقام هذه السورة ،إذ جاءت لتعدد عجائب خلق الله وقدرة صنعه المحكمة وذكر للنار وشدائدها، ووصف للجنة والنعيم الحاصل فيها فاقتضى الأمر هذا التكرار تنبيهاً بل وتأكيداً على نعم الله وحثاً على شكره.

يقول الإمام الجوزي:"إن التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها . قال ابن قتيبة من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز"١ .

(١) التحرير والتنوير، المجلد الثامن، صفحة ٢٢٢.

أما في سورة المرسلات فقد جاءت هذه الفاصلة عقب أمور هي سبيل للإيمان والتصديق والنأي عن التكذيب، بدليل البراهين القوية التي قُدمت لنا سواء كانت في مشاهد أحوال يوم القيامة أو مشاهد قدرته سبحانه وتعالى فقد جاء هذا التكرار عقب آية غير الآية الأولى فلم يكن هذا التكرار مخلاً بل لو لم يحصل هذا التكرار لكان الوعيد حاصلاً للبعض دون الآخر.

أما سورة القمر فقد تكررت هذه الفاصلة عقب كل حادث فاجع أصاب قوم نوح وعاد وثمود ولوط وما جاء في هذه القصص من التحذير والتخويف مما حلّ بتلك المقام فكانت هذه الفاصلة بمثابة التذكير والتحذير لهؤلاء المعرضين عن الدين المتخبطين في الضلال فجاء قوله تعالى: **(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)** لتذكيرهم بأن عاقبتكم ستؤول إلى ما آلت إليه عاقبة أولئك الأقوام الذين قص القرآن علينا أخبارهم.

نخلص إلى أن تكرار هذه الفواصل القرآنية لم يكن عبثاً وإنما ذكرها الله ليحاجج عباده بالنعم والأدلة والبراهين على قدرته وعلى العذاب الذي سيقع على كل من نأى عن هذه الحجج واختار طريق الضلال والشرك به – سبحانه وتعالى– أضف إلى ذلك أن فواصل القرآن كلها فيها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها"(٢).

٤– تكرار القصص القرآنيّ:

المتدبر لكتاب الله عز وجل يجد في قصصه عبرة وغاية وجب على الإنسان الاسترشاد بها والتوجه إلى المعاني التي تحتشد خلف هذه القصص، وكثير من قصص الأنبياء وردت في غير ما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، المجلد الرابع ، الجزء السابع ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، صفحة ٣٠٧

(٢) الفاصلة القرآنية شكلاً وبلاغة، عمار توفيق بدوي، الطبعة الأولى، أكاديمية القاسمي، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م، صفحة ٨٧.

موضع،وفي سور مختلفة مثل، قصص سيدنا موسى عليه السلام ، ونوح ،وآدم عليهم السلام وغيرهم . وبعض هذه القصص وردت مرة واحدة مثل قصة أهل الكهف ويوسف عليه السلام .إلاّ أن السؤال المتبادر للذهن هنا هو :هل جاءت هذه القصص بنمط واحد وهيئة واحدة، يجيبنا صاحب الظلال على ذلك قائلاً:

"قد يحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني ؛لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حادثة تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق وأنه حينما تكررت قصة كان هناك جديد يؤديه ينفي حقيقة التكرار"(١).

من هنا فإن تكرار القصص القرآني لم يكن على نمط واحد ،الأمر الذي يجعلنا نقول إن هناك فروقاً بين هذه القصص في المواضع التي تكررت فيها. فهناك اختلاف في عرض أحداث تلك القصص ،وفي طولها ،وقصرها وهذا يعني أنه "إذا تكررت القصة زيدَ فيها شيءٌومثاله ذكر الحية في عصا موسى ،وذكرها ثعباناً – في موضع آخر(٢)" وعليه فإن هذه القصص جاءت مكررة في كونها قصة تحض نبياً ما مع قومه ،إلا أن تفاصيلها لم تكن واحدة في كل سور القرآن التي جاءت فيها، ذلك أنه "إذا كانت القصة في كل سورة تحقق هدفاً مرتبطاً بالسياق الوارد فيها فلا يعد ذلك تكراراً في حقيقة أمره ،بل تكرارٌفي شكله الظاهري، فقد تذكر القصة كاملة، أو من بدايتها ،أو وسطها ،أو آخرها تبعاً لهدف السورة ،وهذا يؤدي إلى التماسك النصي بين القصة وسياقها التي

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، المجلد الأول، الطبعة الرابعة والثلاثون، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، صفحة ٥٥.

(٢) روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الصفحة ١٤٠.

وردت فيه، وبين هذه القصة وما عرض منها في السور الأخرى"[1]. فما هذا التكرار إلا وجه من وجوه إعجاز هذا الكتاب وبلاغته فأين نحن من بلاغة هذا الكتاب في هذه الخصيصة على وجه التحديد – التي تظهر للعيان على أنها تكرار في أمرها الظاهري. وفي حقيقة أمرها أنها غير مكررة، لأن كل مكرر جاء ليعطي غرضاً وهدفاً جديداً مقصوداً الأمر الذي جعلني أضم صوتي لكل من قال بعدم وجود التكرار في القرآن الكريم.

٢-٢- التضام أو المصاحبة:

أسلفت في المبحث الأول أن هناك جملة من العلاقات التي تحقق لنا التضام في النص، من هذه العلاقات التضاد وعلاقة الجزء بالكل ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

قوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[2].

فالتضام تحقق في قوله تعالى: **(الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)** ثم قوله تعالى **(وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**.

ومنه قوله تعالى **(أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ)** [3].

قوله تعالى: **(يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ)** الأصبع جزء من اليد ،والأنملة جزء من الأصبع، وفي هذه الآية جاء الأصبع هنا ليدل على الأنملة فلا يعقل أن يجعل الأصبع كله في الأذن "ولكن لما كان

---

(1) انظر دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبدالله علي سيف العبيدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م الصفحة ٢١٠.

(2) الروم: ٥٦.

(3) البقرة: ١٩

الغرض التمثيل لحال المنافقين بحال ذوي الصيّب الذين تزعجهم أصوات الرعد فلو استطاعوا أن يجعلوا أصابعهم كلهم في آذانهم لفعلوا ذلك"[١].

٢-٣- العلاقات:

هناك جملة من العلاقات قائمة بين آيات القرآن الكريم سواءً كانت هذه العلاقات ضمن آيات السورة الواحدة ،أم ضمن آيات سور القرآن بالإجمال، فقد جاءت آيات مفسرة ومبينة لآيات في سور أخرى وما هذا إلا تأكيد على تماسك هذا النص القرآني وعظمته، ولعل هذه القرائن من الأمور التي تدخل في إطار الروابط المعنوية بحيث تُدرك من قبل قارئ للقرآن، وتفسيره ومن هذه العلاقات:

أ- البيان والتفسير

ويقصد بها أن في كتاب الله كلماتٍ لاحقةً تكون بياناً لكلمة أو جملة سابقة لها، فنحن أمام شيء مبيِّن وشيء بحاجة إلى بيان وإيضاح. وهناك علاقة معنوية تربطهما تغني عن استخدام روابط لفظية لتكسب المبهم صفة البيان ومثاله:

قوله تعالى: **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)**[٢].

وقوله تعالى يذبحون بيان وتفسير لقوله تعالى(يسومنكم سوء العذاب) ولذلك ترك العاطف بينها[٣].

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، الطبعة التاسعة، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، صفحة ١٥٦.

(٢) البقرة: ٤٩.

(٣) الكشاف، الجزء الأول، صفحة ١٠٩.

وقوله تعالى **(كُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ)**(١).

جاءت كلمة الفجر تفسير وبيان للخيط الأبيض "وهو أول من يبدو من الفجر المعترض في الأفق" واكتفى به عن بيان الخيط الأسود؛ لأن بيان أحدهما بيان للثاني"(٢).

وغيرها الكثير في كتاب الله.

ب- الإجمال والتفصيل:

يذكر السيوطي أسباباً لورود الإجمال في القرآن الكريم منها الاشتراك، والحذف ،واختلاف مرجع الضمير(٣).

ومن الآيات المجملة في القرآن الكريم قوله تعالى

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ)(٤).

فقد جاءت هذه الآية مجملة وذلك في قوله تعالى(بما ضرب للرحمن) ليأتي تفصيلها في قوله تعالى: **(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ)**(٥).

ج- العام والخاص

العام: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر(١) وفي مقابله يكون الخاص فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر وتخصيص(٢) هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام.

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) انظر الكشاف، الجزء الأول، صفحة ١٧٧.

(٣) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد البجاوي، القسم الأول، دار الفكر العربي، صفحة ٢٢١.

(٤) الزخرف: ١٧.

(٥) النحل: ٥٨.

وهناك صيغ وردت في القرآن الكريم تحمل دلالة العموم مثل أسماء الشرط وأسماء الاستفهام والاسم الموصول وصيغة كل وجميع... وغيرها(٣).

ومن أمثلته في القرآن:

قوله تعالى: **(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ)** (٤).

خصصت هذه الآية بقوله تعالى:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ) (٥).

فالله سبحانه وتعالى خصص لنا من **(مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء)** طائفة لا يحل للشخص أن ينكح من إحداهن فما عداهن **(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء)**.

ومنه قوله تعالى: **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ)** (٦).

الزاني والزانية نوعان محصن وغير محصن فقد خصص الله ما على غير المحصن بنصف ما على المحصن من العذاب ودليل ذلك قوله تعالى: **(فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)** (٧).

---

(١) مباحث في علوم القرآن، صفحة ٢٠١.

(٢) نفسه، صفحة ٢٠٦.

(٣) انظر فيض الحنان في علوم القرآن، مصطفى رجب، المكتب المصري، ٢٠٠٠م، صفحة ١٢٩-١٣٤ وانظر معترك الأقران، القسم الأول، صفحة ٢٠٧-٢٠٧.

(٤) النساء: ٣.

(٥) النساء: ٢٣.

(٦) النور: ٢.

(٧) النساء: ٢٥.

هذه الأمثلة هي غيض من فيض القرآن الكريم والتي إن دلت على شيء تدلنا على أنه كتاب متكامل بمثابة السورة الواحدة التي يجدُ فيها الظمآن الملاذ في كل شيء فما أُبهِم من ناحية فُسِر في ناحية أخرى وما عمم من جانب خص في جانب آخر ليتضح الأمر.

فالقرآن الكريم معجزٌ في جميع جوانبه في لفظه وتعبيره وخصائص أسلوبه وتنسيقه على مستوى واحد من دون اختلاف.

ثانياً: التماسك بين سور القرآن

يعدّ التماسك النصي في القرآن الكريم تماسكاً فريداً لا يرقى له أيّ نص من نصوص العربية الذي دعاني إلى قول هذا هو أننا نجد في القرآن الكريم نصوصاً متداخلة ومترابطة في آن واحد ضمن السورة الواحدة ،وكذلك نجد فيه النص الواحد في إطار سوره المتعددة ،وبالرغم من أن بعض سور القرآن جاءت تحمل حقائق نظرية وعلمية وعقائدية في جرس خاص بها ونظام تميزت به عن غيرها من السور، لكنها التقت مع السور الأخرى في كونها كلاً متكاملاً لافصل بينهما ، ولا يشعر القارئ إلا أنه في نص واحد فسور القرآن فيها تفصيل للمعاني مصحوب بالترتيب والتبيان والتوضيح بالرغم من تعدد الموضوعات الواردة فيها إلاّ أنها ترجع كلها لتصبَّ في بوتقة واحدة هي الدعوة لتوحيد الله وعدم الشرك به فسبحان من "أنزل كتابه على أحسن أسلوب وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تراكيبه القلوب أنزله آيات بينات وفصله سوراً وآيات ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب ونظمه أحسن نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب"(١).

(١) تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، صفحة ٢٤.

وهناك مجموعة من العلاقات الحاصلة بين سور القرآن من خلالها يتحقق هذا التماسك المحكم نذكر منها[1]:

أ- علاقة تماسك بين بداية السورة وخاتمتها:

ومثاله سورة (ص) بدأها رب العالمين بالذكر بقوله تعالى :(ص والقرآن ذي الذكر) وختمها بقوله: **(إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ).**

وقد يكون الرابط بين بداية السورة وختامها ناتج عن علاقة تضاد تجمع بينها، كما في قوله تعالى في سورة المؤمنون **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)** وختمها بقوله **(إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)** يقول الزمخشري "جعل فاتحة السورة (قد أفلح المؤمنون) وأورد في خاتمتها (إنه لا يفلح الكافرون) [2].

ب- علاقة تماسك بين بداية السورة وخاتمة التي قبلها

ومثاله ختام سورة الإسراء في قوله تعالى (**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا)** وفاتحة سورة الكهف في قوله تعالى :

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً).

وكذلك التماسك الحاصل بين خاتمة سورة الواقعة في قوله تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم) وفاتحة سورة الحديد في قوله تعالى : (سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)

---

(1) انظر جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري الحسيني، مكتبة القاهرة، صفحة ١٤ وما بعدها. وانظر فواتح سور القرآن، حسين نصار. مكتبة الخانجي، القاهرة، صفحة ٢١١-٢١٥. وانظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب،محمد خطابي، صفحة ١٩٤-٢٠١.
(2) الكشاف، الجزء الثالث، صفحة ١٥٨.

ج- علاقة تماسك ايقاعي:

ومثاله سورة (ق) بدأت بقوله تعالى **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)** وتكررت فيها الكلمات المتضمنة لحرف القاف.

وكذلك سورة القلم بدأت بقوله تعالى **(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** وتكررت فيها الكلمات المتضمنة لحرف النون.

وهذا الإيقاع الموجود في سور القرآن ليس عملاً فنياً مقصود لذاته ،بل هو وسيلة من الوسائل التي تؤدي لتحقيق الغرض الديني وتجديد أسلوب الدعوة عن طريق الامتاع والتأنيس ذلك أن الأسلوب الديني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني بل إنه يتخذ الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب في الإنسان حاسته الوجدانية الدينية بلغة الجمال الفنية"[١].

د- علاقة تماسك حسب الحروف

كالتماسك الموجود في سور الحواميم أيّ أن هذه العلاقة علاقة ارتباط بين السور التي تبدأ بقوله تعالى حم وهي غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

---

(١) جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مزاري، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٩م، صفحة ٣٠.

الفصل الثاني :

وحدة بناء النص القرآني تركيباً ودلالةً

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أثر السياق في بيان الدلالة القرآنية.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث:الترادف في القرآن.

المبحث الأول: أثر السياق في بيان الدلالة القرآنية

مفهوم السياق لغةً:

جاء في لسان العرب ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وهو سائق وسوّاق. وقوله تعالى: {**وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ**}(١) قيل في التفسير: سائق يسوقها إلى محشرها... وسوَّاق يسوق بهن أي حادٍ يحدو الإبل فهو يسوقهن بحُدائِه. وسواق الإبل يقدمها، وانساقت الإبل وتساوقت إذا تتابعت... والمساوقة المتابعة كأنّ بعضها يسوق بعضاً.

والسّياق: المهر... وقيل للمهر سَوْق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً.

والسِّياق: نزع الروح... وكأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ويقال له السياق أيضاً. ومنه تَسَوَّق القوم إذا باعوا واشتروا... وسويْقَه تعني تجارة سميت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها(٢).

وقيل هو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث وهذا الكلام ساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقة: على سرده(٣).

ما يلاحظ على المعنى اللغوي للسياق هو شموليته لمعنى التتابع والانتظام لروْم غاية ،أو هدف يُنشد من هذه الحركة المستمرة دون انقطاع، فسوق الإبل يكون بحركة مرتبة ومنظمة، وسياق المرأة إما أن يكون من الإبل وقد يكون من النقود ويظهر الانتظام من خلال دفع هذه النقود بشكل

---

(١) ق: ٢١.

(٢) لسان العرب، المجلد السابع، مادة سوق. صفحة ٣٠٤-٣٠٥.

(٣) أساس البلاغة، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول، مادة سوق، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، صفحة ٤٦٨.

متتابع، والسياق الذي يقصد به نزع الروح أيّ: خروج الروح من جسد الإنسان يكون على مراحل بدليل مروره بسكرات الموت.

السياق اصطلاحاً:

لعل أول ما يطالعنا في الحديث عن المعنى الاصطلاحي للسياق، ما ذكره جون لونيز: بعدم وجود إجابة بسيطة يمكن أن تقدم عن السياق. لكن هناك حقيقة مؤكدة وهي: إن النظريات المعروفة عن السياق وخاصة اللغوية منها، تؤكد الحاجة إلى الربط بين العلوم المختلفة منها علم النفس والاجتماع والأنثربولجي، وكل هذه العلوم يمكن أن تساعد سياقياً في تحليل النص ، من خلال مزجها في عقل المتلقي ونفسيته.(١)

والناظر في كلام جون لوينز يلحظ أمرين:

الأول: هو عدم وجود إجابة بسيطة يمكن أن تقدم عن السياق، وأنا أوافقه في هذا الأمر – والسبب في ذلك– أن تتبع المفهوم اللغوي للسياق الذي وجب فيه أن يكون أصلاً في المفهوم الاصطلاحي، يؤدي بنا إلى حقيقة التتابع ،والترابط الحاصلة في النص ؛لإيصال فكرة معينة يكشف دلالتها السياق وعليه تكون دلالة السياق بيان لمعنى اللفظ من خلال الترابط الحاصل بين السابق واللاحق. أما في كون عدم وجود إجابة بسيطة للسياق فقد نجد نصوصاً يتتابع فيها الكلام دون أن يؤدي معنىً وغرضاً مقصوداً ،الأمر الذي يقودنا إلى طرح سؤال مفاده: ما دور السياق في مثل هذا الكلام؟

(١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، صفحة ٤٩.

نقول في ذلك بالرغم من تتابع الكلام إلا أن يغيبُ دوره في مثل هذا الكلام، فالسياق كاشف للدلالة والمعنى من خلال انتظام الكلام وترابطه، فإذا انتظم الكلام دون أن يؤدي معنى وغرضاً محققاً فُقِد السياق فيه لفقدان المعنى الذي يُكشف من خلال السياق.

الأمر الآخر: الربط بين العلوم بمختلف أنواعها،لتشكيل نظرة سياقية متكاملة يشغل المتلقي منها جزءاً في تحليل النص الأمر الذي يقودنا إلى القول بحقيقة العلاقة بين النص والسياق. فتحليل النص يعني تحليل عناصر الانسجام، وهذا الانسجام بين النص والسياق له مظاهر، هي الترابط وانسجام مكونات المقطع اللغوي الواحد، ثم المقاطع جميعها، ومراعاة الحالة العادية المفترضة للعالم... وأما مبادئ هذا الانسجام فتؤخذ من السياق وخصائصه ،ويتشكل السياق من المتكلم والمستمع ،والحضور، والزمان ،والمكان ،والموضوع، والعلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين كالإشارات والإيحاءات... والقناة الموصلة (كلام، كتابة) وشكل الرسالة "دردشة، جدال، عظة" والغرض ومعرفة العالم الممكن[١].

فالعلاقة بين النص والسياق متشابكة مترابطة، فالنص يحتوي على مكونات السياق والسياق هو الذي يوجد هذه المكونات.

وعليه فالمفهوم الاصطلاحي للسياق هو: التتابع بين المفردات والجمل لأداء معنى محدد وغاية مقصودة، دون أن يقتصر أداء هذا المعنى على "الكلمات والجمل السابقة واللاحقة بل القطعة كلها والكتاب كله إضافة إلى كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات"[٢].

(١) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، خلود إبراهيم سلامة العموش، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م، صفحة ٢٢-٢٣.

(٢) السياق والمعنى عند الإمام أبي حامد الغزالي في ضوء علم اللغة الحديث، سالم محمد (المقبل الحاج) الخوالدة، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، صفحة ٩.

أثر السياق في بيان الدلالة:

يعد السياق الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، كما وأنه النظام الرابط بين الجمل والكلمات والعناصر الإحالية الواقعة في فضاء النص، فلا يتم فهم معنى أي كلمة إلا بوصلها مع ما قبلها وبعدها داخل السياق، ذلك أنه هو الصورة الكلية التي تنتظم في داخلها جميع الصور الجزئية بحيث يأخذ كل جزء موقعه من الكل الوارد فيه.

فإذاً هذا حال السياق مع النصوص – التي تقل عن النص الإلهي– فكيف يكون أثر السياق في نصوص القرآن الكريم وآياته المنزلة على مسافات متباعدة تختلف باختلاف الأحوال والأوقات. إذن نحن أمام كتاب معجزٍ تنزلت آياته على نحو ثلاث وعشرين عاماً، ليتجلى بين أيدينا نصاً متكاملاً يجد فيه الإنسان ملاذه في كل أموره عقائديّة كانت أم حياتيّة. وضابط هذا النص المتكامل المتصل مع بعضه البعض هو ربط أول الكلام مع آخرهِ ،بحسب أسباب النزول وما اقتضاه الحال لهذه الآيات، وبهذه الطريقة نتمكن من فهم المبتغى، والمعنى المتجلي في الآيات الكريمة دون الوقوع في الضلال أو الإيهام على الإطلاق وفي هذا يقول الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ):

"إن المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل ،وهذا معلومٌ في علم المعاني والبيان فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضته الحال فيها. لا يُنْظَر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحد نازلة في شيء واحد"[١].

(١) الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي الشاطبي، بقلم الشيخ عبدالله دراز، الأزهر الشريف، الجزء الثالث، صفحة ٤١٣.

وقد جاء هذا السياق القرآني منطبعاً بخصائص وسمات متجلية وواضحة فيه وهي:

١. ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي:

إذ إن مهمة السياق الأولى هي تقييد مدلولات الألفاظ والمعاني المرادة وتحديدها على المتلقي فهو ضابط لفهم المتلقي، ذلك أن الألفاظ إذا تُركت دون تقييد أو تحديد حملت معاني مرادة وغير مرادة، ومن هنا نبعث حاكميته وسلطته على المتلقي فوظيفة المتلقي هي أن يعقل ويفهم ويقدم بالغ الجهد في الوصول إلى مراد المتكلم(١).

٢. وحدة السياق القرآني وعدم قابليته للتفكيك أو التجزيء:

ذلك أن آيات القرآن متشابكة مترابطة بعضهامع بعض بحيث لا تجد فيها أيّ انفصال أو انقطاع فيما بينها، ومردُّ هذا الأمر هو ترابط المعاني وتتابعها بعناية إلهية، حيث جاء هذا الترابط بين الآيات والمقاطع القرآنية بإحكام بديع من أوله إلى آخره كلاماً واحداً وسياقاً متواصلاً. ومثال ذلك قوله تعالى: **{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ* ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}**(٢).

يقول الطبري واتصل بقوله تعالى: **{ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}** بقوله تعالى: **{ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}**(٣).

---

(١) انظر السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح محمود، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، اربد– الأردن، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٢–٩١ بتصرف.

(٢) سورة يوسف: ٥١–٥٢.

(٣) تفسير الطبري، الجزء الثاني عشر، صفحة ٢٨٣.

قوله تعالى: "**ليعلم أني لم أخنه بالغيب**" تعني: أن سيدنا يوسف لم يخن العزيز في امرأته والذي أكدّ هذا الأمر اعتراف امرأة العزيز بأنها هي التي راودت يوسف عن نفسه.

فلنتأمل الحكمة الإلهية في انسجام آيات كتاب الله سابقها مع لاحقها، ولاحقها مع سابقها، فقد أقرّ سيدنا يوسف بعدم خيانته الذي تلاءَمَ مع إقرار امرأة العزيز بهذا الشيء.

٣. مرونة السياق القرآني وحيويته:

يتمتع السياق القرآني بمرونة في دلالاته المتنوعة، وتلك القابلية التي يتمتع بها السياق القرآني باحتماله لعدة معانٍ وقابليته لإعطاء أكبر قدر ممكن من المعاني، ما هي إلا دلالة على أن كتاب الله راعى جميع العقول والمفاهيم المتجليّة لدى الناس، وهذه المرونة تعدُّ مظهراً إيجابياً في دعوته لتفعيل عقل المجتهد وقصره على وحدة واحدة فحسب، وفي نفس الوقت بضبطه بضابط السياق الذي يعطيه مجالاً محدداً من التصورات والمفاهيم والمعاني.

والناظر في هذه الخصائص يَخْلُص إلى أهمية الدور البالغ للسياق في فهم وبيان الدلالة القرآنية، الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن عدم اعتبار السياق يؤدي إلى الوقوع في الخطأ وعدم ضبط التصور للمعنى المطلوب.

والشواهد الدالة على أثر السياق في بيان الدلالة القرآنية وفهمها كثيرة[١]، نذكر منها على سبيل المثال:

(١) انظر دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، الطبعة الأولى، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م صفحة ١٤١ وما بعدها فقد ذكر نماذج سياقية متعددة من آي القرآن الكريم.

١. **قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}**(١)

فلو أخذنا هذه الآية الكريمة بمعزل عن سياقها لَفُهِمت بوجهة خاطئة، فقد وردت هذه الآية على سبيل التهكم والتحقير لأبي جهل بن هشام، ويتضح ذلك من خلال وضعها في سياقها وربطها بما سبقها في قوله تعالى: {**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**}(٢)

يقول الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذل بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل إن قوله: {**إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**} غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية لأنه كان في الدنيا يقول إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة إذ عذّب بما عُذِّب به في النار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم إنك أنت العزيز الكريم، وانك أنت الذليل المهين".(٣)

وذكروا في هذه الآية وجوهاً: **الأول:** أنه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء، والمراد: إنك بالضد منه. **والثاني:** أنّ أبا جهلٍ قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–: ما بين جبليها اعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً. **والثالث:** أنك كنت تعتز لا بالله فانظر ما وقعت فيه.(٤)

---

(١) الدخان: ٤٩.

(٢) الدخان: ٤٧–٤٨.

(٣) تفسير الطبري، الجزء الخامس والعشرون، صفحة ١٥٨.

(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين، المجلد الرابع عشر، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، صفحة ٢٥٣.

٢. **قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**(١)

في هذه الآية الكريمة لو عزلنا السياق لفهم هذه الآية سيؤدي بنا الأمر إلى الوقوع في الغلط، ذلك أن الخطأ الشائع بين كثير من الناس في الاستشهاد بها في مواطن اليأس أو الاعتذار عن عدم الاستمرار في دعوة من يصرون على الضلال فتسمع أحدهم يقول عندئذٍ: لا تهدي من أحببت بصيغة النهي"(٢)، وحقيقة (لا) هنا أنها جاءت للنفي لا للنهي، فالآية بحسب سياقها جاءت مواساة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– لا نهياً له "وذلك عندما امتنع أبو طالب – عمه– من إجابته إذ دعاه إلى الإيمان بالله".(٣)

وقد ذكر الرازي أن في هذه الآية مسائل هي:

الأولى: أن هذه الآية (لا) دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب.

الثانية: إن الله تعالى قال في هذه الآية إنك لا تهدي من أحببت، وقال في آية أخرى **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**.

ولا تنافي بينهما فإن الذي أثبته وأضافه إليه الدعوة والبيان والذي نفى عنه هداية التوقيف وشَرْح الصدر وهو نور يُقْذَف في القلب فيحيا به.

الثالثة: احتجّ الأصحاب بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال، فقالوا: قوله: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}** يقتضي أن تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لأنه لو

---

(١) القصص: ٥٦.
(٢) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبدالوهاب أبو صفية الحارثي، صفحة ١٥٤.
(٣) تفسير الطبري، الجزء عشرون، ص١٠٧.

كان المراد من الهداية في قوله: {**إِنَّكَ لَا تَهْدِي**} شيئاً وفي قوله: {**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**} شيئاً آخر لاختل النظم[1].

من هنا نجد أن الاستدلال في هذه الآية في موضع الضلال، وعدم الاهتداء إلى طريق الحق قد جانب الصواب، لأن السياق أوضح لنا أن هذه الآية نزلت تخفيفاً ومواساة وتخفيفاً عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– بعد امتناع عمه عن الإجابة.

٣. قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ}[2]

يقول الإمام الغزالي في هذه الآية: "إنما نزلت وسيقت لقصد وهو بيان الجمعة، وما نزلت الآية لبيان أحكام البياعات ما يحل منها وما يحرم، فالتعرض للبيع لأمر يرجع إلى البيع في سياق هذا الكلام – يخلط الكلام– ويخرجه عن مقصوده ويصرفه إلى ما ليس مقصوداً به. وإنما يحسن التعرض للبيع إذا كان متعلقاً بالمقصود، وليس يتعلق به إلا من حيث كونه مانعاً للسعي للواجب، وغالب الأمر في العادات جريان التكاسل والتساهل في السعي بسبب البيع، فإن وقت الجمعة يوافي الخلق وهم منغمسون في المعاملات فكان ذلك أمراً مقطوعاً به لا يتمارى فيه، فَعُقِلَ أن النهي عنه لم يكن مانعاً من السعي الواجب فلم يقتضِ ذلك فساداً، ويتعدى التحريم إلى ما عدا البيع من الأعمال والأقوال، وكل شاغل عن السعي، لفهم العلة"[3].

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، صفحة ٣.

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي، تحقيق، محمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، صفحة ٥١-٥٢.

نلاحظ هنا أن العودة إلى سياق الآية أعان على كشف المعنى المراد من هذه الآية ذلك أن هذا السياق لا يقوم على مجرد كلمةٍ انفرد بها الذهن بل يقوم على مجموعة العلائق الموجودة بين أجزاء الكلام بحيث تَصْبِغ اللفظ بالمعنى المناسب له.

٤. قوله تعالى: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً}[١]

قوله تعالى "فضربنا" تعني في دلالتها النوم بمعنى: "ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات"[٢] والذي دلّل على هذا المعنى قوله تعالى: "آذانهم" أيّ استعمال الأذن التي تدل على عدم تمكنهم من السماع لأنهم نائمون ويزيدنا تأكيداً على هذا المعنى قوله تعالى: "سنين عدداً". وتحكيماً للمنطق والعقل الذي ينص على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه في ألفاظه فإننا نستبعد أن يكون قوله تعالى "فضربنا" بمعنى الضرب على حقيقته ؛لأن هذا يتوجب أن يتوجب أن يكون المعنى كالتالي أن الله تعالى يضرب أصحاب الكهف على آذانهم وهذا محال على الإطلاق والذي دعانا إلى القول بمثل هذا هو السياق السابق لهذه الآية؛ لأن الله تعالى يصف أهل الكهف بأنهم مؤمنون فكيف لله تعالى أن يعذبهم بالضرب على آذانهم!؟

لذلك رجّح السياق دلالة عدم السماع بسبب نومهم على الضرب بمعناه الحقيقي: "ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات، فناموا في كهفهم سنين معدودة"[٣] فكان هذا النوم بمثابة الوسيلة التي أنقذ بها الله سبحانه وتعلى تلك الثلة المؤمنة من بطش الكافرين.

---

(١) الكهف: ١١.

(٢) انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، المجلد الثالث: الطبعة الأولى، نهر الخير، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، صفحة ٢٣٩. وانظر صلاح الوجوه والنظائر، هارون بن موسى، تحقيق صالح الضامن، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٨م، صفحة ٢٢٨.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، صفحة ٢٤٠.

السياق القرآني

لقد عني هذا المبحث بدراسة أثر السياق في بيان الدلالة القرآنية، الأمر الذي يتطلب من إفراد جانب خاص للتحدث عن السياق القرآني من حيث مفهومه وأنواعه وأهميته.

مفهوم السياق القرآني:

هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بناء المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال.[١]

وقد جاء هذا التعريف شاملاً مستوفياً لمعنى السياق القرآني، والسبب في هذا الأمر انسجامه مع الأصل اللغوي لكلمة السياق، وما يحمله من معنى الحركة المنتظمة المتصلة وبيانه للعلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني القرآنية. فالألفاظ أوعية المعاني والمعاني من شأنها إيصال الهدي الرباني للمتلقي، أضف إلى ذلك عدم خلط هذا التعريف "سياق المقال": تتابع المعاني في الكلام المنطوق. "بسياق الحال": الظروف المحيطة بالمتلقي. ذلك أن السياق القرآني مرتبط بشكل أساسي بالمقال ويأتي متناسباً مع مقتضى الحال ،الأمر الذي يعني تكامل المقال والحال لإيصال المعنى المراد للمتلقي[٢]. فالسياق هو المحتوى أو المجال – إن جاز لي التعبير – الذي يحوي كل مكونات النص الداخلية والخارجية مجلّياً وموضحاً للمعاني الكائنة وراء هذه المكونات، مبرزاً لها بشكلها الصحيح.

---

(١) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح محمود، صفحة ١٤.

(٢) انظر السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي، روان فوزي مفضي الحديد، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م، صفحة ٣٢.

أنواع السياق القرآني:

قد يضاف السياق إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنّه قد يقتصر على آية واحدة ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه المعنى أن هناك سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني؛ فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى ولذا من واجب المفسر أن لا يغفل عن هذا الارتباط... وعليه أن يعلم أن بتر السياق الخاص عن سائر السياقات من شأنه أن يؤدي إلى الميل عن سنن الصواب(١). من كلام الحارثي تستنتج أن للسياق القرآني أربعة أنواع من حيث عمومه وخصوصه وهي:

- سياق الآية
- سياق النص "المقطع"
- سياق السورة
- والسياق القرآني

الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن أنواع السياق القرآني تتعدد تبعاً للعام والخاص من ناحية، وتبعاً للترجيح الدلالي من ناحية أخرى، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبدالوهاب أبو صفية الحارثي، صفحة ٨٨.

أولاً: أنواع السياق القرآني من حيث العام والخاص

١- سياق الآية[(١)]:

يعدّ هذا النوع من أخص أنواع السياق القرآني؛ لأن الناظر في كتاب الله يجد أن آيات القرآن منها ما يقوم على:

أ- معنى تام ومكتمل تتفرد به الآية الكريمة لوحدها دون مشاركة الآيات المجاورة للآية في بيان معناها، أيّ أنك تستطيع أن تتبين معناها بمعزل عن الآيات المجاورة لها، ولا يعني هذا أننا نقول أن آيات القرآن منفصلة عن بعضها بل هي متصلة تمام الاتصال، إلا أنّ بعضاً من آيات القرآن جاءت تحمل استقلالية في أداء معناها أيّ تضمنت المعنى المقصود كاملاً في طيات ألفاظها ومثال ذلك: "آية الكرسي".

ب- ما يقوم على معنى لكنه لا يتم ولا يكتمل إلا بمشاركة الآيات المجاورة لها، لتساندها في بيان وتوضيح معناها، وهذا النوع هو الأشبع في القرآن الكريم؛ أي أنّ اللفظ في الآية يحتمل معنيين ويكون الفيصل بينهما النظر في سياق الآية بما قبلها وبعدها للترجيح بين مما هو أصلح من المعاني المحتملة.

١. **مثاله:** قوله تعالى: **{وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ}**[(٢)]

(١) انظر نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبدالفتاح محمود، الطبعة الأولى، دار وائل، عمان – الأردن، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، صفحة ٩٦-٩٧ بتصرف.

(٢) البقرة : ٤١.

فقوله تعالى: {**وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**} تحتمل الرسول – صلى الله عليه وسلم– والقرآن فالذي فصل بين هذين الاحتمالين هو سياق الآية في أولها، إذ يقول تعالى: {**وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً**} أي الكتاب.

٢. ومنه ما قاله ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) عند تفسير قوله تعالى: { فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين}[١]

" لو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك" الفظ: الغليظ والمراد به ههنا غليظ الكلام لقوله تعالى: "غليظ القلب" أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ولكن الله جمعهم عليك وآلان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم"[٢]

٢. سياق النص "المقطع":

ولهذا النوع من أنواع السياق القرآني دور مهم في إبراز تشخيص الموضوع القرآني خصوصاً في السور الطوال، ذلك أن أمثل طريقة في التناسب والتناسق بين الآيات القرآنية هو تقسيم السورة إلى مقاطع بعد النظر في جميعها، ومن ثم تحليل سياق المقطع لإبراز موضوعه الأظهر فيه، وعندها يطلب وجه المناسبة يبن الآيات الذي يقتضي معرفة المعاني التي احتواها المقطع في السورة؛ وذلك لبيان الوجه الراجح من الوجوه المحتملة للألفاظ القرآنية.[٣] وبناء على ذلك فإن عملية الترجيح الدلالي في مضمار سياق المقطع واضحة متجليّة والسبب في هذ أن المقطع يدور حول موضوع محدد والمعاني تدور في مضمار هذا الموضوع فإن شذّ معنى منن

---

(١) آل عمران: ١٥٩

(٢) تفسير القرآن العظيم، صفحة ٢٤٦.

(٣) نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبدالفتاح محمود، صفحة ٩٠-٩١.

المعاني المحتملة رُجِّح عليه معنى آخر منسجماً مع السياق ، والسبب في ذلك وضوح المعنى وبروزه. ذلك أن لكل مقطع غرض محدد يتناول موضوعا معيناً بحيث ينسجم معانيه –الموضوع– وتتناسب مع بعضها البعض لتصبّ بمجموعها مع السياق العام الذي جاء به الموضوع مما يؤدي إلى وضوح وجلاء المقصود.

ولعل هذا النوع أكثر ما يظهر من خلال القصص القرآني، ومن الأدلة الواضحة على هذا النوع من أنواع السياق القرآني.

ومنه ما ورد عن سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– من أنّه كان يقرأ الآيات العشر الخواتم من سورة آل عمران قبل صلاة الليل في كل ليلة، وهذا إن دلّ على شيء يدلْ على أنّ هذه الآيات تحمل موضوعاً متصلاً بعمل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

يقول سيد قطب ت (١٣٨٧هـ) في هذه الآيات العشر: "فالآن يجيء هذا الإيقاع الأخير في السورة – أو هذه الإيقاعات الأخيرة– متناسقة في موضوعها وأسلوبها مع ذلك الحشد من الإيقاعات من ناحية الموضوع ومن ناحية الأداء تجيء بحقيقة عميقة: إن هذا الكون بذاته كتاب مفتوح يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة وحساباً وجزاء إنما يدرك هذه الدلائل ويقرأ هذه الآيات ويرى الحكمة ويسمع هذه الإيحاءات "أولو الألباب" من الناس".[١]

ومنه قوله تعالى: {**الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}[٢].

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد الأول، صفحة ٥٤٣.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

يقول الإمام الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ظاهر هذه الآية الكريمة "الطلاق مرتان" أن الطلاق كله منحصر في المرتين، ولكنه تعالى بيّن أن المنحصر في المرتين هو الطلاق الذي تملك بعده الرجعة لا مطلقاً، وذلك بذكره الطلقة الثالثة التي لا تحل بعدها المراجعة إلا بعد زوج وهي المذكورة في قوله: {**فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ**}[١] وعلى هذا القول فقوله: {**أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**} يعني بعدم الرجعة[٢].

٣. سياق السورة:

ينقسم سياق السورة من حيث وضوح حاكميته على المعاني المحتملة في السورة الواحدة إلى قسمين اثنين[٣]:

أحدهما: السور التي تضمنت عدة مقاطع، وكل مقطع يتضمن موضوعاً متصلاً بموضوع المقطع الذي قبله حتى تكتمل الوحدة العضوية للسورة الواحدة، فترجيح معنى على آخر في مقطع من مقاطعها يعتمد سياق المقطع بالدرجة الأولى؛ ولا يصح تجاوز سياق المقطع وإهمال دلالته والتعلق بسياق السورة العام؛ وذلك لا بد من إبراز دلالة سياق المقطع أولاً ثم الانتقال إلى سياق السورة.

الآخر: السور غير المتعددة المقاطع ووضوح هذه أبين وأظهر من التي قبلها، وذلك أنها في موضوع واحد وبالتالي فإنّ حاكمية السياق في الترجيح الدلالي بين المعاني المحتملة أشد وضوحاً.

ومثاله: قوله تعالى: {**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**}[١]

---

(١) البقرة: ٢٣٠.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي، الجزء الأول، مطبعة المدني، ١٩٦٧م، صفحة ١٣٧.

(٣) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح محمود، صفحة ٩٩-١٠٠.

يقول ابن جرير الطبري: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم معناه: ولقد علمت الجنة أنهم لمشهدون الحساب. وقال آخرون معناه: أن قائلي القول سيحضرون العذاب في النار. ثم يقول: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال انهم لمحضرون العذاب؛ لأن سائر الآيات ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عُنِي به الإحضار في العذاب(٢).

فاستدل – رحمه الله تعالى– على هذا المعنى من خلال سياق السورة فقد ورد ذكر الإحضار في هذه السورة مرتين غير هذا الموضع الأول: **{وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}**(٣) .

والثاني: **{فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}**(٤) وكليهما بمعنى الإحضار للعذاب فيكون الموضع بمعناهما(٥).

ومن الأمثلة على سياق السورة أيضاً ما قاله الإمام البقاعي (ت ٨٨٥هـ): "إن الغرض الذي سيقت له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه لملك الدنيا والآخرة وباستحقاق العبادة والاستعانة بالسؤال في المن والإلزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصاً بذلك كله"(٦).

---

(١) الصافات: ١٥٨.

(٢) تيسير الطبري، الجزء الثالث والعشرون، صفحة ١٢٨–١٢٩.

(٣) الصافات: ٥٧.

(٤) الصافات: ١٢٧.

(٥) السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبدالرحمن عبدالله سرور جرمان المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م. صفحة ١١٥.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م، صفحة ٢٠–٢١.

٤. سياق القرآن عامة:

ويقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته ،الأمر الذي يؤكد ضرورة الإلمام بهذا الأسلوب ومعرفة خصائصه مع معرفة الأغراض والمقاصد الكلية والاتجاهات العامة والثابتة في القرآن الكريم[١].

وفي هذا يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**[٢] "إنا أنزلناه" يعني: القرآن، وإن لم نجد له ذكر في هذه السورة؛ لأن المعنى معلوم، والقرآن كله كالسورة الواحدة[٣].

ثانياً: أنواع السياق من حيث الترجيح الدلالي:

يعد الترجيح الدلالي من أبرز الأدلة على ضرورة وفائدة الأخذ بالسياق القرآني الذي يوصل المفسر إلى الوجهة التي ابتغى تحقيقها، والسبب في ذلك أن السياق القرآني له أهمية بالغة عند المفسرين بل هو "العمدة الأولى في مواطن الترجيح والاستدلال فلا يستطيع المفسر أن ينسلخ عنه جملة لأنه سيصل إلى طريق مسدود من المعاني غير المترابطة"[٤] كيف لا؟ ولهذا السياق الأثر البارز في تحديد مرجعية الضمير وفي تقدير المحذوف وتفصيل المجمل وتعميم الخاص آخذين بعين الاعتبار وحدة وتماسك النص القرآني من حيث السابق واللاحق، فسياق الآية أو السورة

---

(١) دلالة السياق منهج مأمون في تفسير القرآن الكريم، عبدالواهاب الحارثي، صفحة ٨٨-٨٩.
(٢) القدر: ١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، الجزء التاسع عشر، صفحة ١٢٩.
(٤) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح محمود، صفحة ٢٢.

يقتضي النظر فيما يسبقها وفيما يتلوها وعلى ضوء هذا يمكن تقسيم السياق من حيث الترجيح الدلالي إلى[1]:

١. ترجيح بالسبَّاق: وهو أن تترجح دلالة لفظ أو آية على آخره من خلال سياقها.

٢. ترجيح باللحاق: وهو أن تترجح دلالة لفظ أو آية على أخرى من خلال لحاقها.

٣. ترجيح بسباق ولحاق: وهو أن يكون المعنى محفوفاً بترجيحات وتوضيحات تقويه وتدعمه من جانبي السباق واللحاق فيترجح في سياقه على غيره من الدلالات والمعاني.

ومن الأمثل على ذلك قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}**[2]

يقول الرازي في قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}** في هذه الآية مسائل:

الأولى: اختلفوا في أن ذلك السائل من هو؟ قال ابن عباس: إنّ قوماً من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه الآية.

الثانية: قال صاحب الكشاف الساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا، وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة.

الثالثة: أيّان معناه الاستفهام عن الوقت الذي يجيء وهو السؤال عن الزمان، وحاصل الكلام أن أيان بمعنى متى.

الرابعة: مرساها "المرسي" هنا حصر بمعنى الإرساء لقوله تعالى:

---

(١) السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي، روان فوزي الحديد، ص٥٠.
(٢) الأعراف: ١٨٧.

{**بسم الله مجراها ومرساها**} أيّ اجراؤها وارساؤها.[١]

والناظر في هذه المسائل يجد فيها معنىً واحداً يحمل دلالة الوقت والزمان عن مجيء الساعة التي بيّن فيها الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله أن علمها عند ربّهِ لا يعلمها إلا هو، ليأتي توالي المعاني في هذه الآية الكريمة من خلال قوله تعالى: {**ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**}. يذكر – الفخر الرازي– أن في تفسير قوله تعالى: {**ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**} قولين اثنين هما:

القول الأول: أيّ ثقل مجيئها على السموات والأرض لأجل أنه عند مجيئها شققت السموات، وتكورت الشمس والقمر، وثقلت على الأرض لأجل أن في ذلك اليوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض وتبطل الجبال والبحار.

القول الثاني: ثقلت بمعنى خفيت في السموات والأرض ولم يعلم أحد من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها، أيّ ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والأرض.

ثم يتابع ربّ العزة حديثه قائلاً: { **لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ..**}

فسبحان من وسم كتابه بالإعجاز البلاغي ومتانة الألفاظ يقول الفخر الرازي أن قوله تعالى: {**إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**} إجابة للسؤال عن وقت قيام الساعة، وقوله: {**إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**} إجابة للسؤال عن ثقل الساعة وشدتها، والفرق بين الصورتين أنّ السؤال الأول كان واقعاً عن قيام الساعة. والثاني: كان واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها، وأعظم أسماء الله مهابة وعظمة هو قوله عند السؤال عن مقدار شدة القيامة الاسم الدال على غاية المهابة وهو قولنا "الله".

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المجلد الثامن، صفحة ٨٤.

فإذا أردنا تحديد معنى ثقل الساعة في كونه هل هو ثقل غيبي أم ثقل في مجيئه بناءً على ما ذكره الرازي في القولين السابقين لوجدنا أن القول الأول بعيد عن سياق الآية الكريمة غير متلائم مع ما قبلها وما بعدها، والذي دفعني إلى القول بذلك مدى ترجيح دلالة القول الثاني بسباقه ولحاقه من ذكر للساعة ذلك أن لفظ الساعة "اختير وانتقي من بين سائر الألفاظ الدالة على هذا المعنى لأمر دلالي اقتضاه سياق الآية؛ وذلك أن لفظ الساعة يدل على الوقت المسمى لقيامها الذي أخفاه الله سبحانه وتعالى عن الخلائق جميعاً".(١)

وعلى ما سبق تستطيع القول: إن السياق هو الوسيلة المثلى لحل الكثير من الأمور التي قد يصاحبها غموض في فهم دلالتها، ذلك أنه القرينة التي من خلالها يتم الكشف عن الوجه المراد للمفردة بحيث يبين المعنى الدلالي المقصود منها، فهو المعين على كشف الفوارق بين الألفاظ المتناظرة في دلالتها، فقد نُظِر إلى السياق على اعتبار أنه أحد موضحات الدلالة التي لا يمكن للنص أن يستغني عنها وذلك إذا كان النص لا يظهر فيه المعنى بصورة مباشرة أمام المتلقي بحيث يحتاج إلى ما يوجههُ في ذلك فيأتي السياق ليكون معيناً على توجيه المعنى وبيان المقصود.

(١) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح، صفحة ١٨٨-١٨٩.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن

معنى المتشابه اللفظي:

المتشابه اللفظي لغة:

يقول ابن منظور: "الشِّبه والشَّبه والشبيه، المِثْلُ والجمع أشباه. وأشبهَ الشيءَ الشيءَ ماثلهُ. والمشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات: المتماثلات. والتشبيه: التمثيل. والشُّبهةُ: الالتباس وأمورٌ مشتَبَه ومشبِّهه: مشكلة يشبهِ بضعها بعضاً"(١)

من خلال المعنى اللغوي السابق ندرك أن التشابه في اللغة يعني التماثل والتساوي وفي الوقت ذاته يعني المُشكل أو المُلبس(٢)، بحيث تتماثل الأمور وتتشابه حتى نصل إلى درجة الالتباس أو الأشكال وعليه فالمتشابه يدور حول معنيين اثنين.

- **الأول: المماثلة**

ومثاله قوله تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**"(٣)

قوله تشابهت: تغني التماثل يقول الطبري: إن قولهم الذي قالوه يشابه قول اليهود من أجل تشابه قلوبهم في الضلالة والكفر بالله، فهم وان اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله وافترائهم عليه فقلوبهم متشابهة في الكفر بربهم والفرية عليه.(٤)

---

(١) لسان العرب، المجلد الثامن، مادة شبَهَ.

(٢) انظر معرفة تأويل المتشابه، عبدالله أبو السعود بدر، دار ابن حزم، بيروت ، ٢٠٠٠م، صفحة ١٠.

(٣) البقرة: ١١٨.

(٤) تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ٥٩٢.

- **الآخر: المشكَلُ أو المُلبِس**

ومنه قوله تعالى: "**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**"[١].

قوله تعالى: "**هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً**" أيّ هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعض ذلك في اللون والطعم بعضاً. ومن علة قائل هذا القول إنَّ ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله... وقيل لمشابهته الذي قبله في اللون وان خالفه في الطعم"[٢]، وقيل (**وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً**) أيّ أنه لاستحكام الشبه كأنه ذاته ذاته[٣].

فقد جاء استخدام لفظ التشابه هنا بمعنى الالتباس، والسبب في ذلك أن التماثل الشديد بينهما دقَّ حتى خُفيت الفروق الأكيدة المرجوةِ فعلاً بينهما أو كادت فاختلطت عليهم والتبس أمرها[٤].

- **المتشابه اللفظي اصطلاحاً:**

جاء المعنى اللغوي مقارباً للمعنى الاصطلاحي الذي أورده العلماء، ذلك أنهم ذكروا تعاريف عدة المتشابه.

أول ما لفت ناظري في تعريف المتشابه تفسير الطبري لقوله تعالى: "**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا**

---

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ١٩٦-١٩٧.

(٣) تفسير الزمخشري، الجزء الأول، صفحة ٨٧.

(٤) معرفة تأول المتشابه، عبدالله أبو السعود بدر، ص١٥.

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ"(١)

جاءت هذه الآية جامعة لقوله تعالى: **(مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ)** وقوله **(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)**.

فما المقصود بالمحكم وما المقصود بالمتشابه من آي الكتاب؟!

يقول الطبري: "المحكمات: هن الآيات اللواتي أحكمت بالبيان والتفصيل وأثبتت حجتهن وأدلتهن على ما جعلت أدلة عليه من حلال وحرام ووعدٍ ووعيدٍ وثواب وعقاب وأمر وزجر... وقال **(هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)** أي أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر بينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم..." (٢)

ويقول في قوله تعالى متشابهات أي متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى وتأويل الكلام ان الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان هنّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين إليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر هن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى"(٣).

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) تفسير الطبري، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٠.

(٣) نفسه صفحة ٢٠٢.

ثم يورد أقوال العلماء المتعددة في المحكم والمتشابه فيذكر(١):

١- المحكمات من آيّ القرآن المعمول بهن وهن الناسخات أو المُثْبِتات الأحكام والمتشابهات من آيهِ: المتروك العمل بهن، المنسوخات.

٢- المحكمات: ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات: منسوخه ومقدّمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به.

٣- المحكمات التي هن أم الكتاب: الناسخ الذي يدان به ويعمل به، والمتشابهات: هن المنسوخات التي لا يدان بهن.

٤- المحكمات: ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ما أشبه بعضه في المعاني وإن اختلفت ألفاظه.

٥- المحكمات: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه منهما احتمل من التأويل أوجهاً.

٦- المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

نخلص إلى أن المحكم إنما وُصِفَ بذلك لأنه مُحْكَمُ أحكمه والله تعالى لا يوصف بأنه أحكم هذه الآيات من حيث تكلم بها فقط لأن المتشابه كالمحكم في ذلك وفي سائر ما يرجع إلى جنسه

---

(١) تفسير الطبري ، الجزء الثالث، صفحة ٢٠٢-٢٠٤ وللمزيد يُنظر المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وأثرهما في الاختلاف العقدي، أحمد بن سعيد بن خليفه البوسعيدي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، صفحة ٣ وما بعدها فقد أورد العديد من التعريفات للمحكم والمتشابه في اللغة والاصطلاح وعند المفسرين والأصوليين، وانظر أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرت، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، صفحة ١٧.

وصفته فيجب أن يكون المراد بذلك أنه أحكم المراد بأن جَعله على صفة مخصوصة- لكونه عليها تأثير بالمراد[١].

أيّ المحكم من الأمور التي استأثرها الله لنفسه في حين جُعِل للعباد حظاً واجتهاد في الآيات المتشابهة من الكتاب.

ما يلحظ على أقوال العلماء سابقة الذكر في المحكم والمتشابه أن كلاً منهما يكمل بعضها الآخر ذلك أن مجموعها يعطي صورة متكاملة في الفرق بين المحكم والمتشابه وفي هذا يقول الشوكاني الأولى: أن يقال: "إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة اما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره. وإذا عرفت هذا عرفت أن هذا الاختلاف الذي قدمناه ليس كما ينبغي وذلك لأن أهل كل قول عرفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها"[٢].

ومن أقوال العلماء في تعريف المتشابه ما أورده الزركشي وذكر فيه أنه: إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ولكثير في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليُعْلِمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك[٣].

المتأمل لقول الزركشي يلحظ مقصده في أن التركيب قد يرد بصور متشابهةٍ مع اختلاف يسير بين ألفاظها ولعل هذا الذي أوقع البعض بالقول بوجود التكرار في القرآن – وقد أسلفت سابقاً- في حديثي عن التكرار ونفيه عن القرآن الكريم من خلال السياق الذي يعد القاعدة الأولى والأساس. في توجيه المتشابه اللفظي وبيان أن تشابه هذه الآيات ليس تكراراً، فالمعاني قد يحدث

(١) متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، القسم الأول، دار التراث، القاهرة، صفحة ٧.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبدالرحمن عميرة، الجزء الأول، دار الوفاء، صفحة ٥٢٧.

(٣) البرهان، صفحة ١٤٦.

بينها تشابه إلا أنّ التركيب المعبّر عن هذا المعنى مختلفة تبعاً للسياق الذي وردت فيه وقد يأتي هذا التركيب متشابه مع غيره إلا أنّ كل سياق يجعل هذا التركيب مختلف عن الآخر.

هنا من جانب ومن جانب آخر فهناك جملة من الفروق التي يمكن التماسها بين التكرار والمتشابه وهي[١]:

١- الفرق في المعنى اللغوي بين المتشابه الذي يعني التماثل كما أسلفت والتكرار الذي يعني أعاده مرة بعد أخرى[٢].

٢- التكرار هو تكرار للمعاني والألفاظ أو تكرار المعنى دون اللفظ بخلاف التشابه الذي يطلق على تشابه الألفاظ فقط، وفي هذا يقول عبدالقادر الحسيني: "المكرر هو ما تكرر فيه لفظ بعينه دون اختلاف في عدة مواضع من القرآن ومثاله قوله تعالى "**فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**"[٣]. وهذا هو التكرار اللفظي من غير خلاف، ومن المكرر ما تكرر فيه المعنى مع اختلاف الألفاظ بفروق يسيرة متشابهة وهو عين المتشابه اللفظي. ومنه ما تكرر فيه المعنى دون الألفاظ وذلك كتكرار قصص بعض الأنبياء عليهم السلام بأساليب مختلفة وألفاظ متباينة وهذا النوع خارج عن حد التشابه اللفظي"[٤].

٣- الأصل في التكرار هو المعنى بخلاف المتشابه اللفظي فإن الأصل فيه النظر في الألفاظ دون المعاني.

---

(١) يُنظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية، محمد بن راشد البركة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤٢٦هـ، صفحة ٥٧-٥٨.

(٢) لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة كرر.

(٣) الرحمن: ١٣.

(٤) هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق عبد القادر الخطيب الحسيني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، صفحة ١٧.

وقيل: هو نوع مستقل بذاته يقصد به الإعجاز اللغوي بالتصرف في الأسلوب ينقله من مكان إلى مكان في القصة الواحدة أو الموضوع الواحد لغرض بلاغي لا يدركه إلا أصحاب اللغة الذين خوطبوا بالقرآن وهم أرباب الفصاحة وجهابذة البلاغة وأساطين البيان مع الاحتفاظ بالمعنى"(١).

ومن أكثر التعاريف شمولية ما أورده أبو زينة وذلك في قوله "هو الكلام المعاد في أكثر من موضع بأساليب بيانية مختلفة"(٢) ذلك أن متشابهات القرآن وردت في ظواهر بيانية وأسلوبية تختلف عن بعض وسيأتي تفصيل هذا لاحقاً – بإذن الله-.

أقسام المتشابه في القرآن

من خلال حديثنا عن تعريف المتشابه والمحكم نجد أن المتشابه ينقسم إلى قسمين اثنين هما:

١- التشابه الحقيقي أو المعنوي الذي يقابل المحكم:

ويقصد به: مالا يعلم تأويله إلا الله فلا يستطيع البشر أن يدركوا حقيقته ويصلوا إليه ويشمل هذا القسم جميع ما أخبر الله به عن نفسه، مثل: كيفيات أسمائه وصفاته، وكالعلم بوقت الساعة، ومما جاء عن الملائكة وقد ألحق بعض العلماء بهذا النوع الحروف المقطعة في أوائل السوار(٣).

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى:

- قوله: "**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**"(١)

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني بدر الدين جماعة، تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف،الطبعة الأولى ، مكتبة دار الوفاء ، المنصورة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، صفحة ٤٥-٤٦.

(٢) الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة استقرائية على الجمل والمفردات، منصور محمود حسن أبو زينة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٤.

(٣) المتشابه في القرآن الكريم، مفهومه وأسبابه وحكمته، طه عابدين، الشبكة المعلوماتية uqu.edu.sa/files٢/l,tiny/POF، صفحة ١٦-١٧.

- قوله: "**وجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**"(٢)

- قوله: "**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**"(٣).

الثاني: المتشابه النسبي أو المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن وهذا ما نقصده في هذا المبحث الذي بين أيدينا.

ويقصد به: هو آيات جعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفتها ولكنها تشابهت على الناظر فيها فلا ينسب الاشتباه هنا إلى الأدلة إلا من جهة تشابههما للناظر"(٤).

وخلاصة الأمر في هذا توجب علينا ضرورة الفصل بين المتشابه اللفظي والمتشابه المعنوي المقابل للمحكم خشية الوقوع في اللبس بينهما ونخلص في ذلك إلى أن المتشابه المعنوي هو متشابه خفيت دلالته كعلم الساعة والغيب ووجب علينا الإيمان به وتفويض العلم فيه وبماهيته إلى الله عز وجل أما إذا كان من قبيل المتشابه اللفظي فقد كُشِفت دلالتها من خلال جهود العلماء التي جعل الله حظاً منها في تدبر معناها وردِّها إلى المحكم من نصوصها حتى يتبين المعنى المراد بذلك. وقد وُجدت كتب وُضِعت بين دفتيها جهود العلماء في المتشابه وتوجيهه منها(٥):

---

(١) طه: ٥.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) الأحزاب: ٦٣.

(٤) المتشابه في القرآن الكريم، مفهومه وأسبابه وحكمته، صفحة ١٧.

(٥) للمزيد حول المصنفات في المتشابه يُنظر درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، تحقيق الدكتور محمد مصطفى آيدن، الجزء الأول، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، صفحة ٦٩ وما بعدها. وينظر هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، صفحة ٢٥ وما بعدها. وينظر التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً دراسة لغوية دلالية، سرمد حميد، صفحة ٤٤-٥٣.

١- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ).

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٠هـ)

٣- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن للنيسابوري (ت ٥٣٣ هـ)

٤- حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)

٥- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

٦- متشابهات القرآن لابن اللبان (ت ٧٩٤ هـ).

أنواع المتشابه اللفظي:

عرض ابن المنادي في كتابه متشابه القرآن العظيم إلى أن التشابه بالعموم يكون في أشياء وهي(١):

١- متشابه إعراب حروف القرآن.

٢- متشابه غريب حروف القرآن ومعانيه.

٣- متشابه تأويل القرآن.

٤- متشابه ناسخ القرآن ومنسوخه وتقديمه وتأخيره وخصوصه وعمومه.

٥- متشابه النوادر والفرائض والإباحات والتصريح والكنايات.

---

(١) هداية المرتاب. صفحة ١٨-١٩.

٦- متشابه خطوط المصاحف الأوَل وحروف كتبت في بعضها على خلاف ما كتبت في البعض الآخر.

٧- متشابه حروف القرآن المجموعة للإذكار من النسيان

وهذا النوع الأخير هو محور دراستنا وما نقصده في مبحثنا هذا.

وقد عني فيه الإمام أبو الفرج الجوزي (ت ٥٩٧) وعقد له فصلاً في أبواب المتشابه وذكر فيه[١]:

١. باب من مشكل ما في القرآن منه حرف واحد وقد ذكر في هذا الباب ألفاظاً فريدة غير موجودة في القرآن مرة أخرى إلا أن يكون بلفظ قريب.

ومنه قوله تعالى: "**وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**" ويقاربها قوله تعالى "**قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**"[٢].

٢. باب من المتشابه وذكر فيه ما هو من حرف واحد أو أكثر ذاكراً لمواضع ورودها في القرآن الكريم.

٣. باب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف من المتشابه

٤. باب الحروف الزوائد والنواقص من المتشابه

٥. باب في المقدّم والمؤخر من المتشابه

٦. باب مفرد من المتشابه وقد حصر في هذا الباب ألفاظاً يذكر مواضعها وعدد ورودها في القرآن. ومثال ذلك: النفع قبل الضر في ثمانية مواضع، والضر قبل النفع في تسعة مواضع وهكذا.

---

(١) النمل: ٣.

(٢) البقرة: ١١٨.

٧. باب في مسائل في المتشابه ويطرح في هذا الباب سؤال ثم يجيب عنه ومثال ذلك: إن قيل لك أين في القرآن سبع آيات متواليات آخر كل آية اسمان لله عز وجل؟ فالجواب الحج أولها: "**لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ**"(١)

أما الزركشي فقد عقد في كتابه البرهان في علوم القرآن فصلاً طويلاً في المتشابه وذكر في ثمانية أقسام المتشابه وهي(٢):

١- أن يكون في موضع على نظم، وفي آخر على عكسه.

٢- ما يشتبه بالزيادة والنقصان.

٣- ما يشتبه بالتقديم والتأخير.

٤- ما يشتبه بالتعريف والتنكير.

٥- الجمع والإفراد.

٦- إبدال حرف بحرف غيره.

٧- إبدال كلمة بأخرى.

٨- الإدغام وتركه.

ثم يمضي الزركشي في الفصول اللاحقة لهذا الفصل ببيان الآيات المتشابهة وحصر مواضع ورودها، ويذكر ما جاء منها على ثلاثة أحرف وعلى أربعة وعلى خمسة وهكذا.

وعليه فقد جاءت أنواع المتشابه اللفظي على النحو الآتي(٣):

---

(١) الحج: ٥٩-٦٥

(٢) البرهان، صفحة ١٤٧ وما بعدها.

(٣) يُنظر المحكم والمتشابه في القرآن الكريم دراسات لغوية، إبراهيم مصطفى نمارنة، الطبعة الأولى، ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، صفحة ٦٤ وما بعدها. وينظر أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، صفحة٢٥-٣٢.

- **النوع الأول: التشابه بالتقديم والتأخير ويندرج تحته أربعة أقسام:**

أ- تقديم كلمة وتأخيرها

ومثاله قوله تعالى: "**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"(١).

وقوله تعالى: "**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**"(٢).

حيث تقدمت كلمة النفع في الآية الأولى وتأخرت في الثانية.

ب- تقديم جملة وتأخيرها

ومثاله قوله تعالى: "**ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**"(٣).

وقوله تعالى: "**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**"(٤).

ج- الاختلاف في ترتيب بعض المتعاطفات

ومثاله قوله تعالى: "**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويهِ**"(٥).

وقوله تعالى: "**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**"(٦).

---

(١) الأعراف: ١٨٨.
(٢) يونس: ٤٩.
(٣) الأنعام: ١٠٢.
(٤) غافر: ٦٢.
(٥) المعارج ١١-١٣.
(٦) عبس ٣٤-٣٦.

اختلف الترتيب في الآية الأولى عن الثانية.

د- تقديم الضمير وتأخيره

ومثاله قوله تعالى: "**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**"(١).

وقوله تعالى: "**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم**"(٢).

في الآية الأولى قدّم الضمير الدّال على رزق الآباء في حين تأخر هذا الضمير في الآية الثانية.

النوع الثاني: التشابه بالحذف والذكر، ويندرج تحته ثلاثة أقسام كالآتي:

أ- حذف الحرف وذكره:

ومثاله قوله تعالى: "**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**"(٣).

وقوله: "**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**"(٤).

حذف حرف النون من قوله تعالى (تكن) في الآية الأولى وأثبت في الآية الثانية.

ب- حذف الكلمة وذكرها

ومثاله قوله تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**"(٥).

---

(١) الأنعام: ١٥١.
(٢) الإسراء: ٣١.
(٣) النحل: ١٢٧.
(٤) النمل: ٧٠.
(٥) البقرة: ١٩٣.

وقوله تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**"(1).

حذفت كلمة (كله) في الآية الأولى وأثبتت في الثانية.

ج- ذكر أكثر من كلمة وحذفها

ومثاله قوله تعالى: "**وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"(2).

وقوله: "**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"(3).

ذكر قوله تعالى: "**وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**" في الآية الثانية وحذف من الآية الأولى.

النوع الثالث: التشابه بالإبدال ويندرج تحته ثلاثة أقسام كالتالي:

أ- إبدال حرف بآخر:

ومثاله قوله تعالى: "**اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**"(4).

---

(1) الأنفال: ٣٩.

(2) آل عمران: ١٨٩

(3) المائدة: ١٧.

(4) الرعد: ٢.

وقوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**"(١).

حيث استبدل حرف اللام في الآية الأولى بحرف (إلى) في الآية الثانية.

ب- إبدال كلمة بأخرى:

ومثاله قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**"(٢).

وقوله: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**"(٣).

ج- إبدال جملة بأخرى:

ومثاله قوله تعالى: "**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**"(٤).

وقوله: "**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**"(٥).

حيث أُبدلت الجملة في ختام الآيتين في الآية الأولى " **إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**" وقال في الثانية " **إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**".

---

(١) لقمان: ٢٩.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) لقمان: ٢١.

(٤) إبراهيم: ٣٤.

(٥) النحل: ١٨.

<u>النوع الرابع:</u> التشابه بالجمع والإفراد

ومثاله قوله تعالى: "**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ**"[١].

وقوله: "**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**"[٢].

في الآية الأولى (صلاتهم) مفرد وفي الآية الثانية (صلواتهم) جمع

<u>النوع الخامس:</u> التشابه في التذكير والتأنيث.

ومثاله قوله تعالى: "**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**"[٣].

وقوله: "**وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**"[٤].

في الآية الأولى جاء الفعل أخذ من دون التاء على سبيل التذكير وفي الآية الثانية التصقت به التاء على سبيل التأنيث.

<u>النوع السادس:</u> التشابه في التعريف والتنكير.

ومثاله قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**"[٥].

الْمَصِيرُ"[٥].

---

(١) الأنعام: ٩٢.

(٢) المؤمنون: ٩.

(٣) هود: ٦٧.

(٤) هود: ٩٤.

(٥) البقرة: ١٢٦.

وقوله: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**"(١).

حيث جاءت كلمة (البلد) نكرة في آية سورة البقرة، ومعرفة في آية سورة إبراهيم.

<u>النوع السابع:</u> التشابه بالإجمال والتفصيل

ومثاله قوله تعالى: "**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**"(٢).

وقوله: "**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**"(٣).

جاء التفصيل في الآية الثانية من سورة الأعراف في حين جاءت الآية الأولى من سورة البقرة على سبيل الإجمال.

<u>النوع الثامن:</u> التشابه في الإضافة وعدمها.

ومثاله: "**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**"(٤).

وقوله: "**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**"(٥).

في الآية الأولى جاءت كلمة (غروبها) مضافة في حين جاءت في الثانية مع عدم إضافتها.

---

(١) إبراهيم: ٣٥.
(٢) البقرة: ٥١.
(٣) الأعراف: ١٤٢.
(٤) طه: ١٣٠.
(٥) ق: ٣٩.

النوع التاسع: التشابه في الإظهار والإضمار ويندرج تحته قسمان:

أ- وضع المظهر موضع المضمر:

ومثاله قوله تعالى: "**وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**"(١).

وقوله: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**"(٢).

حيث جاء الضمير في الآية الأولى في قوله (أكثرهم) وأظهر هذا الضمير في الآية الثانية بقوله (أكثر الناس).

ب- الاختلاف في الضمائر:

ومثاله قوله تعالى: "**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**"(٣).

وقوله تعالى: "**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**"(٤).

في الآية الأولى أُستخدم ضمير المخاطب وجاء في الآية الثانية على ضمير الغائب.

---

(١) الأنعام: ٣٧.
(٢) الأعراف: ١٨٧.
(٣) طه: ٤٠.
(٤) القصص: ١٣.

<u>النوع العاشر:</u> اختلاف الصيغة الصرفية ويندرج تحته ستة أقسام:

<u>أ- الفك والإدغام:</u>

ومثاله قوله تعالى: "**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**"(١).

وقوله: "**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**"(٢).

حيث فك الإدغام في قوله تعالى (يشاقق) وجاء مدغماً في الآية الثانية.

<u>ب- التضعيف وعدمه:</u>

ومثاله قوله تعالى: "**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**"(٣).

وقوله تعالى: "**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**"(٤).

فقد جاء الفعل (نزّلنا) في الآية الأولى مضعّفاً ولم يأت هكذا في الآية الثانية.

<u>ج- المجرد والمزيد:</u>

ومثاله قوله تعالى: "**قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**"(٥).

---

(١) النساء: ١١٥.
(٢) الحشر: ٤.
(٣) طه: ٨٠.
(٤) البقرة: ٥٧.
(٥) البقرة: ٣٨.

وقوله تعالى: "**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**"(١).

فقد جاء الفعل (تَبِعَ) مجرداً في الآية الأولى على حين جاء في الآية الثانية مزيداً.

د- الماضي والمضارع:

ومثاله قوله تعالى: "**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**"(٢).

وقوله تعالى: "**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**"(٣).

جاء الفعل في الآية الأولى على صيغة المضارع بينما جاء في الثانية على صيغة الماضي.

هـ- البناء للفاعل والبناء للمفعول به:

ومثاله قوله تعالى: "**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**"(٤).

وقوله تعالى: "**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**"(٥).

جاء الفعل (قلنا) في الآية الأولى بالبناء على الفاعل، وفي الآية الثانية بالبناء للمفعول.

و- البناء على جمع السلامة والتكسير:

ومثاله قوله تعالى: "**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**"(٦).

---

(١) طه: ١٢٣.

(٢) الحجر: ١٢.

(٣) الشعراء: ٢٠٠.

(٤) البقرة: ٥٨.

(٥) الأعراف: ١٦١.

(٦) البقرة: ٦١.

وقوله: "**وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**"(١).

فجاء جمع النبيين في الآية الأولى جمع مذكر سالم أما في الثانية فجاء جمع تكسير.

من خلال النظرة في هذه الآيات نلاحظ أن في بعض هذه الآيات اجتماعاً لأكثر من نوع أنواع المتشابه اللفظي كاجتماع أنواع الجمع من التعريف والتكسير في الآية.

أو اختلاف البناء مع التقديم والتأخير في الآية

أو التشابه في الجمع والإفراد مع التضعيف وعدمه وهكذا... وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ذلك النظام البلاغي الحاصل في كتاب الله، والذي يعجز أحدٌ من البشر عن الإتيان بمثله هذا النظام الذي يتسم بحيويته ومرونته فيضيف ويتسع تبعاً لمستوى الحاجة ومقتضى الحال بأسلوب دلاليّ دقيق وأسرارٍ بيانية لا يستطيع أحدنا إدراكها إلا من انكب على دراسة آيات القرآن دراسة فاحصة شاملةً امتلك فيها وعيه لأسلوب القرآن وذوقًا فنياً في إدراك مقاصده، فهذه النماذج القرآنية تفوقت في استجماع أزهى ألوان البلاغة في تناسق وتداخل متماسك وهذا يثبت أن نظم القرآن له أسلوبه الخاص الذي خرج عن أصناف كلام البشرية وأساليب خطاباتهم فتجاوز بذلك وسع المخلوقين في كافة أنحاء كتابه العزيز ليدلل على أن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وليثبت فيه معجزة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم- فقد أخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان فيه الاختلال ودليل ذلك قوله تعالى: "**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**"(٢)).(٣)

---

(١) آل عمران: ١١٢.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩، صفحة ٥٣.

- **أهمية علم المتشابه الفظي وفوائده في القرآن:**

تكمن أهمية المتشابهات في القرآن في كونها ألفاظاً مما يوجب علينا فهم معانيها فهماً دقيقاً بالغاً من خلال معرفة السياق الذي ألمّ بهذه الآيات ليتسنى لنا تحصيل الفارق فيما بينها وسبب ورودها في صوره على: أسلوب بياني معين واختلاف هذا الأسلوب في السورة الأخرى كالحذف والذكر على سبيل المثال. وفي أهمية هذا العلم وبيان مكانته نذكر قول الشيخ طاهر الجزائري(ت١٣٣٨هـ) إذ يقول: "ولا يخفى أن المسائل المذكورة من متعلقات العلم المسمى بعلم المتشابه من القرآن وهو علم جليل الشأن له اتصال بعلم المناسبات وقد ألف فيه كثير من العلماء الأعلام فأجادوا إلا أنه كغيره من العلوم قد تكلم فيه كثير ممن ليس لهم براعة فيه، فخبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء، إلا أن ذلك لا يؤثر في نفس العلم شيئاً ولا يحط من قدره ولا يوجب للإعراض عنه، وشأن العالم المحقق على ذلك أن يكثر سواء المحسنين فيه إن ساعده الحال أو يشير إليهم ويدلَّ المسترشد عليهم والله الموقف[1].

فهذا علم يتناول التشابه الحاصل في كتاب الله وكيفية توجيهها وبيان مغزاها حاملاً في جنباته دليلاً وحاجة قوية على إعجاز القرآن وبلاغته في روعة أسلوبه ونظم آياته تبعاً للسياق العام الذي يؤطّر هذه الآيات بحيث يتبين لنا استحالة وضع آية أو حتى كلمة في سياق غيرها من الآيات والكلمات ولو كانت من المتشابهات في لفظها، فهذا علم جليل له فوائد متعددة في خدمة هذا الكتاب نذكر منها:

---

(١) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان،المعتصم بالله طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار ، مصر، ١٣٣٤هـ، صفحة ٣٠٠.

١- تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية إذ إن علم المتشابه اللفظي في القرآن قسم قائم بذاته وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي لا عملٌ للبشر فيه من تقديم وتأخير أو زيادة أو حذف أو تعريف وتنكير أو بإبدال شيء بآخر في الموضوع الواحد.

٢- رفع اللبس والإشكال وتمييز معنى كل لفظة وفقاً للسياق الذي وردت فيه سواء أكان هذا السياق خاصاً لموضوع الآية مثلاً أم كان عاماً ليشمل موضوع السورة كلها.

٣- كونه مصداقاً لوعد الله تعالى بحفظ كتابه، وذلك متمثل بكون هذا العلم يقوم بضبط الآيات المتشابهات وضمان عدم اختلاطها بعضها ببعض وكذلك ببيان الفروق اللفظية والمعنوية بينها فيكون في ذلك حفظ لألفاظ القرآن وصيانة لمعانيه.

٤- خدمة حفّاظ القرآن ومساعدتهم في ضبط حفظهم وصيانته من الخطأ بسبب تشابه الآيات.

٥- الرد على الجاحدين والمشككين في القرآن بسبب وجود التشابه في القرآن.

٦- توعية صنف من الناس يظن أن ما كان من المتشابه في كتاب الله إنما هو من باب التفنن في أساليب العرض البياني وأن كل آية من الآيات أو لون من التشابه يمكن أن يكون في موضع آخر دون أن يغير المعنى أو يؤثر فيه.

وغيرها الكثير من الفوائد لهذا العلم الجليل"[١].

وعلى هذا العلم الجليل نخلص إلى القرآن حين يقرر معنى من المعاني بغية تحقيق مقصده وغرضه يوظّف الآية كلها بكل ما تحمله من وسائل بلاغية وإعجازٌ لفظي وقدرة اتساقية فتتضافر فيما بينها وفاءً للمعنى وتحقيقاً لغرضه والنهوض به. "وبذلك نتعرف على أن لأسلوب القرآن الكريم

(١) للمزيد حول هذه الفوائد ينظر درة التنزيل وغرة التأويل صفحة ٦٢-٦٣، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية، مشهور موسى مشهور مشاهرة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، صفحة ١١-١٣. وينظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية، محمد البركة، صفحة ١١٨-١٢٠.

طابعاً خاصاً يسلكه في اختيار ألفاظه وتراكيبه ولذا فإن هذا العلم هو أساس هام للدراسات الدلالية في القرآن"[1].

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، صفحة ٦٢.

المبحث الثالث: الترادف في القرآن الكريم:

يعدّ الترادف من الظواهر الدلالية التي وقف عليها العرب وِقفة المتأمل المتفحص لها الأمر الذي أدى إلى إنكار بعضهم لها وإقرار الآخرين بها، وكان لكل منهما أدلته العقلية والنقلية في سبيل تأييد الرأيّ الذي ذهب إليه. وقد خصصت هذا المبحث للحديث عن ظاهرة الترادف في القرآن الكريم ،الذي كان– ولايزال– المنبع الذي يفيض بالشواهد البيانية الفصيحة لكل من أعْمَلَ فكره في آياته . وقبل عرض هذه الظاهرة في كتاب الله ،ارتأيت أن أسلط الضوء على هذه الظاهرة بعمومها من حيث مفهومها ونشأتها وآراء العلماء فيها، ذلك أن كتاب الله نزل بهذه اللغة فما يُقال في الترادف ووقوعه أو عدم وقوعه في اللغة ينطبق على كتاب العربية الخالد.

* أما في مفهومها اللغوي نجد ابن منظور يقول:

ردف: الرِّدْفُ: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً، فهو رِدْفُه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الرُّدافى[(١)].

أما في الاصطلاح فالترادف هو تعدد الألفاظ للمعنى الواحد، أيّ وجود لفظين أو أكثر يدلان على المعنى نفسه ومثلوا له بأسماء السيف مثل الصارم والمهند، والحسام... [(٢)] من خلال ما سبق نلاحظ أن الترادف في الأصل للمعاني وليس للكلمات.

(١) لسان العرب، مادة ردف، المجلد السادس، صفحة ١٣٦، وانظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، صفحة ٨١٢.

(٢) البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، ١٩٨٩م، صفحة ١٦٤.

وقد بدأت فكرة الترادف بوضوح وجلاء في القرن الثاني للهجرة وذلك فيما جاء في تقسيمات سيبويه للألفاظ في باب اللفظ حيث يقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد"(١).

فقد مثل سيبويه على اختلاف اللفظين والمعنى واحد بذهب وانطلق ،وهذا ما أطلقوا عليه فيما بعد الترادف. هذه الظاهرة التي شغلت العلماء فألفوا فيها ومن الكتب والرسائل والبحوث، رسائل الأصمعي وكتاب الروض السلوف فيما له اسمان إلى ألوف للفيروز آبادي، والأسماء المختلفة للشيء الواحد لأبي عبيد بن سلام، والمخصص لابن سيدة... وغيرها وقد وصل الأمر في هذه الظاهرة حد الشغف والافتتان، ذلك أن بعضهم أخذ يبحث عن هذه الظاهرة من أجل صياغة الأساليب بحيث لا تؤثر على المعنى زيادة أو نقصاَ، وإنما هو من باب توسيع الكلام وإطالته ويتضح هذا الشغف في رسائل عبدالحميد الكاتب في قوله" مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف... وسفاف الأمور ومحاقرها... وإياكم والكبرُ الصلف... وليحذر السقطة والزلة"(٢).

هذا الافتتان والشغف أدى إلى كثرة الترادف في اللغة العربية ،وقد فسَّرَ إبراهيم أنيس كثرة الترادف بقوله: "إن موسيقى الكلام شغلت أصحاب اللغة عن رعاية الفروق بين الدلالات فأهملوها أو تناسوها واختلطت الألفاظ بعضها ببعض ،أو تراكمت في محيط واحد كسرب من النحل يجتمع في خلية واحدة أي إن الدلالة لم تصمد ولم تكن عصيّة على التطور والتغير بل اقتُصت من أطرافها فالتقت الألفاظ المتعددة على المعنى الواحد(٣).

---

(١) كتاب سيبويه، الجزء الأول، صفحة ٢٤.

(٢) المهارات الأساسية في الفتوى الكتابية، داوود الشوابكة ومصطفى الفار، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن، عمان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، انظر نص الرسالة صفحة ٥٨-٦٣.

(٣) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م، صفحة ٢٠٨.

نلاحظ أن إبراهيم أنيس يُرجِع السبب في عدم مراعاة الفروق اللغوية بين المفردات إلى العناية الفائقة في موسيقى الكلام، والاهتمام بتنسيق الحديث وترصيعه بعيداً عن النظر إلى الفوارق بين دلالات الكلام الأمر الذي أدى إلى وقوع المعنى على عدد من المفردات التي تعبر عنه.

لكن السؤال هنا عن الأسباب أو الدواعي التي أدت إلى ظهور الترادف؟ يجيب عن هذا السؤال علماء اللغة قدماءً كانوا أو محدثين، فقد ذكروا أسباباً عديدة للترادف منها:

١. تداخل اللغات واللهجات بعضها ببعض، وقد عبر عن هذا الأمر ابن جني في قوله "وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات الجماعات، اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا"[١] كذلك يقول ابن فارس عنه: "كانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يعُدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ،فإذا أتتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ،فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها"[٢].

فإذا كان احتكاك لغة قريش باللهجات الأخرى و نقل منها طائفة من المفردات، فإن الاحتكاك الآني الحاصل بين البلدان العربية أدى إلى تناقل الألفاظ بين البلدان ،ومثال ذلك القمح اللغة شاميّة وهو نفسه يسمى الحنطة في الكويت، وأهل الحجاز يسموه البّر.

---

(١) الخصائص، الجزء الأول، صفحة ٣٧٥.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه وطبعه أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، باب القول في إفصاح العرب، صفحة ٢٨.

٢. الاقتراض من اللغات الأخرى:

يدخل في ذلك المولَّد والمعرب بعد عصر الاحتجاج ، فقد دخل في اللغة العربية مادة غريبة وافدة من أصول عدة منها الإغريقي واللاتيني والفارسي بَلْهَ المواد ذات الأصول السامية التي لا نحسبها من الدخيل.. [١]"

٣. التطور اللغوي:

ويقصد به التغير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها ،أو دلالة مفرداتها ،أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في كافة مجالاتها، ومن هذه العوامل الحاجة إلى كلمة جديدة أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود[٢].

وهذا التغير في الأصوات والدلالة يوجه الألفاظ توجيهاً جديداً ،ويكسبها دلالة جديدة، الأمر الذي يؤدي إلى التقاء هذا المعنى بمعنى قائم في لفظ آخر، فتلتقي هذه الألفاظ على معنى واحد.

٤. التطور الدلالي:

ولهذا التطور الدلالي ثلاثة أنواع هي:

١- تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات، وتركيب الجمل، وتكوين العبارة وما إلى ذلك كقواعد الاشتقاق والصرف.

٢- تطور يلحق الأساليب مثال ذلك: التطور الحاصل لأساليب لغة الكتابة في عصرنا الحاضر عن أساليب الكتابة القديمة.

---

(١) فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، صفحة ١٦٥.

(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة،الدكتورعودة أبو عودة، الطبعة الثانية، دار عمار، الأردن- عمان١٤٣٣هـ-٢٠١٣م، صفحة ٤٥ وما بعدها.

٣-   تطور يلحق معنى الكلمة نفسه.

ولعل ما يهمنا من هذه الأنواع هو ثالثها؛ ذلك أنه يبحث في صلب ظاهرة الترادف ويعني أن المعنى المفردة يتطور من معنى أصلي قديم إلى معنى جديد لوجود علاقة تربط بين المعنيين، ويحضرني من هذه العلاقات المجاز، فمثلاً يطلق لفظ اللسان على اللغة فقد ربط بين هذين المعنيين علاقة مجازية أفضت إلى أن كلمة اللسان تعبر عن اللغة وقد يصل الأمر إلى حلول اللفظ المجازي مكان اللفظ الحقيقي(١).

هذه الأسباب أدت إلى نمو فكرة الترادف، حتى أصبحت مدعاة للفخر والاعتزاز "فهذا الأصمعيّ يفاخر بأنّه يحفظ للحجر سبعين اسماً وذاك ابن خالويه يتباهى بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً..." (٢).

وهذه المغالاة والمفاخرة كانت من الأسباب الرئيسة التي أشعلت نار الخلاف في مسألة الترادف في القرن الثالث ،ووصولاً إلى القرن الرابع الذي كان شاهداً بل وترجماناً على واقع الخلاف الذي دبّ بين علماء اللغة؛ فالناظر في آراء العلماء(٣) يرى لوحة متشابكة مترابطة بين آراء من أنكر هذه الظاهرة ومن أثبتها. وكان لكل فريق منهما الحجج التي أثبتها، وحتى نكون موضوعيين في هذه المسألة وجب علينا عرض آراء كل فريق ؛ ذلك أن اختلاف اللغويون العرب في وقوع هذه الظاهرة كان منذ النشأة الأولى لها، فقد أخذ طائفة من العلماء في جمع الكلمات التي تدل

---

(١) نفسه صفحة ٥٢-٥٣ بتصرف.

(٢) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، صفحة ٣٦.

(٣) لمعرفة آراء العلماء بالتفصيل في هذه المسألة يُنظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، صفحة ١٨٩-١٩٠.

على معنى واحد في العربية في مؤلفات[١] خاصة، وفي مقابلهم ظهرت طائفة أخرى تعارض الأولى معارضةً تامة رافضةً لهذه الظاهرة رفضاً شديداً ومن أمثلة العلماء[٢] القائلون ب:

إثبات الترادف:

١. سيبويه: (ت١٨٠ هـ)

يقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق"[٣].

٢. قطرب: (ت ٢٠٦ هـ)

يقول: "إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ،ليدلوا على اتساعهم في كلامهم كما زحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب"[٤].

٣. المبرّد: (ت ٢٨٥ هـ)

يقول: "من كلام العرب اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... وأما اختلاف اللفظين

---

(١) مثال هذه المؤلفات الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى للرماني، للمزيد ينظر مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد التاسع والعشرون، العدد الثالث، تصدر عن عمادة البحث العلمي– الجامعة الأردنية. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، صفحة ٦١٤.

(٢) للمزيد والاطلاع حول آراء العلماء المثبتين والمنكرين للترادف يُنظر الفروق اللغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع، الطبعة الأولى، مكتبة العكبيان، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، الفصل الأول من الكتاب حيث عرض لآراء العلماء القائلين بالترادف، في القرآن الكريم وفي الفصل الثاني، المبحث الثاني عرض فيه لآراء العلماء المانعين للترادف في القرآن الكريم.

(٣) كتاب سيبويه، الجزء الأول، صفحة ٢٤.

(٤) الإيضاح في الترادف، محمود سليم هياجنه، دار البيارق، عمان، ٢٠٠١م، صفحة ١٢.

والمعنى واحد فقولك ظننت وحسبت وقعدت وجلست وذراع وساعد وأنف ومَرْسَن"(١).

٤. ابن جني (ت ٢٩٣ هـ)

يقول: "ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضيّ المعنى إلى معنى صاحبه"(٢).

وقد جعل ابن جني الترادف ميزة للعربية تتشرف بها، ويرى أنّها من خصائص العربية التي تستحق النظر والتأمل، فنجده يفرد لهذه الظاهرة باباً يسميه (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"(٣).

٥. أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤)

فقد عقد نحو ١٤٢ فصلاً في كتابه المسمى "الألفاظ المترادفة"، وخصص كل فصل لإحدى الدلالات، ثم سرد في كل فصل الألفاظ التي تعبر عن دلالته فتراوحت تلك الألفاظ بين ثلاث كلمات مترادفة في فصل، ونحو إحدى وعشرين كلمة في فصل آخر... ولعل خير ما جمعه من مترادفات قوله:

- طرفي مقلتي، عيني، ناظري (لمعنى واحد)
- المجلس والمحفل والمجتمع والموسم (لمعنى واحد)(١

---

(١) مااتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ،اعتناء الأستاذ عبد العزيز الميميني،المطبعة السلفية ، القاهرة، صفح ٣. وانظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، الجزء الأول، دار إحياء الكتب العربية، صفحة ٣٨٨.

*المرسن : الأنف وجمعها المراسن انظر لسان العرب ،المجلد السادس، مادة رسن

(٢) الخصائص، الجزء الثاني، صفحة ١١٥.

(٣) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، صفحة ٥٨.

أما مثبتو الترادف من المعاصرين فقد جعلوا الترادف أنواعاً هي:

١. الترادف الكامل: وذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة ولا يشعر أبناء اللغة بأيّ فرق بينهما ولذلك يبادلون بحرية بينها في كل السياقات وهذا النوع نادر الوقوع، والسبب في ذلك أنّه من "الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بسهولة ويسر فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة"[٢].

٢. شبه الترادف أو التشابه: وذلك حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً لدرجة يصعب معها التفريق بينها ولذا يستعملها كثيرون دون التحفظ مع إغفال هذا الفرق ويمكن التمثيل لها النوع في اللغة العربية بكلمات عام، سنة، حول.

٣. التقارب الدلالي ويتحقق ذلك حين تتقارب المعاني لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل ويمكن التمثيل له بكلمتي حلم ورؤيا.

٤. الاستلزام: وهو قضية الترتيب أيّ إن س١ يستلزم س٢ إذا كان في كل المواقف الممكنة التي يصدق فيها س١ يصدق فيها س٢.

٥. استخدام التعبير المماثل: وذلك حين تتملك جملتان نفس المعنى في اللغة الواحدة[٣].

ووضعوا شروطاً لتحقيق الترادف تتمثل في: الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة من أفراد البيئة الواحدة، والاتحاد في البيئة اللغوية وذلك بأن

---

(١) دلالة الألفاظ، صفحة ٣٧-٣٨.

(٢) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، ١٩٦٢م، صفحة ١٠٩.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، مكتبة العروبة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، صفحة ٢٢٠-٢٢١.

تنتمي الكلمتان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات، والاتحاد في العصر، وأخيراً ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر كما في الجثل والجفل بمعنى النمل"(١).

ومن العلماء المعاصرين المثبتين للترادف:

١. إبراهيم أنيس:

يقول: "مهما حاول بعض الاشتقاقيين من إنكار وقوع الترادف في ألفاظ اللغة العربية فليس يغيّر هذا من الحقيقة الواقعة شيئاً، فالترادف قد اعترف به معظم القدماء وشهدت له النصوص(٢).

ويقول في موضع آخر: "ومع هذا فحين نُسَلِّم جدلاً بأن الألفاظ التي وضحت الصلة بين معانيها يمكن أن تعد من المشترك اللفظي نراها قليلة العدد إذا قيست بالمترادفات فهي لا تكاد تجاوز العشرات في حين أن المترادفات قد جاوزت المئات"(٣).

٢. علي عبد الواحد وافي:

يقول: "من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروةً في أصول الكلمات والمفردات، فهي تشمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو معظمها... هذا إلى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ... مالم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم .فقد جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم ."(٤).

لقد جعل د. وافي الترادف ميزة للغة العربية عن سائر اللغات الأخرى.

---

(١) فصول في فقه العربية، رمضان عبدالتواب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، صفحة ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، صفحة ٢٠٧.

(٣) نفسه، صفحة ٢١٠.

(٤) فقه اللغة. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، صفحة ١٦٨.

٣. صبحي الصالح:

يقول: "وهكذا لم نجد مناصاً من التسليم بوجود الترادف ولا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، لكن هذه الفروق على ما يبدو لنا – نُسيت فيما بعد، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكاً لها ودليلاً على ثرائها وكثرة مترادفاتها"(١).

نرى أن صبحي الصالح يقر بوجود فوارق، لكن هذه الفوارق قد نسيت نتيجةً لكثرة استخدام اللفظين على معنى واحد، لكن هل لنا أن نتستر وراء النسيان والإقرار بحتمية الترادف لاغين تلك الفروق الحاصلة؟! فإذا نسيها من قبلنا فلماذا لا نلقي على هذا النسيان حقيقة التذكر مبرزين معاني كل مفردة منصفين حقها في امتلاكها معنىً خاصاً تتفرد به عن أخواتها!

٤. الدكتور محمد خضر

يذهب إلى ما ذهب إليه سابقوه من بيان ما تمتاز به اللغة العربية من ثروة لغوية جعلت لها مكانة رفيعة بين اللغات الجزرية وما للترادف من أثر كبير في ثروة اللغة اللفظية... (٢)

يستوقفني قول د. محمد خضر: إن للترادف أثراً كبيراً في ثروة الألفاظ التي امتازت بها اللغة العربية.. فهل يعتبر الترادف من الآثار الأساسية في وجود تلك الثروة الضخمة من المفردات اللغوية؟ فإذا كان هذا الأمر يصدق عليه الصواب ،فما بالنا من ذكر العلماء للاشتقاق وكيفية تولد الألفاظ عن طريقه وعن طريق النحت؟ لماذا لم يذكر الترادف من بين تلك الأمور التي عدّها العلماء أساساً لتولد الألفاظ المتعددة من اللفظة الواحدة؟ لعل القول الصائب أن الترادف لا يعتبر من وسائل نمو اللغة، لأن هذا النمو مرتبط بأصل تنسيق من كلمات متعددة حاملة للأصل الأول.

---

(١) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، الطبعة الثانية، المكتبة الأهلية، لبنان، بيروت، صفحة ٣٤٨.
(٢) ينظر فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧، صفحة ١٩٢ حيث عرض فيه آراء جملة من العلماء حول قبضية الترادف.

هذه جملة من آراء بعض العلماء القائلين بالترادف، والناظر في هذه الآراء يجد أن فكرة المترادف من الأمور المسلَّم بوجودها في اللغة فهي ثابتة مستقرة في أذهانهم ولا حاجة لمناقشة أمره من أجل إثباته. وفي مقابل هذا الاتجاه ظهر اتجاه آخ هو:

إنكار الترادف:

أول ما يطالعنا من العلماء المانعين للترادف هو العالم الجليل أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي (ت٢٣١هـ) ذلك أنه "أول من سنّ سنة الإنكار"[١] وقد ذكر في هذا: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه وربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله..." [٢].

قوله هذا يؤكد وجود فوارق لغوية بين الألفاظ التي يظنُّ البعض أنّها تحمل في ثناياها دلالة واحدة ،وقد تبعه في هذا الرأيّ عدد من العلماء نذكر منهم.

١. ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) يعمد إلى تأليف كتابٍ بعنوان "أدب الكاتب" يرتئي فيه بيان الفروق اللغوية الحاصلة بين المفردات التي يجهلها الناس. ويقول في هذا: "فما رأيت أحداً منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ،ولا الحنف من الفدع ،ولا اللّمى من اللّطع"[٣].

---

(١) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، صفحة ٣٧.

(٢) المزهر، الجزء الأول، صفحة ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدّالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، صفحة ١١.

* الحنف: في القدمين إقبال كل واحدة منها على الأخرى بإبهامها... والحنَف الإعوجاج .انظر لسان العرب ، المجلدالرابع ، مادة حَنَفَ.

*الفدع:الميل والعوج .انظر لسان العرب ، المجلدالحادي عشر ،مادة فدع.

*اللطع :رقة الشفة وقلة لحمها.*اللمى : سمرة الشفتين . انظر لسان العرب ، المجلدالثالث عشر ، مادة لطع،لما.

٢. ومنهم أيضاً أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) إذ يقول: "الشاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني إن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فَعُرِف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف مما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً فهذا يدل على كل اسمين يجريان على معنى من المعاني ،وعين من الأعيان في لغةٍ واحدة، فإن كل واحد منهما يقضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فَضْلاً لا يُحتاج إليه"[١].

٣. ومنه هؤلاء العلماء أيضاً[٢] أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب(ت٢٩١)، ابن درستويه (ت٣٤٧)، وابن فارس(ت٣٩٥).

العلماء المحدثون القائلون بعدم وقوع الترادف فنذكر منهم:

– حفني ناصف، محمود تيمور، محمد المبارك، أحمد مختار عمر، أحمد بدوي، بنت الشاطئ[٣].

وسأكتفي بذكر رأي عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ إذ تتحدث عن اختلاف نظرة علماء اللغة في مسألة الترادف وكيف كانوا على طرفين متناقضين فنقول: "منا من يعد هذا التعدد ظاهرة فقدان الحس اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات ، وتحديد معاني الألفاظ أو يراه من الفضول والتزيّد

---

(١) الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، عُنيت بنشرة مكتبة القدسي، حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥٣هـ، صفحة ١٠-١١.

(٢) انظر الإيضاح في الترادف، محمود سليم هياجنة ،صفحة ١٤ وما بعدها.

(٣) مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، صفحة ٦١٤.

الذي لا فائدة فيه ومنا من يراه ظاهرة ثراء واسعة وقدرة على التصرف ،وما أكثر من يباهون بهذه الثروة اللغوية ويعدونها من مزايا العربية الشريفة"(١) ويتضح رأيها المنكر من خلال قولها:

"وان يكن تَقَدُّم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين لغتنا وغيرها من اللغات ووجهنا إلى البحث في خصائص العربية منتفعين بما هدت إليه البحوث العلمية في اللغويات والصوتيات فلم تعد كثرة الألفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة وإنما أصبحت قضية تلتمس حلاً"(٢).

من خلال الأقوال السابقة رأينا أن من يثبت الترادف يقرّ بوقوع لفظين مختلفين على معنى واحد، ومن يرفض هذه الظاهرة يلتمس فروقاً بين الألفاظ للدلالة على استقلالية كل لفظٍ بمعنى قائم عليه. وهذا ما أميل إليه فقد يتقارب اللفظان في الهيئة لكنهما يختلفان في الدلالة على أنه ينبغي علينا أن نعي هذه المسألة تمام الوعي، وتحديداً في حديثنا عن وجودها في كتاب الله ،أو إنكارها، ولا أقصد من ذلك التعصب للقرآن دون اللغة على العكس تماماً، فالقرآن الكريم نزل بهذه اللغة وما يجري على هذه اللغة لا شك أنه جارٍ على كتاب الله. ودليل ذلك وقوع الخلاف في إثبات الترادف أو إنكاره في القرآن، كما حصل في اللغة فالذين ذهبوا إلى وقوع الترادف في كتاب الله احتجوا بأن وجوده في القرآن يُقبل بلاغياً، فالإقرار بعدم وجوده يعني أن اللفظة الوحيدة ستتكرر مرات عديدة في سورهِ وآياته ومن ثمّ أقروا بوجوده في اللغة والقرآن وقد درسوا الترادف في أثناء تعرضهم للأحرف السبعة ونزول القرآن لها والتوكيد والمتشابه وتفسير القرآن المختلف تبعاً للمفسر، ومن أنكره احتج بالفروق اللغوية بين المفردات وهذا هو الواقع في حقيقته فرب العزة ذكر في وصف هذا

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية بيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٨٤م، صفحة ٢١٠.

(٢) نفسه صفحة ٢١٠.

الكتاب قوله: "**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**" فكيف لنا أن نوفِّق بين الإحكام في صنعة هذا الكتاب ، وإمكانية إحلال لفظ مقام آخر ويدل على المعنى ذاته. ولا يعني قولي هذا أنه عز على نفسي القول بأنه لا يجوز أن نقول بأن ما يصدق على اللغة يصدق على القرآن فهذا مخالف للصحة ذلك أن هذا القرآن نزل بهذه اللغة(١).

لكن الأمر يتطلب منا أن ننصف القول في هذه المسألة، ولا سبيل للإنصاف إلا ببيان الحجج والبراهين على ما أذهّبُ إليه من عدم وقوع الترادف في اللغة وفي كتاب الله، لأن ما يقتضيه العقل يفرض علينا الإجابة عن السؤال التالي:

إذا كان الترادف حاصلاً في اللغة فلماذا ارتحل الفرد من أصحاب هذه اللغة من مكانٍ إلى آخر بحثاً عن الألفاظ التي يجد فيها الملاذ للتعبير عن فكرة يجهد نفسه وعقله للوصول إلى اللفظة ووضعها في مكانها المخصص لها خوفاً من التعرض للنقد اللاذع الذي هو بمثابة الميزان الذي يزن السليم من القول فيرفعه ويطرح الرديء فيقلعه؟ فإذا كان هذا في واقع لغة البشر فكيف يكون في لغة القرآن المعجزة؟ الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن الترادف في كتاب الله معدوم لما لألفاظه ولغته من دقة في حسن الاختيار لأداء المعنى وبيان المقصود ،فلا يعقل أن تتعدد الألفاظ الدالة على التطابق التام بين الدلالتين واتحاد المعنى اتحاداً تاماً على أساس واحد دون حدوث أيّ تطور صوتي بينهما. فالقول في وجوده في كتاب الله هذا يدل على الحشو والزيادة التي هي من صور النقص والعجز التي يتعالى عنها القرآن الكريم. وإذا قال قائل فما بالنا من المتشابهات الواقعة في القرآن الكريم متسائلاً أليس هذا من باب الترادف؟ قلنا له: كلّا إنّ هذا مخالف للصواب تماماً ،ذلك أن المتشابه اللفظي: هو علم يبحث في العلاقات الدلالية التي تربط بين تلك الألفاظ المتشابه

---

(١) للمزيد ينظر الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق،محمد نور الدين المنجد، صفحة ١٠٩ وما بعدها.

وتجعلها في حقل دلالي خاص ،يتقارب فيها المعنى العام ويفترق في الدلالات الخاصة، ولعل هذا المتشابه اللفظي هو الذي دفع القائلين بوجود الترادف في القرآن الكريم إلى الإقرار والإصرار على ذلك فهم يلتفتون إلى القدر المشترك من المعنى العام وتلك الألفاظ المتشابهة المتقاربة مع عدم إدراكهم أن كل كلمة في هذا الكتاب وضعت بأسلوب دقيق متناهٍ لذلك عمدوا إلى تفسير الكلمات القرآنية بكلمات أخرى ظناً منهم أنها تؤدي نفس المعنى غافلين على أن هذا هو من باب التقريب بين الألفاظ لا من باب تحديد المعنى الدقيق للكلمة؛ لذلك نرى الراغب الأصفهاني يحثُ على ضرورة الاشتغال بالعلوم اللفظية اللغوية في القرآن الكريم وقد قال في هذا: "إنّ أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاونِ لمن يريد أن يدرك معانيه"[(١)].

فلا يعيينا أن نراجع ونعاود المراجعة في معاني المفردات القرآنية تلك المراجعة التي نجد فيها الملاذ للتحرر من سلطة الشك، وبالتالي تقودنا إلى المعنى الصواب والدقيق. لذلك جدّ العلماء في البحث عن معنى المفردة المطابق لها وبحثوا في الفروق الدقيقة لمعاني الألفاظ بغية التأكيد على عدم وقوع الترادف في القرآن.

ومن الأدلة[(٢)] التي تؤكد ما ذهبنا إليه ما يأتي:

١ – الخوف والخشية

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، أعده للنشر وأشرف على الطبع الدكتور محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ذكر هذا القول في المقدمة تحت ترميز "د".

(٢) للمزيد من هذه الأمثلة ينظر في كتاب الإيضاح في الترادف، محمود سليم هياجنة، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن، محمد الشايع، حيث عرض لمجموعة من الأمثلة التي تدلل على أن هناك فروقاً لغوية بين الألفاظ التي يُعتقد أنها متشابهة في المعنى.

يرد لفظ الخوف والخشية على معنى واحد ذلك أن بينهما تقارباً دلالياً ، وبالرغم من هذا التقارب إلا أن هناك فرقاً دلالياً دقيقاً بين طيات كل مفردةٍ من هذه المفردات وسيكون سبيلنا إلى الكشف عن هذا الفارق من خلال آيات القرآن الكريم فقد ذكر الله تعالى الخوف والخشية بمختلف تصاريفها في آيات كثيرة(1).

وقد ذكر أبو هلال العسكري أن الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه... تقول خفت زيداً كما قال تعالى: {**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**}(2) والخشية تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نصب المكروه خشية ولهذا قال تعالى: { **قال يا يبنؤمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ ولم ترقب قولي**}(3) قلنا أنّه خشي القول المؤدي إلى الفرقة والمؤدى إلى الشيء بمنزلة من يفعله(4).

وقيل إن الخشية في البيان القرآني تفترق عن الخوف، بأنها تكون على يقين صادق بعظمة من نخشاه... وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر. والخشية في تقدير القرآن يجب ألاّ تكون إلا لله وحده دون أيّ مخلوق، يطرّد ذلك في كل مواضع استعمالها في الكتاب المحكم بصريح الآيات(5).

---

(1) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، القسم الأول، خياط، بيروت- لبنان، مادة (خ ش ى) صفحة ٢٣٣ وما بعدها، ومادة (خ و ف) صفحة ٢٤٦ وما بعدها.

(2) النحل: ٥٠

(3) طه: ٩٤

(4) الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، صفحة ٢٠٠.

(5) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، صفحة ٢٢٦.

ويقول السفاريني (ت ١١٨٨ هـ) الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوّف...

والخشية أخصُّ من الخوف فإنها للعلماء بالله قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]** فهي خوف مقرون بمعرفه[١].

بالتالي ندرك أن الخشية أعلى من الخوف، بل هي أشدّ الخوف، ذلك أن الخشية تكون من عظم الشيء الذي يُخشى منه ،أما الخوف فيكون من ضعف الشخص الخائف من المكروه ، لذلك تعلقت الخشية بطائفة معينة وهم العلماء وأصحاب العقول النيرة الذين يخشون الله وبالتالي كان جزاء هذه الخشية المغفرة والأجر الكبير.

لننظر في قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(٢).**

يقول الطبري: إنما يخشى الله من عباده العلماء، إنما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء ،وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه وقيل إنّما **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء):** قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير[٣].

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، الجزء الأول، مطبعة النجاح، مصر، ١٣٢٤هـ، صفحة ٤٠٠.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) تفسير الطبري، الجزء الثاني والعشرون، صفحة ١٥٦.

وقيل المراد في ذلك: العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظّموه وقدّروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث "أعلمكم بالله أشدكم له خشية"(١).

ويقاس على هذه الآية قوله تعالى:

{رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}(٢)

{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}(٣)

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}(٤)

من خلال هذه الآيات نجد أن لفظ الخشية جاء متعلقاً بالله ذلك أنه مِنْ أعظم من يُخشى فلم يقل رب العزة في هذه الآيات إن الذين يخافون أو ذلك لمن خاف ربه...

فلفظ الخشية تعلق بشيء عظيم وارتبط به ، فالخشية تكون وتتجلي نتيجة لعظمة المخشي منه، وقد جاءت متعلقة بمن هم من أهل العلم والمعرفة في هذا.

أما لفظ الخوف فنذكر قوله تعالى:

(وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) (٥)

يقول الألوسي (ت ١٢٧٠هـ):

---

(١) تفسير الكشاف، الجزء الثالث، صفحة ٤٦٣.

(٢) البينة: ٨.

(٣) يس: ١١.

(٤) الملك: ١٢.

(٥) النمل: ١٠.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبطه وصححه علي عبدالباري عطية، الجزء العاشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠١١م، صفحة١٥٩.

"(لا تخف): أيّ يا موسى لا تخف من غيري ؛ أيّ مخلوق كان حية أو غيرها ثقة بي واعتماداً عليّ {**إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**} هذا تعليل للنهي عن الخوف وهو على ما قيل يؤيد أن الخوف كان للظن المذكور وأن المراد "لا تخف" مطلقاً والمراد من (لديَّ) في حضرة القرب مني، وقيل المعنى لا تخف من غيري أو لا تخف مطلقاً فإن الذي ينبغي أن يخاف منه أمثالك المرسلون إنما هو سوء العاقبة"(١).

وفي تفسير هذه الآية نجد أن الألوسي في معرض حديثه دلل على أن المرسلين في سائر الأحيان أخوف الناس من الله عز وجل وذلك بقوله تعالى: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**)"(٢).

يا لإعجاز الخالق في هذا الكتاب ويا لإبداع مفردات هذا الكتاب العظيم فقد جعلت هذه الآية الخوف من شيء يرتعب له القلب، بل ويرتعد وهو ذلك الثعبان المروع على حين جاءت الخشية مقترنة بالله عز وجل.

ومنه قوله تعالى: {**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}(٣).

ومعنى {**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**} أيّ عقاب ربهم وعذابه؛ لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء وقيل المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ففي الكلام حذف وقيل معنى {**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**} يعني الملائكة يخافون ربهم(٤).

---

(٢) روح المعاني ،صفحة ١٥٩-١٦٠.

(٣) النحل: ٥٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الجزء التاسع، صفحة ١١٣.

والذي يؤكد على وجود الفارق بين الخوف والخشية قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**}(١).

فقد عطف الخوف على الخشية والعطف يقتضي التغاير.

ويقول سيد قطب في هذا: هي خشية الله ومخافة العقاب الذي يسوء في يوم لقائه الرهيب وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب(٢).

ومنه قوله تعالى: {**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً**}(٣).

المراد هنا الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم أن يقدّروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة...

أيّ ليخشَ الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم"(٤).

وبعد هذه الجولة في بيان الفرق الدقيق بين الخشية والخوف ، أقول إن هذا الذي أردته عندما جعلتعنوان هذا البحث (نحو القرآن الكريم) فإن هذه الدلالات التي أناقشها ليست من آية واحدة ولا من سورة واحدة بل هي في القرآن كله ، وهكذا في كل المواد التي سأعرض إليها في هذه الرسالة .

---

(١) الرعد: ٢١

(٢) في ظلال القرآن، المجلد الرابع، صفحة ٢٠٥٧.

(٣) النساء: ٩.

(٤) تفسير الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٣٦٦.

٢ – الشك والريبة

دأب الكثير على تعريف أحدهما بالآخر، والحقيقة أن بينهما تقارباً في المعنى يسوغ ذلك ،إلا أن هذا التقارب لا ينفي وجود فارق لغوي يفصل بينهما، فقد عرّف أبو هلال العسكري الشك بقوله: "الشك هو استواء طرفي التجويز.. وأصل الشك في العربية من قولك شككت الشيء إذا أجمعته بشيء تُدخله فيه والشك هو اجتماع شيئين في الضمير. وذكر في حديثه عن الشك أنه وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر[١].

ويقول الريبة هي خصلة من المكروه تُظن بالإنسان، فيشك معها في صلاحه فالارتياب شك مع تهمة الشاهد إنك تقول إني شاك في المطر ولا يجوز أن تقول إني مرتاب بفلان إذا شككت في أمره واتهمته[٢].

أما الأصفهاني فيعرف (الشك) بقوله: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود امارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الإمارة فيها والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود وربما كان في جنسه من أيّ جنس هو أو في بعض صفاته[٣]. أما الريب فهو أن تتوهم بالشيء فينكشف عما تتوهمه[٤].

فبالتالي نقول إن الشك: هو التداخل الذي يؤدي إلى الغموض وعدم استبانة الأمور، أيّ بالشك يكون احتمال الأمرين على السواء مثل: الشك في نزول المطر إذ اجتمع ما يدلل على

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، صفحة ٧٩.

(٢) نفسه، صفحة ٨٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، صفحة ٣٨٨.

(٤) نفسه، صفحة ٢٩٨.

نزوله وعدم نزوله على السواء. أما الريب: فهو حالة يميل فيها الشخص إلى الاتهام وظن السوء أيّ عقد الأمر على ظن السوء على خلاف الشك المعقود على الحيرة والاضطراب.

ولبيان هذا الفارق بينهما نستعرض آيات من القرآن الكريم لتؤيد ما ذكرناه.

قوله تعالى: {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**}(١).

يذكر الألوسي في تفسير هذه الآية بعد ذكره للفرق بين الريب والشك عند الأصفهاني فيقول: قال الجولي: الشك لما استوى فيه الاعتقادان ،أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما لدرجة الظهور الذي تتبني عليه الأمور والريب لما لم يبلغ درجة اليقين... ولذا حسن هنا {**لاَ رَيْبَ فِيهِ**} للإشارة إلى أنه لا يحصل فيه ريب فضلاً عن شك، ونفى سبحانه الريب فيه على معنى أنه في علو الشأن وسطوع البرهان بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر في كونه وحياً من الله تعالى"(٢).

وكذلك قوله تعالى: {**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**}(٣).

يقول: ارتابت قلوبهم عطف على الصلة ،وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقريره(٤).

وقوله تعالى: {**قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**}(٥).

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) روح المعاني، الجزء الأول، صفحة ١٠٩-١١٠.

(٣) التوبة: ٤٥.

(٤) روح المعاني، الجزء الخامس، صفحة ٣٠٢.

(٥) هود: ٦٢.

قوله تعالى: {**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**} يعنون بذلك أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله وأن الألوهية لا تكون إلا له خالصةً. وقوله: (مريب) أيّ يوجب التهمة من أربته فأنا أريبه ارابه، إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة(١).

أما لفظ الشك فيقول تعالى في كتابه العزيز: {**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**}(٢).

يقول تعالى لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم –: يا محمد إن كنت في شك من حقيقة ما أخبرناك، وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه؛ لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم(٣).

من خلال تفسير هذه الآية يحتمل أن يكون سيدنا محمد قد شك في الأمر أو لم يشك على السواء؛ لذلك قال له تعالى: لو كان لديك شك فلتسأل أهل الإيمان عن ذلك. ويؤكد هذا الأمر ما ذكره الزمخشري في تفسير هذه الآية إذ يقول: فرق عظيم بين قوله: {**وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**} بإثبات الشك للكفرة على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله تعالى: {**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ**} بمعنى العرض والتمثيل كأنه قيل: فإن وقع لك شك مثلاً وخيّل الشيطان خيالاً منه تقدير {**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ**}(٤).

---

(١) تفسير الطبري، الجزء الثاني عشر، صفحة ٧٦.

(٢) يونس: ٩٤.

(٣) تفسير الطبري، الجزء الحادي عشر، صفحة ١٩٣.

(٤) تفسير الكشاف، الجزء الثاني، صفحة ٢٧٦.

وكذلك قوله تعالى: {**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**}(١).

قوله تعالى: {**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ**} يعني ذلك أن من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جهّال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال ولذلك قال: {**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**} أيّ وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكيّن متوهمين.(٢) نجد أنه استوى لديهم أن يكون هذا عيسى –عليه السلام– من عدم كونه هو نفسه.

والذي يؤكد حقيقة وجود الفارق اللغوي بين الشك والريبة وجود آيات جاء فيها الريب وصفاً للشك في عدة مواقع، فإذا كان كلا اللفظين مترادفين فكيف يوصف الشيء بنفسه؟ هذا الأمر جعلنا نقرّ بوجود فارق بينهما لأن الشيء يوصف بما يقاربه. ومن ذلك قوله تعالى: {**قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**}(٣).

وقوله تعالى: {**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**}(٤).

وقوله تعالى: {**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**}(٥).

---

(١) النساء: ١٥٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، صفحة ٥٨٠.

(٣) هود: ٦٢.

(٤) فصلت: ٤٥.

(٥) إبراهيم: ٩.

وقوله تعالى: {**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ**}(١).

وقوله تعالى: {**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**}(٢).

نخلص مما سبق أن الريبة ليست رديفاً للشك وإنما هي ناتجة عنه. فالريبة قلق النفس وقد سبقه الشك الذي يقضي إلى حالة من الاضطراب والتردد.

يقول صاحب الكليات (ت ١٠٩٤هـ) الشك سبب الريبة، كأنه شك أو لا، فأوقعه ذلك الشك في الريب، فالشك مبدأ الريب كما أن العلم مبدأ اليقين والريب ما لم يبلغ درجة اليقين يقال شك مريب ولا يقال ريب مشكّل قد يجيء بمعنى القلق والاضطراب.(٣)

ولعل الحديث عن الترادف في القرآن الكريم يقودنا إلى الحديث عن طبيعة المصطلح القرآني، ذلك أن القرآن الكريم اهتّم باختيار ألفاظه اختياراً دقيقاً معبراً من خلالها عن المضامين التي احتضنتها آيات الكتاب، هذه المضامين التي لامست القلوب قبل العقول من خلال مصطلحاتها التي نفذت إلى داخلنا دون تكلفٍ أو تعب. نعم هذا هو القرآن بألفاظه ومعانيه وإعجازه وطريقة تأليفه وترابطه وتنظيمه، بحيث لو حاول أحدنا خلخلة هذه الرتابة والنظام لخرجنا عن ماهية الرابط الذي آلف بين ألفاظِ آياته ولظلت المعاني التي تقبع تحت هذه الألفاظ بين الاحتمالات، هذه الألفاظ التي تؤكد حقيقة الارتباط الحاصل بين حياة الإنسان الدنيوية وحياته

---

(١) سبأ: ٥٤.

(٢) الشورى: ١٤.

(٣) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريميّ الكفويّ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، صفحة ٤٤٣.

الأخرويه من خلال معادلة واضحة للعيان تتجلّى فيها القدرة على معرفة الاتصال والثبات والاتفاق الذي يقودنا إلى اليقين الثابت، فنصل إلى الحقيقة دون شك أو خلاف. والذي قادنا إلى هذا القول أن هذه الآيات بما تحويه من ألفاظ ورابط نَسّق بعضها بالآخر جعل عندها القدرة لتوفّق بين الأمور المختلفة فكانت الأساس الذي ولدّ معنى التعادل في هذا الوجود. وبهذا التعادل كانت ألفاظ القرآن موازنة لمعانيها وقد لفتت هذه الألفاظ بطبيعتها وفصاحتها أنظار العلماء.

فنجد الراغب الأصفهاني يقول: "ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته وما عداها وعدا الألفاظ المشتقات كالقشور والنوى بالنسبة إلى أطايب الثمر وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة"(١).

وعليه فقد قُسِمت المصطلحات القرآنية إلى أربعة أقسام وهي(٢):

١- مصطلحات وردت في مكان واحد ومعنى واحد:

ومثاله كلمة (صيّب) فقد وردت هذه الكلمة في مكان واحد في القرآن وبمعنى واحد وهو المطر، وذلك في قوله تعالى: {**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**}(٣).

قال أبو جعفر والصيب الفيعل، من قولك: صاب المطر يصوب صوباً، إذ انحدر ونزل... وقال لي عطاء: الصيب المطر(٤).

ويقول البقاعي: كصيب أي أصحاب صيب أيّ مطر عظيم(١).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ذُكِر هذا القول في المقدمة تحت ترميز (د/هـ).

(٢) انظر المصطلحات القرآنية ما اتفق لفظه واختلف معناه، الدكتور كمال المويل، الشبكة المعلوماتية، www.suna٣.net.

(٣) البقرة: ١٩.

(٤) تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ١٦٩-١٧٠.

٢- مصطلحات وردت في مكان واحد ومعانٍ متعددة:

ومثاله قوله تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً**}(٢).

الصفصف: الأرض الملساء، وقيل: المستوية. والتي لا نبات فيها ولا بناء(٣).

لعل المتأمل في هذا النوع من أقسام مصطلحات القرآن يجد أن في داخله نوعاً من عدم التوازن، فإذا قلنا إن معنى الصفصف حسب ورودها في التفسير: الأرض المستوية أو الملساء. فالسؤال المترتب: ما الفرق بين المستوي والأملس في اللغة؟ بديهياً وعقلياً لا يشعر القارئ أن هناك فارقاً بينهما ويدللنا على ذلك المعجم حيث ورد:

أن المَلَس: المكان المستوي(٤).

والسِّيُّ: المكان المستوي(٥).

فالملاحظ أن المعنى اللغوي لكليهما واحد، فكيف نقول تعددت المعاني لهذا المصطلح؟! فالحاصل أن هذا القسم ينتمي إلى القسم الأول، فمعنى صفصف يحتمل دلالة واحدة لا أكثر. لكن ما حصل مرجعه إلى أثر اللغة في اختلاف أقوال المفسرين من الناحية التعبيرية لهذا المصطلح،

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الجزء الأول، صفحة ١٢٢.

(٢) طه: ١٠٥-١٠٧.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، الجزء الرابع عشر، صفحة ١٣٧. وانظر تفسير الطبري، الجزء السادس عشر، صفحة ٢٤٦.

(٤) لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة ملسَ.

(٥) نفسه، المجلد السابع، مادة سوا.

وهذا يؤكد حقيقة ما ذكرناه بأن لا ترادف واقع في القرآن فكل مفردة في القرآن جاءت تحمل دلالتها الخاصة المهيأة لها في واقع الآية التي وردت فيها.

٣- مصطلحات وردت في أماكن متعددة وبمعنى واحد

ومثال ذلك مصطلح الودق في قوله تعالى:{ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ**}(١).

وقوله: {**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**}(٢).

فالودق جاء هنا بمعنى المطر ، والوصف العلمي للودق الآن ، فإنه يجعله نوعان من المطر يتشكل من خلال عمليات طبيعية يجعله مطراً ذا حبات كبيرة تختلف عن ذرات المطر المعتادة.

٤- مصطلحات وردت في أماكن متعددة وبمعان مختلفة(٣)

ومثال ذلك مادة "نظر" فقد وردت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة تجلى في كل موضع معنىً انفرد به عن الآخر، وسيكون سبيلنا في الكشف عن هذه المعاني من خلال إيراد جملة من الآيات المتضمنة لمادة "نظر" وبيان معناها من خلال التفسير:

١. قال تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}(٤).

---

(١) النور: ٤٣.

(٢) الروم: ٤٨.

(٣) للمزيد حول هذا ينظر ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين أحمد ياسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ٢٠٠٩م، حيث عرض في المبحث الثالث دلالات النفس والروح، صفحة ٣٠ وما بعدها، وانظر التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، عودة أبو عودة، الفصل الثالث وما بعده.

(٤) القيامة: ٢٢-٢٣.

فقد جاء المقصود بالنظر هنا رؤية الله عز وجل إذ يُقال إنها تنظر إلى ربها... وقيل تنظر إلى ربها نظراً.. وتنظر إلى الخالق[١].

٢. قال تعالى: {**مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**}[٢].

يقول تعالى ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا صيحة واحدة تأخذهم وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة[٣]، وقيل: ما ينظرون أيّ ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل.[٤]

٣. قوله تعالى: {**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**}(٥)

فانظروا هو عند الجمهور: من نظر العين. وقال قوم: هو بالفكر.[٦]

٤. قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}(٧)

قوله تعالى "لا ينظر إليهم"، أي: لا يعطف عليهم ولا يرحمهم[٨]. وهي مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم. نقول فلان لا ينظر إلى فلان: تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه[٩].

---

(١) تفسير الطبري، الجزء التاسع والعشرون، صفحة ٢٢٨.
(٢) يس: ٤٩.
(٣) تفسير الطبري، الجزء الثالث والعشرون، صفحة ١٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الخامس عشر، صفحة ٣٨.
(٥) آل عمران: ١٣٧.
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالله الأنصاري والسيد عبدالعلي إبراهيم ومحمد الشافعي العناني، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
(٧) آل عمران: ٧٧.
(٨) روح المعاني للألوسي.
(٩) تفسير الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٢٨٧.

٥.قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**}[١].

قوله تعالى "ولا هم ينظرون"، أي: لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظرة رحمة[٢].

ويذكر الألوسي في هذا قوله تعالى "ولا هم ينظرون" عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه، وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفي واستمراره. والفعل إما من الإنظار بمعنى التأخير أيّ لا يمهلون من العذاب ولا يُـأَخّرون ساعة، وإما من النظر بمعنى الانتظار أيّ لا ينتظرون ليعتذروا.[٣]

المتأمل لهذه الآيات الكريمة يجد أن مادة "نظر" باختلاف القالب الصرفي الذي جاءت عليه، حملت في داخلها معنى فرضه عليها سياق الآية ذلك أن مصطلحات القرآن ليست قالباً وُضِع لحمل المعنى على العكس تماماً، إنما هو تفاعل حاصلٌ بين هذا المصطلح والدلالة التي يحملها السياق الذي ترد فيه. فنحن نقف عاجزين عن بيان مقصود الآية إلا بربط المفردة بأختها وربطها بمجمل الآية وربط الآية بسابقها ولاحقها ليتضح المعنى الذي بُني وفقاً لسياق الآية الكريمة. فظهر لنا ذلك كله من خلال وحدة التناسق والانسجام في ألفاظه وأفكاره وصوره وأسلوبه ونطقه وقوة الحبك والسبك في أجزاء آياته التي تحمل أبعاداً عميقة لا تنفصل فيها عن ماهية وغرض القرآن الذي جاء لأجله.وإن هذا العرض لآيات الله عزوجل في مختلف السور والآيات ليدل على

(١) البقرة: ١٦٢-١٦٣.

(٢) تفسير الكشاف، الجزء الأول، ١٦١.

(٣) روح المعاني، الجزء الأول، صفحة ٤٢٨.

أن القرآن كتاب واحد ونص واحد ، وسياقه يكشف عن دلالته التي لايمكن أن يجدّ فيه المرء اختلافاً ،أو تعارضاً، أو خللاً ، فإن أحسّ المرؤ بذلك ،أو ادّعى أناس بغير هذا الاتساق والاكتمال فإنه هو من سوء النظر ومن البعد عن التعامل مع البيان القرآني ، أو ربما يكون انسياقاً إلى غرض يجهد نفسه للوصول إليه.

الفصل الثالث :

شواهد تطبيقية من القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : دراسة بيانية في قصة موسى عليه السلام.

المبحث الثاني: مسائل إعرابية في القرآن الكريم وأثرها في التفسير.

المبحث الثالث:لمسات بيانية من القرآن الكريم.

المبحث الأول: دراسة بيانية في قصة موسى عليه السلام

لم يأت القرآن الكريم على أسلوبٍ واحد لإيصال رسالته للبشرية بل تنوعت أساليبه ، ومن هذه الأساليب أسلوب القصة التي اعتنى بها القرآن كثيراً؛ ذلك أنها ليست "حليّةً للنص القرآني أو ترفاً فنياً أو تاريخاً لمجرد التاريخ أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذّ في المتلقي، فإنها صدق لا خيالَ فيه وحقٌ لا زيفَ فيه، وبما أن مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه – وهو الوحي الإلهي – فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاه من أشكال التعبير الأخرى في القرآن غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص لما فيها من عرض حيّ للفكرة والغرض مجسم في أشخاص يتحركون ويتكلمون ويتحاورون وفي أحداث تُبث فيها الحياة فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوامٍ مضوا"[(١)]

وقد جاءت قصص القرآن ممتزجة بموضوع السورة الواردة فيها امتزاجاً يَصْعُبُ فيه الفصل بينها وبين موضوعات السورة ذلك أنها لها دورٌ في بيان مضمون النص وتوضيحه فالتصوير الأدبي هو "سمة القرآن في كل ما يقول... وهو في القصة القرآنية أوفى وأتم إذ إنه ينقل المشاهد والحركات ويصور أدق الملامح وأعمق الخلجات بحيث يكون إيحاؤه تعبيراً آخر يرفرف على الألفاظ فيكسبها من المعاني ما لا ينحصر في حدود القواميس"[(٢)] وقد جاءت هذه القصص تحمل

(١) محاضرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، الطبعة الأولى، دار النفائس، عمان – الأردن، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م، صفحة ٣٠٧.

(٢) البيان القرآني، محمد رجب البيومي، صفحة ٢٠٥.

في طياتها جملة من الأهداف فقد ترد القصة الواحدة في مواضع متعددة من القرآن جالبةً معها هدفاً جديداً أو عبرة جديدة .ومن أهداف القصة في القرآن(١):

١- الدعوة إلى توحيد الله والإيمان بالبعث وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية وذلك من خلال قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا.

٢- تثبيت الرسول – صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم من أذى وتعذيب أقوامهم وكيف صبروا على هذا الإيذاء.

٣- تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العلمية الماثلة في قصص القرآن والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام.

٤- الإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والعبث في عقل المتلقين.

٥- الترغيب بالتأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمن الطائع، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحد العاصي .ومثال ذلك قصة انجاء الله تعالى موسى وجنوده في اليم.

وفي هذا المبحث سنعرض لقصة سيدنا موسى–عليه السلام- في مراحل حياته ذلك أن هذه القصة تكررت في القرآن الكريم في أربعة وثلاثين(٢) موضع .و لعل السبب في ذلك أنه من أولي العزم، ذو شريعة مستقلةٍ، ولأنه أرسل إلى فئتين، كانت كل منهما على جانب من العناء والقسوة والكفر. فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملؤه) وأخرى استمرأت الذلة والتبعية والاستضعاف

---

(١) انظر محاضرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، صفحة ٣٠٨-٣٠٩ وانظر التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، صفحة ١٤٤ حيث عرض لأغراض القصة.

(٢) ينظر سور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، السجدة، الأحزاب، الصافات، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الأحقاف، الذاريات، النجم، الصف، النازعات، الأعلى.

(بنو إسرائيل) ثم إن الذين أُرسِل إليهم سيدنا موسى –عليه السلام–و لبعضهم آثار باقية دالة على قوتهم وبطشهم وهم الفراعنة أما بعضهم الآخر وهم بنو إسرائيل فإن لهم شؤوناً مع المسلمين منذ فجر الرسالة المحمدية، وليس غريباً أن يكون موسى عليه السلام أكثر ذكراً من غيره في كتاب الله لأن الحديث عنه لم يكن من زاوية واحدة كما هو شأن أكثر الأنبياء وإنما تعددت الزوايا وكثرت الجوانب وذلك لما فيها من عظات ودروس"[١] منها:

١. بيان أن قدر الله ماضٍ لا محالة وأنه لا يستطيع أحد أن يغيره أو يرجعه مهما حاول واتخذ من أسبابٍ ووسائل ،ويتجلى ذلك في قتل فرعون أبناء بني إسرائيل حذراً من ظهور الشخص الذي يزيل ملكه منهم إلا أنه ربّى في حجرة الشخص الذي كان مقدراً له أن يزيل ملكه.
٢. بيان عاقبة الظلم والظالمين ويتجلى ذلك في نهاية فرعون النهاية الوبيلة.
٣. بيان لنفسية الشعوب المستضعفة والسبل التي ينبغي أن تسلكها لتتحرر، ويتجلى ذلك في ذكر نفسية وتكوين بني إسرائيل الذين تربوا على الذلة والجبن والخنوع... ومحاولة سيدنا موسى إعدادهم إعداداً آخر يرفعهم فيه فلم يستجيبوا له.
٤. بيان أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس إذا ما عرفته وآمنت به ،وأن ليس بوسع أي أحد أن يحول بينها وبينه مهما اتخذ من وسائل إغراء أو تهديد ويبدو ذلك في إيمان السحرة لموسى وفي دخول الحق بيت فرعون"[٢]

---

(١) قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، الطبعة الثالثة، دار النفائس، الأردن، ١٤٣٠هـ–٢٠١٠م، صفحة ٤٧٩–٤٨٠.

(٢) دراسة بيانية في الأسلوب القرآني، التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثامنة، دار عمار، الأردن، ١٤٣٤هـ–٢٠١٢م، صفحة ٢٧٤–٢٦٧.

أ- موسى عليه السلام طفلاً رضيعاً:

ورد ذكر هذه المرحلة مفصلاً في سورتي طه والقصص يقول الله تعالى: "وَلَقَد مَنَنّا عَلَيكَ مَرَّةً أُخرى * إذ أَوحَينا إلى أُمِّكَ ما يوحى*أَنِ اقذِفيهِ فِي التّابوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَيني* إذ تَمشي أُختُكَ فَتَقولُ هَل أَدُلُّكُم عَلى مَن يَكفُلُهُ فَرَجَعناكَ إِلى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُها وَلا تَحزَنَ وَقَتَلتَ نَفسًا فَنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنّاكَ فُتونًا فَلَبِثتَ سِنينَ في أَهلِ مَديَنَ ثُمَّ جِئتَ عَلى قَدَرٍ يا موسى"(١)

ويقول تعالى في سورة القصص: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ* فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ* وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ* وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ* فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(٢).

من خلال هذه الآيات نلاحظ أن هذه المرحلة من حياة سيدنا موسى وردت مفصلة في سورة القصص وموجزة في سورة طه ولعل سبب ذلك "أن الحديث في سورة القصص كان فيها "تمهيد بالحديث عن استعلاء فرعون في الأرض وجعله أهلها شيعاً "يستضعف طائفةً منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءَهم إنه كان من المفسدين" فأراد الله أن يمنّ على الذين استضعفوا في الأرض

(١) طه: ٣٧-٤٠.

(٢) القصص: ٧-١٣.

ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ويمكن لهم في الأرض ليري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون"[١] فبعث لهم سيدنا موسى منقذاً لهم.

لننظر في إعجاز آيات القرآن من خلال هذه المرحلة في حياة سيدنا موسى يقول تعالى " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[٢].

ويقول تعالى "أَنِ اقذِفيهِ فِي التّابوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَيني"[٣].

فقد ذكر الله تعالى في القصص أن" ألقيه في اليم "وفي سورة طه "اقذفيه في اليم".

القذف هو الرمي والإلقاء يقول ابن منظور القذف: الرمي بقوة"[٤] أما الإلقاء فيُقال ألقى الشيء أيّ طرحه[٥].

فلماذا ذُكر القذف في سورة طه والإلقاء في سورة القصص؟ في سورة طه لم يذكر الله تعالى خوف وفزع أم موسى عليه ،وطمأنة الله لها لأن الآيات جاءت من باب الإشارة إلى المن الإلهي على موسى – عليه السلام– في أثناء مخاطبة الله سبحانه له فجاء لفظ القذف ملازماً للتابوت "أن اقذفيه في التابوت" "فاقذفيه في اليم" فالقذف كان ملازماً للترتيب إذ بدأ بقذف سيدنا موسى في التابوت ثم قذف التابوت في البحر إذن سيدنا موسى محمي في التابوت فقال تعالى "اقذفيه في

---

(١) القصص القرآني، فضل حسن عباس، صفحة ٤٨٧–٤٨٨.
(٢) القصص: ٧.
(٣) طه: ٣٩.
(٤) لسان العرب، المجلد الثاني عشر، مادة قذف، صفحة ٤٨.
(٥) نفسه، المجلد الثالث عشر، مادة لقا، صفحة ٢٢٦.

اليم" أيّ لازم ذكر القذف للتابوت وقد جاءت [أن] في قوله تعالى (أن اقذفيه) لتفسر ما كان مبهماً في قوله تعالى "إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى" فقد فسرت ما هو الإيحاء المطلوب من أم موسى.

أما في سورة القصص فقد جاء الإلقاء ملائماً للسياق إذ يقول تعالى "وأوحينا إلى موسى أن أرضعيه" فالإرضاع بحد ذاته يستدعي القرب بين الأم وطفلها لذلك لائم الإلقاء هذا الموقف لأن حدته في النفس أخف من القذف وأكثر ما يقرب الأم من طفلها ويشعرها بالحنان الرضاعة فكيف لهذه الأم أن ترضع طفلها ثم تلقيه فيطمئنها عز وجل مخبراً إياها بعدم الخوف والحزن لأنه تعالى رادّهُ إليها، فطمأنتها بعدم الخوف والحزن وبإرجاع طفلها لها يستدعي الهدوء في الإلقاء ولكن كيف لهذه الأم أن تهدأ وقد ألقت بطفلها في اليم "وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين"

وقد جاء ذكر الفؤاد سابقاً على ذكر القلب فلماذا قال تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ولم يقل قلبها؟

الفؤاد: "غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه"(١) لذلك قال تعالى "وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً" أي إن الغشاء وما في داخله أي ما في داخل هذا الغشاء وهو القلب الذي هو أساس الفكر والعاطفة أصبح فارغاً ولكن حكمة الله تدخلت بأن ثبت قلبها وهدأ فكرها وعاطفتها بطمأنتها بعودة سيدنا موسى إلى أحضانها. هذا التفسير في ضوء الشروحات التي وردت في كتب التفسير السابقة،أما في العلم الحديث فقد أثبت أن الفؤاد غير القلب ، وإن مراجعة آيات القرآن الكريم في (الفؤاد والقلب) تثبت ذلك . ولعل (الفؤاد) غدة أو عضو في جسد الإنسان ، هو المسؤول عن اختزان المعلومات التي يأتي بها السمع والبصر ،لأن السمع والبصر هما أدتا العلم والمعرفة

---

(١) لسان العرب المجلد الحادي عشر، مادة فأء، صفحة ١١٧.

الأساسية لدى (الإنسان) والآيات الكريمة في القرآن كله تدل على ذلك، يقول الله عزوجل في سورة النحل:

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون "(١). ومثل هذا ورد في سورة الإسراء، والمؤمنون، والسجدة،وغيرها ؛لذلك يكون (الفؤاد) هو ذاكرة الجسم الإنساني إن جاز التعبير، و(القلب)هو قائد الإنسان بكل معارفه وعواطفه، فالفؤاد غير القلب بكل يقين، وهذا من إعجاز القرآن الكريم ،ومن دقائق بيانه.

وبتحريم المراضع عليه إذ يقول تعالى "وحرمنا عليه المراضع" فكانت النتيجة في سورة القصص "فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون"

وفي سورة طه قوله تعالى "فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن"

إذن موسى –عليه السلام– عاد إلى أحضان أمه، لكن لماذا ذكر الله تعالى قوله (فرددناه) في سورة القصص ،وفي سورة طه "فرجعناك" ؟الرجوع في اللغة هو العود إلى ما كان منه البدء"(٢) أما الرد فهو صرف الشيء بذاته أو بحالٍ من أحواله(٣).

وبالعودة إلى سياق سورة القصص نجد أنه خطاب من الله تعالى إلى غير رسوله ،وهو إكراه من كان عدواً له، فاختار الفعل رد وكأن آل فرعون أُكرهوا على رده، والسبب في ذلك عدم القدرة على إرضاعه فبعد أن يئست أم موسى من عودته جاء مَنٌّ الله عليه برده إلى حضنها كي تهدأ وتستقر.

---

(١) النحل: ٧٨

(٢) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، الطبعة الرابعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، صفحة ٣٤٦.

(٣) نفسه، صفحة ٣٥٢.

أما في سورة طه فالخطاب كان من الله تعالى لسيدنا موسى مباشرةً فكان لفظ الإرجاع أخف وأرق مع التذكير بالمنن والنعم التي كرّمه الله تعالى بها.

نخلص إلى أن سورة القصص كان في داخلها تفصيل وبيان وإعداد للخطة في هدوء وتمهل في الأحداق أما في سورة طه كان الإجمال وتنفيذ الأوامر فيها سريعاً بسرعة قذفه التابوت فيتبعه قذف في اليم فيتبعه إلقاء اليم له بالساحل فأمر لفرعون يأخذه ليكون عدواً له.

وتبقى في هذا الجزء من قصة سيدنا موسى-عليه السلام- في هذه المرحلة من طفولته التي بينتها سورة القصص في الآيات الأولى منها ، عدة أسئلة تنبئ عن شواهد الإعجاز القرآني ، قد لايتسع لها هذا البحث في هذه الدراسة ، ولكن لابأس من الإشارة لها من قبيل التذكير ، وإثارة التفكير، غلى أن يسمح الوقت بالإجابة عنها .

-قال تعالى :" **وقالت إمرأة فرعون قرة عين لي ولك**" فلماذا تقدم قولها (لي) عن (لك) ، ترى ماذا يكون الأمر لو قالت (قرة عين لك ولي)؟

-قوله تعالى:"**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً**" ما معنى هذه العبارة في التحليل العلمي الحديث لعلوم النفس؟

-قوله تعالى " **وهم لايشعرون**" ما معنى هذا الجزء من الآية التاسعة من سورة القصص ، وما ارتباطه بسياق القصة ؟

-ثم انظر إلى الإعجاز المذهل ، والإيجاز المعجز في قوله تعالى "وقالت لأخته قصيه ..."

ثم انظرإلى ارتباط الآية الثالثة عشر بالآية السابعة ففي الآية السابعة أمران ، وبشارتان وفي الآية الثالثة عشر تفسير لهذه الأمور ، وغير ذلك كثير.

ب- قصة موسى في أهل مدين:

وردت هذه القصة مرة واحدة في سورة القصص وذلك في قوله تعالى:

"وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَـذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ* فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ* وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ* وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ "(١)

من خلال ذكرنا لهذا المشهد نجد أن الخوف في مرحلة طفولة موسى كان ملازماً لأمه وقد انتقل الخوف في هذا المشهد إلى سيدنا موسى بعد قتله للقبطيّ فقد كان حاله حال الإنسان المطارد الذي يخشى الوقوع في كل خطوة يخطوها وذلك في قوله تعالى: "فأصبح في المدينة خائفاً يترقب"

(١) القصص: ١٥-٢٨.

وقوله: فخرج منها خائفاً يترقب" فالخوف هو الحالة المسيطرة على سيدنا موسى في المدينة وعند خروجه منها حتى ملاقاته للفتاة وقصة لحكايته على والدها وكان هذا الوالد قد استشعر الخوف في عيني سيدنا موسى- عليه السلام- فقال له "لا تخف" فالخوف تملك سيدنا موسى لكن كيف لموسى ألاّ يخاف وقد تربى في بلاد فرعون وقد عُرِف عن فرعون مدى قوته وتسلطه فمن أين جاء هذا الخوف لسيدنا موسى.

فإذا ما عدنا إلى المشهد الأول نجد أن خوف أم موسى على موسى من قتل فرعون له ومن إلقائها له في اليم كان مسيطراً عليها فكأن هذا الهرمون اختلط في حليب أمه ووصل إليه ومن هنا تكشف من أين زرع الخوف في سيدنا موسى عليه السلام، وأثناء وجود موسى في أهل مدين لاحظ وجود امرأتين في مكان مزدحم فسألهما موسى ما خطبكما وعلم منهما أن أباهما شيخٌ كبير وأنهما قد خرجتا من أجل السقيا فقدم لهما سيدنا موسى المساعدة لتبدأ قصة زواج سيدنا موسى فقد جاءت له إحدى هاتين الفتاتين على استحياء "**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**" وطلبت من سيدنا موسى المجيء لأن والدها يريد أن يجزيه على فعله معهما وكان هذا الجزاء بأن سيدنا شعيب يريد تزويج إحدى هاتين الفتاتين لسيدنا موسى" فلنتأمل في قوله تعالى:

"**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**"

"**قالت إحداهما يا أبت استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين**"

"**قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين**"

فهل إحداهما هي نفس الفتاة التي جاءت والتي قالت والتي تزوجها سيدنا موسى؟

"قال فأيها تريد أن تنكحني؟ قال التي دعتك قال: ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها فقال: هي عندك كذلك فزوّجه"(١).

هذا النص من تفسير الطبري ، مثال واضح على بعض قضايا التفسير التي يجب أن نعيد النظر فيها ، ذلك أننا لا نقول إنها خطأ ، ولا إنها صواب، ولكننا نقول إنها لا توافق هذا العصر الذي اتسعت فيه مناهج التفسير، وتعددت أدوات المعرفة ، وتنوعت وسائل النظر،وأدوات البحث.

إن هذه الآية تشير إلى دلالة (إحداهما) في الآيات الكريمة .ولكن الناظر في سياق اللغة التي تحدثت عن هذه المعاني يجد أن القانون اللغوي يحدد بيقين من هي (إحداهما) ذلك أن اللغة العربية تقول عند اجتماع اثنتين أن الأولى هي (إحداهما) وأن الثانية هي (الأخرى). كأن تقول في الحياة العامة ، جاءتني طالبتان ، قالت احداهما كذا وكذا ، وقالت الأخرى مثل ذلك .

وفي سورة البقرة يقول الله عزوجل "فإن لم يكونا رجلين فرجل وإمرأتان ممن ترجون من الشهداء أن تضل إحاهما فتذكر إحداهما الأخرى"(٢).فإحداهما الأولى في هذه الآية هي هي احداهما الثانية لأنهما واحدة ، والأخرى هي ثانيتهما ، وتقدير الآية هو إن لم تجدوا رجلين فاستشهدوا امرأتين ، فإن ضلت احداهما ، فتذكر (إحداهما) هذه التي ضلت الأخرى التي معها . هكذا بمنتهى الوضوح. وفي سورة القصص جاءته إحداهما تمشي على استحياء ، ثم بعد أن جاء موسى وقص على أبيها القصص ، وبشره بالنجاة ، قالت احداهما وهي هي يا أبت استأجره فقال له الشيخ : إني أريد أن أنكحك (احدى) ابنتي هاتين وهي هي نفسها . ولو أراد الشيخ الأخرى أو أراد الله عزوجل الأخرى لقال قالت الأخرى ياأبت استأجره . وهذ مثال على فهم السياق في ضوء أحكام اللغة المعروفة.وبالعودة إلى الآيات الكريمة وسياقها نجد أن المجيء كان بتكليف من الوالد وكان مشيتها فيها حياء لا فيها تبذّل ولا تبرج ،لا فيها إغواء وإنما مشية الحياء. ووجهت الدعوة إلى

---

(١) تفسير الطبري، الجزء العشرون، صفحة ٧٩.

(٢) البقرة :٢٨٢

موسى عليه السلام في أقصر لفظٍ وأوضحه وفي هذا "تأدب في العبارة ،لم تطلبه طلباً مطلقاً بل طلبته منه ذلك بتأدب واستحياء وهو ما يجعل واجب الآباء والمربين مهماً ومؤثراً في تربية خلق الحياء الذي يحفظ الإنسان من الوقوع في الآثام، فلما جاءه موسى وقص عليه القصص طمأنه شعيب ؛لأن الإنسان في مثل هذا الظرف يحتاج إلى من يطمئن قلبه ويخفف همه (وقالت إحداهما يا أبت استأجرت) يتبدى لنا صوت الأنوثة المستقيمة السليمة "فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤونة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل أمين على المال، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ولا تخشى سوء الظن والتهمة فهي بريئة النفس نظيفة الحس ومن ثم لا تخشى شيئاً... تريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت، امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى"(١).

"إن خير من استأجرت القوي الأمين" أيّ إنه حقيق بالاستئجار والمبالغة فيه جعل (خير) اسماً وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه امرؤ مجرب معروف(٢).

"قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين" فهو يعرض "نكاحاً لا يخجل منه يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يُخجل ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد والإيماء من بعيد... ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– بل كانت النساء تعرض نفسها على النبي أو من يرغب في تزويجهن منهم(٣).

---

(١) انظر في ظلال القرآن، المجلد الخامس، صفحة ٢٦٨٧.

(٢) أنوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ–١٩٩٨ ، الجزء الرابع، صفحة ١٧٥.

(٣) في ظلال القرآن، المجلد الخامس، صفحة ٢٦٨٨.

فالتي تزوجها موسى هي التي طلبت منه المجيء إلى والدها والتي طلبت من والدها استئجارها قيل كانت الصغرى وقيل الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها موسى"(١).

وهذا لا يقودنا إلى القول أو التفكير بأن هناك علاقة حب أو أشبه بعلاقة حب حدثت بين موسى وابنة الرجل الذي استضافه ولكن ما حدث أن آنست منه هذه الفتاة عفافاً ورجولة وأمانة فأخبرت والدها بهذا فطلب إليه أن يعمل عنده ويزوجه من ابنته وفيه مصلحة للاثنين وتوفيقاً لهما.

ج- عودة موسى إلى مصر مع أهله والبدء بالتكليف بالنبوة.

أما عن هذه المرحلة فقد تكرر ذكرها مفصلاً في ثلاثة مواضع وهي:

سورة طه والقصص والنمل

يقول تعالى في سورة طه: "**وَهَل أَتاكَ حَديثُ موسى * إذ رَأى نارًا فَقالَ لِأَهلِهِ امكُثوا إِنّي آنَستُ نارًا لَعَلّي آتيكُم مِنها بِقَبَسٍ أَو أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى * فَلَمّا أَتاها نودِيَ يا موسى * إِنّي أَنا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اختَرتُكَ فَاستَمِع لِما يوحى * إِنَّني أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعبُدني وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكري * إِنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخفيها لِتُجزى كُلُّ نَفسٍ بِما تَسعى* فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنها مَن لا يُؤمِنُ بِها وَاتَّبَعَ هَواهُ فَتَردى *وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى *قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى *قالَ أَلقِها يا موسى *فَأَلقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسعى *قالَ خُذها وَلا تَخَف سَنُعيدُها سيرَتَهَا الأولى *وَاضمُم يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخرُج بَيضاءَ مِن غَيرِ سوءٍ آيَةً أُخرى*لِنُرِيَكَ مِن آياتِنَا الكُبرَى *اذهَب إِلى فِرعَونَ إِنَّهُ طَغى *قالَ رَبِّ اشرَح لي صَدري *وَيَسِّر لي أَمري *وَاحلُل عُقدَةً مِن لِساني*يَفقَهوا قَولي*وَاجعَل لي وَزيرًا مِن أَهلي *هارونَ أَخِي *اشدُد بِهِ أَزري *وَأَشرِكهُ في أَمري *كَي نُسَبِّحَكَ كَثيرًا *وَنَذكُرَكَ كَثيرًا *إِنَّكَ كُنتَ بِنا بَصيرًا *قالَ قَد أوتيتَ سُؤلَكَ يا موسى**"(٢).

---

(١)تفسير البيضاوي، الجزء الرابع، صفحة ١٧٥.

(٢) طه ٩-٣٦.

أما في سورة القصص فيقول تعالى "فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ *فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ *اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ *قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ *وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ *قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ"(١).

أما في النمل فيقول تعالى: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ *فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(٢)"

من خلال تأملنا في هذه القصة في سور القرآن الثلاث نجد اختلافات في التراكيب على النحو الآتي:

طه	امكثوا	لعلـــــي ءاتيكم	بقبس	فلما آتاها	فألقاها فإذا هي حية تسعى	أضمم يدك	اذهب إلى فرعون إنه طغى
القصص	امكثوا	لعلـــــي ءاتيكم	بقبس	فلما آتاها	وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان	اسلك يدك	إلـــى فرعـــون وملإيه

(١) القصص: ٢٩-٣٥.

(٢) النمل: ٧-١٤.

النمل	لم يرد هنا في سورة النمل	سآتيكم	بخبر	فلما جاءها	وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان	وأدخل يدك	إلى فرعون وقومه

١- قوله تعالى (امكثوا) في سورتي طه والقصص دون سورة النمل قد يكون مما فهمه أهل موسى منه فقد يكون بإشارة من سيدنا موسى عليه السلام أو قد يكون أمرهم بلغتهم التي لم يحكها القرآن فيكون قد بين معنى "نطقه أو مراده وبما قد فهم عنه أهله الأمر ومرة اكتفى بما بعد هذا الأمر اقتصاراً على ما يحصل به المقصود فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك"[١] وذكر (امكثوا) هي مناسبة المقام التفصيلي الواردة في سورة طه والقصص دون النمل المبنية على الإبحار[٢].

٢- قوله تعالى في سورتي طه والقصص (لعلي ءاتيكم) وفي سورة النمل (سآتيكم).

لعل حرف يفيد معنى الترجي، أما السين فهو حرف يحصل في داخله معنى الاستقبال والتوكيد فماذا قال موسى لأهله هل قال لهم وهو يأمل بهذا أما أنه قطع في الأمر وأنه سيأتي لهم بالنار إذا قسنا هذا على واقعنا فنحن نستخدم القطع والترجي معاً نقول سأزورك اليوم لعلي أستطيع فتؤكد ثم تترجى حصول هذا الأمر لكن لماذا جاء التأكيد في قصة سيدنا موسى في سورة وجاء الترجي في سورة أخرى بالعودة إلى مقام سورة القصص نجد أنها مبنية على الخوف من قبل ولادة سيدنا موسى عليه السلام أما المقام في سورة النمل فهو "مقام تكريم لسيدنا موسى"[٣]. أيّ إن المقام مبني على القطع والقوة والتمكين من قبل الله تعالى فقد جاء قوله تعالى سآتيكم ملائماً للمقام.

---

(١) ملاك التأويل، السفر الثاني، صفحة ٦٧٢.

(٢) انظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، صفحة ٨٧.

(٣) نفسه، صفحة ٨٦.

يقول الدكتور فاضل السامرائي "إن كل تعبير مناسب لجو السورة الذي وردت فيه القصة ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل، فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً" وهو ترجّ وقال "وعسى أن يهدين سواء السبيل" وهو ترجّ أيضاً وقال "لعلي آتيكم منها بخبر" وقال "لعلكم تصطلون" وقال "لعلي أطّلع إلى إله موسى" وقال "لعلهم يتذكرون" ثلاث مرات في الآيات ٤٣، ٤٦، ٥١، وقال "فعسى أن يكون من المفلحين" وقال "ولعلكم تشكرون" وهذا كله ترجّ وذلك في عشرة مواطن، في حين لم يرد الترجي في سورة النمل إلا في موطنين وهما قوله "لعلكم تصطلون" وقوله "لعلكم ترحمون"[١].

يقول الزمخشري "فإن قلت سآتيكم منها بخبر، ولعلي آتيكم منها بخبر: كالمتدافعين: لأن أحدهما ترجّ والآخر تيقن"[٢].

نخلص إلى أن ما ورد في سورتي القصص وطه من قول سيدنا موسى لأهله (لعلي ءاتيكم)ن ناتج عن عدم تيقن موسى –عليه السلام من وجود ضالته أما عندما تيقن قال (سآتيكم)بالسين.

٣- قوله تعالى في سورة طه (بقبس)، وفي سورة القصص (جذوة من النار)، وفي سورة النمل (شعاب قبس).

القبس: المتناول من الشعلة أو شعلة من النار تؤخذ من معظمها[٣] والشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة[٤]، والجذوة الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب[٥].

---

(١) لمسات بيانية في نصوص التنزيل،فاضل السامرائي، صفحة ٨٨.

(٢) تفسير الزمخشري، الجزء الثالث، صفحة ٢٦٤.

(٣) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن، صفحة ٧٠١.

(٤) نفسه، صفحة ٤٨٤.

(٥) نفسه، صفحة ١٧٨.

والجذوة قد تكون قبساً وغير قبس ولا شك أن زيادة الشهاب على القبس أنفع من الجذوة لما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان، والشهاب يدفئ أكثر من الجذوة لما فيه من اللهب الساطع كما أنه ينفع في الاستنارة أيضاً"(١).

ويمكن أن نحمل هذا التنوع في استعمال المفردات في التراكيب الثلاثة على محمل الاتساع في التعبير على اعتبار أن القصة محكية على معناها ذلك "أن الله سبحانه خاطب موسى عليه السلام بلسان قومه ولم يخبر أنه خوطب باللغة العربية بألفاظ إذ عدل عنها إلى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافاً في القرآن قادحاً فيه ؛ فالوارد في القرآن إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى عليه السلام وخاطب به قومه، فأخبر سبحانه في بعض السرد ببعض ما جرى وفي الأخرى بأكثر مما أخبر به التي قبلها، وليس يدفع بعضه بعضاً"(٢).

ويقول الدكتور عبدالكريم الخطيب "إن هذه الانفعالات النفسية يمكن أن تكون خرجت من همس الخاطر وتسربت إلى الخارج تحت ضغط الانفعال النفسي فكانت ألفاظاً مسموعة من موسى عليه السلام أسمعها أهله ليكونوا على بينة مما وراء هذا الوجه الذي يتجه إليه"(٣).

٤- قوله تعالى في سورتي طه والقصص "فلما آتاها" وقوله في النمل (فلما جاءها) يقول الراغب الأصفهاني مفرقاً بين الإتيان والمجيء: الإتيان مجيء بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتي وتساوى"(٤) وقال المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم لأن الإتيان مجيء بسهولة"(٥).

---

(١) انظر لمسات بيانية من نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، ٩٠.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الثاني، صفحة ٨٩٠-٨٩١.

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مع دراسة تطبيقية لقصة آدم ويوسف، عبدالكريم الخطيب، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥، صفحة ٦٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، صفحة ٧.

(٥) نفسه، صفحة ١٤٦.

فالإتيان فيه سهولة ويسر بعكس المجيء الذي فيه مشقة وصعوبة وقد جاءت هذه الألفاظ ملائمة لكل سياق وردت فيه. ففي سورة النمل قطع سيدنا موسى على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في سورة القصص لذلك جاء المجيء ملائماً لسياق سورة النمل لأنه أكد لهم أن سيأتي لهم بالنار ولو بلغ مشقة وصعوبة في هذا الأمر. وجاء الإتيان ملائم لسياق الترجي الذي ورد في سورة طه والقصص.

٥- في سورة طه جاء وصف العصا مقترناً بالحية أما في سورتي النمل والقصص فقد جاء الوصف مقترناً بالجان.

جاء لفظ العصا في سورة طه ملائماً للآيات التي قبلها "**وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى * قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى**"(١).

فهذه الآيات أشارت إلى وجود العصا في يد سيدنا موسى والعصا جماد لا يتحرك إلا بحركة الشخص لها، وهذه العصا تحولت إلى حية تسعى وتتحرك بذاتها فاختار لفظ الحية المفيد بالسعي ليدل على أن أصل الحركة لهذه الحية أنها بدأت بالسعي المقابل لحركة هذه الكائنات "فوقعت المعجزة الخارقة التي تقع في كل لحظة ولكن الناس لا ينتبهون إليها ،وقعت معجزة الحياة فإذا العصا حية تسعى. وكم من ملايين الذرات الميتة أو الجامدة كالعصا تتحول في كل لحظة إلى خلية حية ولكنها لا تبهر الإنسان كما يبهره أن تتحول عصا موسى حية تسعى ذلك أن الإنسان أسير حواسه وأسير تجاربه فلا يبعد كثيراً في تصوراته عما تدركه حواسه وانقلاب العصا حية تسعى ظاهرة حسية تصدم حسه فينبه لها بشدة... واكتفى بالإشارة الخفيفة إلى ما نال موسى عليه

---

(١) طه: ١٧-١٨.

السلام من خوف ذلك أن ظل هذه السورة ظل أمن وطمأنينة فلا يشوب الحركة الفزع والجري والتولي بعيد[١].

أما التعبير بالجان في سورتي النمل والقصص فقد جاء ملائماً للاهتزاز ومناسباً لتولي موسى وفزعه وخوفه لأن مجرد مشي الحية ببطءٍ يدل على أصل حركتها قد لا يخيف وقد علمنا عن سيدنا موسى باحترافه للرعي وبالتالي فهو على علم بهذه الحيات وطبيعتها ،إلا أن الطبيعة اختلفت في سورتي القصص والنمل فقد تحولت من البطء إلى الاهتزاز وهذا أمرٌ يقذف الخوف في النفس ويملأ القلب هلعاً حيث إنّ سرعتها غير طبيعية.

يضاف إلى هذا الأمر وصف هذه الحية بالثعبان كما ورد في سورة الشعراء "**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**"[٢] والأعراف "**فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ**"[٣].

فبذلك وصفت عصا موسى بثلاثة أوصاف وهي الحية والثعبان والجان فكيف لنا أن نوفق بين هذه الأوصاف والحية هي اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير من الحيات[٤] أما الثعبان فهو الحية الضخم الطويل[٥] والجان هو الدقيق الخفيف من الحيات[٦] إذن نحن أمام حية يقع وصفها على الذكر والأنثى والصغير والكبير ثم الدقيق من الحيات ثم الضخم من الحيات **ليأتي السياق ويكون هو فيصل هذه المسألة** ذلك أن الموقف الذي ورد فيه؛ فذكر الحية والجان في سياق الحديث عن مخاطبة الله تعالى لسيدنا موسى ،أما ذكر الثعبانَ فَذُكِرَ عند مواجهة سيدنا موسى لفرعون وملئه، والمواقف متباينة ذلك أنه عز وجل قلب العصا بدايةً إلى حية صغيرة سريعة

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد الرابع، صفحة ٢٣٣٢.

(٢) الشعراء: ٣٢.

(٣) الأعراف: ١٠٧.

(٤) لسان العرب، مادة حيا، المجلد الثالث، صفحة ٢٩٧.

(٥) نفسه، مادة ثعب، صفحة ١٨.

(٦) نفسه، مادة جنن، صفحة ٢٢٠.

الحركة لأنها كانت المرة الأولى التي تتحول فيها العصا أمام سيدنا موسى فكان ملائماً أن تكون صغيرة مع الوضع النفسي المضطرب لسيدنا موسى، وبالرغم من ذلك فقد خاف سيدنا موسى فناداه ربه أن (لا تخف) وهدأ من روعه. وكانت هذه التهدئة لسيدنا موسى من جانبين :الأول خوفه وهو بين يدي الله من قتله القبطيّ فطمأنه الله بأنه يقبل التوبة ويغفر الزلة ، والآخر من هول ما رأى في أمر انقلاب العصا، ولكنه عندما ذهب إلى فرعون وقومه قلبت العصا إلى ثعبان لأن سيدنا موسى علم بأمر انقلابها ثم إن الموقف موقف تحدٍ في إثبات الألوهية لله والنبوة لسيدنا موسى وتحقق ذلك بقلبها إلى ثعبان كبير أذهل الحضور وجعل السحرة يخرون سجداً فجاءت هذه الحية متمثلة الثعبان في شكلها وبسرعة الجان في حركتها.ومهما يكن من أمر ، فإن ورود القصة نفسها في عدة سور واختلاف التراكيب، يدل على أن القرآن الكريم نص واحد متكامل، وأن دلالته ومعانيه تكتمل في سياق سوره وآياته وفق الحوادث التي ترد فيها .

٧- (واضمم يدك) في سورة طه، (أسلك يدك) في سورة القصص (وادخل يدك) في سورة النمل.

ورد لفظ الضم في سورة طه والضّمُ هو ضمك الشيء إلى الشيء وقيل قبض الشيء إلى الشيء وضمه إليه يضمه ضماً.

فأين نحن من حاجة سيدنا موسى للضمّ وهو الخائف المترقب؟ لقد جاء هذا اللفظ ملائماً لخوف سيدنا موسى ذلك أن الإنسان أحوج إلى الضم عندما يكون خائفاً مترقباً.

أيّ ضُمَّ يدك إلى جنبك تحت العضد ،يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر، استعارة من جناحي الطائر سُمِيّا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران"[١].

(١) تفسير البيضاوي، الجزء الرابع، صفحة ٢٦.

أما في سورة القصص فقد جاء الفعل (اسلك) الذي يُستعمل كثيراً في سلوك السبل وقد ورد في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقصّ أثره وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر وهذا ما لم يذكره في سورة النمل بل طوى كل ذكر للسلوك والسير في القصة.

وقد جاء لفظ (وادخل يدك) في سورة النمل ملائماً، ذلك أن الفعل دخل ومشتقاته تكرر خمس مرات في النمل[١] في حين لم يرد هذا الفعل ومشتقاته في سورة القصص فناسب ذكره في النمل دو القصص وناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف وأن يوضع الإدخال في مقام الأمن والثقة[٢].

يقول فضل عباس "ومعنى واضمم إليك جناحك" وقوله "اسلك يدك في جيبك" على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب"[٣].

٨- ورد في سورة طه (اذهب إلى فرعون إنه طغى) وفي سورة القصص (إلى فرعون وملئه) وفي سورة النمل (إلى فرعون وقومه) نجد أن دائرة التبليغ من خلال الآيات المبتعثة من سيدنا موسى بدأت من فرعون بحد ذاته ثم فرعون وملئه ثم فرعون وقومه.

---

(١) الآيات ١٢، ١٨، ١٩، ٣٤، ٤٤.

(٢) انظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل، صفحة ١٠٣-١٠٤ بتصرف.

(٣) قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، صفحة ٥٠٧.

أكرم الله سيدنا موسى في سورة النمل في تسع آيات ليذهب بها إلى فرعون يقول القرطبي "ولم يعد هنا بقية الآيات التسع التي كشف عنها في سورة الأعراف وهي سنون نقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، لأن التركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها وعلى وضوحها وجهود القوم لها"(١).

فالمقام مقام ثقة وقوة فجاءت المهمة واسعة على سيدنا موسى في التبليغ وجاءت كلمة الآيات في سورة النمل مناسبةً لما تردد ذكر للآيات والآية في السورة فقد تردد ذكرهما فيها عشر مرات"(٢).

أما في سورة النمل فقد ورد قوله تعالى:

(فذانك برهانان) ذكر الله (برهانان)لأن المقام في سورة القصص مقام خوف ،يقول تعالى "**واضمم إليك جناحك من الرهب**" أيّ الخوف الذي ضيق الله عز وجل المهمة فيه على سيدنا موسى وقلل من ذكر الآيات مكتفياً بها لتكون "الرسالة إلى فرعون وملئه وإذن فهو الوعد الذي تلقته أم موسى وهو طفل رضيع "**إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**" الوعد اليقين الذي انقضت عليه السنون وعد الله لا يخلف الله وعده وهو أصدق القائلين"(٣).

أما في سورة طه فقد جاء الإذن من رب العالمين بذهاب موسى إلى فرعون "ملك مصر التي خرج منها فاراً وهارباً ، فدعا فرعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأمره أن يحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى وهذا من باب المن على سيدنا موسى من قبل الله عز وجل(٤).

---

(١) في ظلال القرآن، المجلد الخامس، صفحة ٢٦٣٠.
(٢) لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، صفحة ١٠٥.
(٣) في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ٢٦٩٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، صفحة ١٥٠.

وقيل في ذلك إنه عندما ذكر فرعون وحده فكأن قومه مذكورون معه لأنهم تبع له، وفي الثانية كأنه ذكر مع قومه لأنه منهم ومخاطب بمثل خطابهم فإذا اتقوا وآمنوا كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم وهو في هذه الحالة يعدّ كالتابع لهم أما الثالثة فبينت بذكرها لفرعون وملئه وما انطوت عليه الآيات السابقة من ذكر بعض والاكتفاء عن بعض[١].

وعليه فقد جاءت قصة سيدنا موسى بصيغ، وتعابير وأساليب مختلفة في السور التي وردت فيها، ففي موضع جاءت القصة بإيجاز والآخر بإطناب وفي آخر بأسلوب لين وبأسلوب فيه شدة وقد كان للسياق الدور الأكبر في تحليل الآيات واختلاف صيغها وكشف الأسباب التي دعت إلى ذلك وهذا الاختلاف ما هو إلا نوعٌ من التفنن في طبيعة النظم القرآني وفي كيفية إعادة القصة الواحدة في أكثر من موضع وفي حكم متعددة ومتنوعة وفقاً لما يقضيه السياق والمقام الذي وردت فيه هذه القصة.

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الثاني، صفحة ٨٩٥-٨٩٦.

المبحث الثاني: مسائل إعرابية في القرآن وأثرها في التفسير

لا يخفى على أحدٍ ما للغة العربية من أهميةٍ عظمى في كونها لغة القرآن الكريم ، والسنة النبوية اللذين هما عماد الدين وقوامه، وقد جاءت هذه اللغة متصفةٌ بسمات كثيرة منها ظاهرة الإعراب التي انفردت اللغة العربية بداومها فيها وفي هذا يقول بروكلمان: "وقد ظل إعراب الاسم الموروث من قديم الزمان في اللغة البابلية القديمة كاملاً، غير أنه ضاع بالتدريج شيئاً فشيئاً في وقت مبكر، كما حدث ذلك في كل اللغات السامية الجديدة أم اللغة العربية – بحكم انعزالها عن الجزيرة العربية فظلت تحافظ على صيغتها القديمة وظواهرها اللغوية بما في ذلك الحركات الإعرابية"(١) وقد أولى العرب الأوائل أهميةً بالغةً في لغتهم وظواهرها بما فيها الإعراب، ذلك أنه من أهم الوسائل التي تعين على فهم النصوص ولا سيما النصوص الشرعية ليصبح الإعراب واجباً لزم الفرد، لأن هذا الفرد مأمور بفهم كلام الله وتدبره وإمعان النظر فيه فهذا واجبٌ على من "عرف انه مخاطبٌ بالتنزيل مأمورٌ بفهم كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم– غير معذور بالجهل بمعناهما، غير مسامح في ترك مقتضاهما، أن يتقدم فيتعلم اللسان الذي أنزل به القرآن حتى يفهم كتاب الله وحديث رسول الله إذ لا سبيل إلى فهمها دون معرفة الإعراب وتمييز الخطأ من الصواب، لأن الإعراب إنما وضع لبيان المعاني... ولو ذهب الإعراب لاختلطت المعاني، ولم يتميز بعضها من بعض وتعذر على المخاطب فهم ما أريد منه فوجب لذلك تعليم هذا العلم، إذ هو أوكد أسباب الفهم، فإنه علم السلف الذين استنبطوا به الأحكام وعرفوا به الحلال والحرام"(٢).

لذلك كان تعلم الضبط الإعرابي وقواعد النحو أمراً ضرورياً لفهم القرآن والإعانة في تفسيره وتوضيح آياته ، فالفائدة منه "الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدل ولا مغير،

---

(١) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م، صفحة ١٧.

(٢) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب، أبو بكر محمد بن عبدالملك النحوي ابن السراج السنتريني، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحموز، الطبعة الأولى، دار عمار، الأردن، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م، ص٢١-٢.

وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي – صلى الله عليه وسلم– وإقامة معانيها على الحقيقة لأن معانيها لا تُفْهَم على صحة إلا بتوفيها حقوقها من الإعراب"(١).

وعليه فالإعراب ذو شأن عظيم في اللغة العربية فهو تطبيقٌ لقواعد اللغة وهو وسيلة قديمة لدى علماء العربية لإبراز مواقع الكلم اعتماداً على القواعد التي بنيت عليها وفي هذا يقول الزجاجي "إن الأسماء لما كانت تعتورُها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا ضربَ زيدٌ عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به وقالوا ضُرب زيدٌ فدلوا بتغيير أو الفعل ورفع زيد على أن الفعل لم يسم فاعله وأن المفعول قد ناب منابه وقالوا هذا غلام زيدٍ يخفض زيد على إضافة الغُلام إليه وكذلك في سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها... وتكون الحركات دالة على المعاني"(٢).

فالإعراب ما هو إلا وسيلة في الإيضاح والبيان لذلك قالوا في تعريفه لغةً الإعراب الذي هو النحو، إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ. أعرِبَ كلامه إذا لم يلحن في الإعراب(٣).

وقال الأزهري الإعراب والتعريب معناها واحد وهو الإبانة يُقال: أعرب عنه لسانه وعرَّب أيّ أبان وأفصح ويقال أعرب عما في ضميرك أيّ أَبِنْ ومن هذا يقال للرجل إذا أفصحَ في الكلام: قد أَعْرِبْ(١).

---

(١) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، مكتبة العروبة، صفحة ٩٥، وانظر الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي، جميل علوش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، صفحة ٤٧ وما بعدها.
(٢) الإيضاح في علل النحو، صفحة ٦٩-٧٠.
(٣) لسان العرب، المجلد التاسع، مادة عرب.

أما اصطلاحاً:

وضعَ النحاة للإعراب معاني عديدة نذكر منها ما ورد عن الشيخ الغلاييني إذ يقول: "أَثَرُ يُحدِثه العامل في آخر الكلمة فيكون آخرها مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً حسب ما يقتضيه ذلك العامل"(٢).

وقيل الإعراب هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العامل... والإعراب وُضِع للدلالة على أحوال الذات، كما أن الكلمة وضعت للدلالة على الذات، ولذلك لا تختلف الكلمة لأن مدلولها لا يختلف، ويختلف الإعراب لأن مدلوله يختلف"(٣).

فالإعراب هو تلك العلامة التي تعتري الحرف الأخير من الكلمة تبعاً للعامل الذي أحدث هذه الحالة الإعرابية من رفع أو نصب أو جرٍ أو جزم مما يؤدي إلى تشكيل حالة إعرابية تقع في آخر الكلمة(٤).

وله صلة قوية جداً بكثير من العلوم فبعضها يراد فيها بيان الأحكام الفرعية والعلمية والعقدية كالعلوم الشرعية – تفسيراً وحديثاً وفقهاً؛ لأن الإعراب عنصر أساسي في فهم تلك الأحكام، وبعضها يراد به فيها الوصول إلى توجيه القراءات القرآنية وضبط الوقف والابتداء في الآيات

---

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور بن أحمد الأزهري، تحقيق رياض زكي قاسم، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، صفحة ٢٣٧٩ مادة عَرَب.

(٢) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، الطبعة الثامنة والعشرون، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، صفحة ١٨.

(٣) الإرشاد إلى علم الإعراب، محمد بن أحمد بن عبداللطيف القرشي، الكبيشي (شمس الدين) تحقيق الدكتور يحيى مراد، حقوق الطبع محفوظة طبقاً لقوانين الملكية الفكرية، صفحة ١٦.

(٤) للمزيد انظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، فاضل صالح السامرائي، دار النذير، ١٣٨٩هـ–١٩٧٠م، صفحة ٦٤، وانظر نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، حسن خميس الملاح، الطبعة الأولى، دار الشروق، ٢٠٠٠، صفحة ١٤٧.

بحسب ما يقتضيه المعنى؛ لأن للإعراب أثراً ملموساً في ذلك وبعضها يراد به الوصول إلى الجمال البلاغي، وصلة الإعراب بالجانب البلاغي في النص من أقوى الصلات وبعضها يراد به فيها الوقوف عند الدلالة النصية والأداء الصوتي للتعبير (١).

وما نبغيه في هذا المبحث إلقاء الضوء على بعض المسائل الإعرابية في آيات القرآن وأثرها في تفسيره ؛ذلك أن الإعراب وسيلة تُمكن المفسر من إيضاح المعنى، وقد ذكر الزركشي أن التفسير يقسم إلى:

١- ما تعرفه العرب في كلامها

٢- ما لا يعذر أحد بجهالته

٣- ما يعلمه العلماء خاصة

٤- مالا يعلمه إلا الله

ثم قال: فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب. فأماالإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر القارئ تعلمه ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم وليسلم القارئ من اللحن، وإذا لم يكن محيلاً المعنى وجب على القارئ تعلمه ليسلم من اللحن"(٢).

من خلال قول الزركشي ندرك مدى اتصال الإعراب بالتفسير، فالناظر في تعريف التفسير "البيان"(٣) يدرك مدى ارتباطهما أحدهمابالآخر فالمعنى اللغوي للتفسير لا يخرج عن دائرة المعنى

---

(١) الشبكة المعلوماتية، أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، الدكتور عبدالقادر بن عبدالرحمن السعدي، جامعة الشارقة، صفحة ١٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الجزء الثاني، صفحة ١٨١-١٨٢.

(٣) انظر لسان العرب، المجلد الحادي عشر، مادة فسر.

اللغوي للإعراب فكلاهما معنيٌ بالتوضيح والشرح والبيان وإزالة الأشكال عن المقصود من اللفظ، فلا مفرّ للمفسر من إتقان الإعراب حتى يستطيع أن يوضح معنى القراءات، ومعنى الآيات ويفسرها "فكما أن التفسير ضروري لفهم مراد الله تعالى في آياته ومن ثم فهم معانيه ومراميه فكذلك الإعراب؛ لأن هدفه الإفصاح عن المعنى فهو لا يقل ضرورة عن التفسير فالإعراب ليس علامات لفظية فحسب بل هو مناط إيضاح المعنى وإظهاره"(١) ودليلنا في هذا عن يحيى بن عتيق قال "قلت للحسن يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسب المنطق ويضم بها قراءته قال: حسَنٌ يا ابن أخي فتعلّمها، كان الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها"(٢).

وقد كان للنحاة دورٌ بارزٌ في خدمة كتاب الله ذلك أن التفاهم لتفسير القرآن كان التفاتاً طبيعياً بديهياً ؛لأن غايتهم الأولى من وضعهم للنحو هي خدمة كتاب الله وخدمة معانيه واستنباط الأحكام منها، فقد ثبت أن نحاتنا السابقين هم الذين أبلوا أحسن البلاء في توثيق نص القرآن بالاحتجاج للقراءات ،وبيان عللها ووجوهها، واختلاف قرائها، وأنهم هم الذين هيأوا لعلماء التفسير الوسيلة الفعالة لفهم معانيه والاجتهاد في أحكامه وتفصيل آدابه وكان ما قاموا به من أبحاث في كتبهم النحوية"، "وكتب معاني القرآن" "والاحتجاج" وما غاصوا فيه من تحليل لآياته، كان ذلك هو القبس الذي أضاء للعلماء الطريق في تفسير الكتاب العزيز ومكنهم من تفسيره العقلي إذ كان التقاء

(١) أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء، هديل محمد عطية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٠هـ-٢٠٠٩، صفحة ١٦.

(٢) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الجزء الثاني، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، صفحة ٢٦٠، باب في طلب العلم حديث رقم ١٦٩١.

*يعيا : يعجز عن فهم المراد منها.

التفسير اللغوي بالأثري هو السبب الأكبر في نشأة التفسير بالرأي وجرأة العلماء عليه وتوسعهم فيه وترسيخهم أصوله ومناهجه"(١).

ولا بد من الإشارة إلى أن الناظر في كتب إعراب القرآن ،وكتب التفسير يلحظ كثرة اختلاف النحويين في إعراب القرآن ،وتعدد المعاني الناتجة عن ذلك الاختلاف وقد أرجع الأستاذ عبدالخالق عضيمة الاختلاف الناجم عن الإعراب إلى سببين(٢):

الأول: أسلوب القرآن المعجز، بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بجميع مراميه وأهدافه فاحتمل كثيراً من المعاني والوجوه.

والآخر: إن النحويين لا يعرفون الحجر على الآراء، ولا تقديس آراء الغير فاحتفظوا لأنفسهم بحرية الرأي والتعبير.

وهذا يعني أن اختلاف النحويين في إعراب القرآن قد يؤدي إلى الاختلاف في فهم معناه واكتشافه ،وهذا يتطلب توفر قدرة لغوية لدى المفسر، لذلك وضع العلماء للشخص الذي يريد تفسير القرآن شروطاً لا بد من توافرها فيه ،وعلوماً ملماً بها تعينه على تفسير آيات كتاب الله ومن هذه العلوم علمُ الإعراب لأن تعدد الوجوه الإعرابية تبعاً لتعدد القراءات القرآنية يؤدي إلى تعدد الوجوه الدلالية مما ينتج عنه تعدد الوجوه في فهم الآية القرآنية الواحدة.

والقرآن الكريم وأسلوبه الذي انفرد به وإعجازه الذي تحدى به العرب كافةً يظهر جلياً في هذا النص الذي يعبر عن موقف العرب منه"فلما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقةً

---

(١) النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبدالله رفيده، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات المنشأة الشعبية، الجماهيرية الليبية، ١٩٨٠م، صفحة ٩-١٠.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبدالخالق عضيمة، الجزء الأول، دار الحديث، القاهرة، صفحة ١٣-١٤.

فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق ليس في ذلك إعنات ولا معاياه غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته، ما أذهلهم عن أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود حتى أحسوا بضعف الفطرة القوية ،وتخلّف الملكة المستحكمة(١).

فإعجاز القرآن الكريم يتمثل في تركيبه وأسلوبه وطريقته التي انفرد بها وقد عُني البلاغيون العرب بدراسة تركيب الجملة ،ووظيفتها الدلالية والبيانية، حيث نجد الإمام الجرجاني يشدد على اعتبار المعاني النحوية من دلائل الإعجاز، حيث أكد أن المعاني النحوية والفروق المعنوية بين التراكيب هو أسلوب النظم وأن فصاحة الكلام وبلاغته ترجع إلى خصائص التراكيب ،ووضع كل عنصر من عناصر الجملة في موضعها المناسب لمقتضى الحال. فيقول "فما ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه من معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها مَعدِنه ووقعاته وموضعه ومكانه وأنه لا مستنبطٌ لها سواها وأن لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ، وَمُسْلِمٌ لها إلى الخُدَع ، وإنه إن أبّى أن يكون فيها ، كان قد أبّى أن يكون القرآن مُعْجَزاً بنظمه ، ولزمه أن يثبت شيئاً آخر يكون معجزاً به ، وأن يلحق أصحاب "" الصُرفة"فيدفع الإعجاز من أصله ،وهذا تقرير لايدفعه معاند يَعّد للرجوع عن باطل اعتقده عجزاً والثبات عليه من بعد لزوم الحجة جلداً ، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعد عن الإنسانية ،ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق.(٢).

---

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م، صفحة ١٩٥.

(٢) دلائل الإعجاز، صفحة ٥٢٦.

وقد ذكر الجرجاني أمثلة على وجوه توخي معاني النحو منها(١):

قوله تعالى " **وَقالَتِ اليَهودُ عُزَيرٌ ابنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصارى المَسيحُ ابنُ اللَّهِ ذلِكَ قَولُهُم بِأَفواهِهِم يُضاهِئونَ قَولَ الَّذينَ كَفَروا مِن قَبلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنّى يُؤفَكونَ**"(٢).

يقول الجرجاني "ومن المشكل فيه قراءة من قرأ وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله بغير تنوين. وذلك أنهم قد حملوها على وجهين:

أحدهما: أن يكون القارئ له أراد التنوين ثم حذفه لالتقاء الساكنين ولم يحركه.

والوجه الثاني: أن يكون الابن صفة، ويكون التنوين قد سقط على حدّ سقوطه في قولنا "جاءني زيدُ بن عمرو" ويكون في الكلام محذوف، ثم اختلفوا في المحذوف فمنهم من جعله مبتدأ فقدر "وقالت اليهود هو عزيز بن الله" ومنهم من جعله خبراً فقدر "وقالت اليهود عزيزٌ ابن الله معبودنا".

ثم يوضح الجرجاني تفسير هذا قائلاً :انك إذا حكيت عن إنسان أنه قال: (زيدُ بنُ عمر سيد) ثم كذبته فيه لم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيدٌ ابن عمر ولكن أن سيكون سيداً... ثم يتابع قائلاً "وإذا كان الأمر كذلك، كان جعل "الابن" صفة في الآية مؤدياً إلى الأمر العظيم وهو إخراجه عن موضع النفي والإنكار إلى موضع الثبوت والاستقرار، حلّ الله تعالى عن شبه المخلوقين، وعن جميع ما يقول الظالمون، علواً كبيراً"(٣) وعلى ذلك فإن الألف في (ابن) ثبتت لأنه ليس من صفة لما قبله بل خبر قائم بذاته، ولأنه خبر وجب إثبات التنوين في كلمة عزيز وإذا لم تثبت الألف في كلمة (ابن) على اعتبار أنها صفة يحذف التنوين.

---

(١) نفسه. صفحة ٣٧٣ وما بعدها.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) انظر دلائل الإعجاز صفحة ٣٧٥-٣٧٨ بتصرف.

يقول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧): "وإثبات التنوين مع كون "ابن" صفة لا يحسن لأنه مرفوض غير مستعمل وهو الأصل إذا جعلت "ابن" خبراً أثبتَ ألف الوصل في الخط في "ابن" فإذا جعلته صفة لم تثبت الألف في الخط في "ابن" وعزيز على هذا مبتدأ والخبر محذوف تقديره عزيزٌ بن الله نبياً"(١).

ومن الأمثلة على أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن:

١- قوله تعالى "**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** "(٢).

يقول النحاس (ت ٣٣٨هـ) "الذي نعت لربكم وإن شئت كان نعتاً للذي خلقكم وصلح أن يقال نعتٌ للنعت ؛لأن النعت هو المنعوت في المعنى، ويجوز أن يكون منصوباً بيتقون ،ويجوز أن يكون بمعنى أعني ،وأن يكون في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف"(٣).

من خلال قول النحاس نجد أن الاسم الموصول يحتمل:

١- أن يكون في محل نصب نعت (لربكم)
٢- أن يكون في محل نصب نعت لـ (الذي خلقكم)
٣- أن يكون في محل نصب مفعول به للفعل (يتقون)
٤- أن يكون في محل نصب بفعل محذوف تقديره (أعني)
٥- أن يكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار الرسالة، بيروت- لبنان، صفحة ٥٠١.
(٢) البقرة: ٢٢.
(٣) إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، الجزء الأول، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، صفحة ١٤٧.

٦- أن يكون في محل نصب نعت (لربكم) وكأنه يقول: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الخالقكم، والخالق الذي من قبلكم الجاعل لكم الأرض فراشاً[١]"

٧- أن يكون في محل نصب نعت لـ(الذي خلقكم) وفي هذا يقول أبو حيان: (٧٤٥هـ) "ويجوز نصبه على أن يكون نعتاً لقوله (الذي خلقكم) فيكون نعتاً للنعت، ونعت النعت مما يحيل تكرار النعوت، والذي نختاره أن النعت لا يُنعت، بل النعوت كلها راجعة إلى منعوت واحد، إلا إن كان ذلك النعت لا يمكن تبعيته للمنعوت فيكون إذ ذاك نعتاً للنعت الأول نحو قولك يا أيها الفارس ذو الحمة"[٢].

٨- أن يكون في محل نصب مفعول به للفعل (يتقون) يقول الألوسي "يجوز نصبه بيتقون وهو إعراب غث ينزه القرآن عن مثله"[٣] فيصبح التقدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً.

٩- أن يكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني ؛أيّ أنه منصوب على الاختصاص في مدح الذات الإلهية وتعظيمها[٤].

١٠- أن يكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو الذي جعل لكم[٥] وقد

ويقول العكبري (ت ٦١٦هـ) قوله "الذي جعل" هو في موضع نصب بيتقون أو بدل من ربكم أو صفة مكررة أو بإضمار أعني ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار هو الذي"[١].

---

(١) تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ١٨٦.

(٢) تفسير البحر المحيط، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣، صفحة ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) روح المعاني، المجلد الأول، صفحة ١٨٩.

(٤) انظر الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٧٨.

(٥) نفسه، صفحة ٧٨.

وقد رجح ابن عاشور في تفسيره أن يكون الاسم الموصول في محل نصب نعت ثانٍ لربكم ويعلل ذلك بقوله: "لأن مساقها أيّ (الذي جعل) مساق قوله (الذي خلقكم) والمقصود الإيماء إلى سبب آخر لاستحقاقه العبادة وإفراده بها. فإنه أوجب عبادته أنه خالق الناس كلهم أتبع ذلك بصفة أخرى تقتضي عبادتهم إياه وحده وهي نعمه المستمرة عليهم مع ما فيها من دلائل عظيم قدرته فإنه مكن لهم سبل العيش"(٢).

٢- قوله تعالى: "**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**"(٣).

ذلك في موضع رفع أيّ الأمر ذلك فهو خبر الأمر، ويجوز أن يكون في موضع رفع الابتداء وخبره من (أنباء الغيب)(٤).

يحتمل اسم الإشارة وجهين إعرابيين هما:

الأول: في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف وتقدير الكلام أو الأمر ذلك.

الآخر: في محل رفع مبتدأ.

يقول السمين الحلبي في تفسيره: (ت ٧٥٦هـ) "قوله (ذلك من أنباء الغيب) يجوز فيه أوجه:

أحدها: أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك و "من أنباء الغيب" على هذا يجوز أن يكون من تتمة هذا الكلام حالاً من اسم الإشارة، ويجوز أن يكون الوقف على (ذلك) ويكون (من

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، القسم الأول،عيسى البابي الحلبي، صفحة ٣٨.

(٢) التحرير والتنوير، الظاهر بن عاشور، الجزء الأول، صفحة ٣٣١.

(٣) آل عمران: ٤٤.

(٤) إعراب القرآن، النحاس، الجزء الأول، ص٣٣١.

أنباء الغيب) متعلقاً بما بعده وتكون الجملة مَن (نوحيه) إذ ذاك: إمّا مبيّنَة وشارحة للجملة قبلها وإما حالاً.

الثاني: أن يكون ذلك مبتدأ ومن (أنباء الغيب) خبره والجملة من (نوحيه) مستأنفة والضمير في (نوحيه) عائدٌ على الغيب أيّ الأمر والشأن أنّا نوحي إليك الغيب ونعلمك به ونُظهِرك على قصص من تقدمك مع عدم مدراستك لأهل العلم والاختبار ولذلك أتى بالمضارع في (نوحيه) وهذا أحسن من عودِهِ على (ذلك)؛ لأن عودَهُ على الغيب يشمل ما تقدم من القصص وما لم يتقدم منها ولو أعَدَتَه على (ذلك) اختص بما تقدم ومضى.

الثالث: أن يكون (نوحيه) هو الخبر ومن (أبناء الغيب) على وجهيه المتقدمين من كونه حالاً من (ذلك) أو متعلقاً بنوحيه"[(١)].

ويقول الطبري: "ذلك الأخبار التي أخبر لها عباده عن امرأة عمران ،وابنتها مريم، وزكريا وابنه يحيى، وسائر ما قص في الآيات ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك: هذه الأنباء من أبناء الغيب أي من أخبار الغيب"[(٢)].

ويقول النسفي "إن ذلك اسم إشارة إلى ما سيق من قصص أيّ أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي"[(٣)].

---

(١) الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق، أحمد محمد الخرّاط، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، صفحة ١٧٠.

(٢) تفسير الطبري، الجزء الثالث، صفحة ٣١٢.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، محيي الدين ديب، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، صفحة ٢٥٥.

وقد حسّن أبو حيان أن يكون اسم الإشارة ذلك في محل رفع المبتدأ إذ يقول "والأحسن في الإعراب أن يكون ذلك مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره وأن يكون نوحيه جملة مستأنفة[١].

٣- قوله تعالى: "**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا**"[٢].

وكفى بالله الباء زائدة، زيدت لأن المعنى اكتفوا بالله (ولياً) على البيان، وإن شئت على الحال وكذا (وكفى بالله نصيرا)[٣] كلمتا (ولياً) (ونصيراً) تحتملان:

١- النصب على البيان والتفسير "التمييز"

٢- النصب على الحال.

فعلى الاحتمال الأول يكون تفسير قوله تعالى "(وكفى بالله ولياً) أيّ وكفاكم وحسبكم بالله ربكم ولياً يليكم ويلي أموركم بالحياطة لكم والحراسة من أن يستفزكم أعداؤكم عن دينكم أو يصدوكم عن اتباع نبيكم (وكفى بالله نصيراً) أي وحسبكم بالله ناصراً لكم على أعدائكم، وأعداء دينكم وعلى من نعاكم وبغى دينكم"[٤].

وفي الاحتمال الثاني يكون التفسير على أن حال الله كونه ولياً لكم وحال كونه ناصراً لكم "فثقوا بولايته ونصرته ولا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم"[٥].

٤- قوله تعالى: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**"[٦]

يقول النحاس في (الحمدُ)

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، الجزء الثاني، صفحة ٤٧٩.

(٢) النساء: ٤٥.

(٣) إعراب القرآن، النحاس، الجزء الأول: ٤٢٢. وانظر التبيان في إعراب القرآن، العكبري، القسم الأول، صفحة ٣٦٢.

(٤) تفسير الطبري، الجزء الخامس، صفحة ١٤١.

(٥) الكشاف، الزمخشري، الجزء الأول، صفحة ٣٩٦.

(٦) الفاتحة: ١.

"رفع بالابتداء على قول البصريين، وقال الكسائي: (الحمدُ) رفغ بالضمير الذي في الصفة والصفة اللام... وقرأ ابن عيينه ورؤبة بن العجاج (الحمدَ) لله على المصدر وهي لغة قيس والحارث بن أسامة"(١).

اختلف النحاة في إعراب (الحمد) على قولين:

الأول: الحمدُ بالرفع على أنها مبتدأ ولفظ الجلالة خبره فكان التقدير الحمدُ مستحقٌ لله

الثاني: الحمدَ بالنصب على أنها مصدر

يقول البيضاوي: "الحمد هو الثناء الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها... ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدلّ على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه. فقال عليه الصلاة والسلام "الحمدُ رأس الشكر وما شكر الله من لم يحمده"(٢).(٣)

ويقول الزمخشري "الحمدُ نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران، وارتفاع (الحمدُ) بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب... والعدل لها عن النصب إلى الرفع على الابتداء، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره"(٤) وقد تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة على رفع الحمد دون نصبها الذي يؤدي على أن

---

(١) إعراب القرآن، النحاس، الجزء الأول، صفحة ١١٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، مكتبة مصر، ٢٠٠٣، صفحة ٥٣٥.

(٣)تفسير البيضاوي، الجزء الأول، صفحة ٢٧.

(٤) الكشاف، الجزء الأول، صفحة ٢٦.

أن معنى تاليه، كذلك أحمد الله حمداً ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب لكان عندي محيلاً ومستحقاً العقوبة على قراءته إياه، كذلك إذا تعمد قراءته كذلك وهو عالم بخطئه وفساد تأويله[١].

٥- قوله تعالى "فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ"[٢]

يقول النحاس في قوله (محفوظ):

"بالخفض قراءة أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويحيى وحمزة والكسائي وهو المعروف في الحديث والروايات أنه اللوح المحفوظ أيّ المحفوظ من أن يزاد فيه أو ينقص منه مما رسمه الله فيه، وقرأ نافع وابن محيص (في لوحٍ محفوظٌ) بالرفع على أنه نعت لقرآن"[٣]

اختلف النحاة في (محفوظ) على قولين:

الأول: على الخفض، وعلى هذا المعنى قال الطبري "اللوح هو المنعوت بالحفظ والتأويل في لوحٍ محفوظٍ من الزيادة فيه والنقصان منه عما أثبته الله فيه"[٤] والخفض "صفة للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الأشياء"[٥] واللوح يعني "اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح "محفوظٌ" من وصول الشياطين"[٦].

---

(١) تفسير الطبري، الجزء الأول، صفحة ٧١.

(٢) البروج: ٢٢.

(٣) إعراب القرآن، النحاس، الجزء الثالث، صفحة ٦٧١.

(٤) تفسير الطبري، الجزء الثلاثون، صفحة ١٧٠.

(٥) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، الجزء الثامن، صفحة ٤٤١.

(٦) الكشاف، الجزء الرابع، صفحة ٥٥٠.

الثاني: على الرفع وعلى هذا المعنى قال الطبري "محفوظ" رداً على القرآن على أنه من نعته وصفته أيّ بل هو قرآن مجيد محفوظٌ من التغيير والتبديل في لوح"[١].

ويعقب على أنهما قراءتان معروفتان من قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"[٢].

من خلال ما تقدم نلاحظ مدى أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير ومدى ارتباطه به ذلك أن التفسير ضروري لإدراك وفهم معاني آيات القرآن ومقصودها ويتساوى في ذلك مع الإعراب، فهدف الإعراب هدفاً تعبيرياً لفظياً محسوساً عن المعاني النحوية مما يعطيه دوراً هاماً في بيان المعنى وتحقيق فهمه. بل له الدور الأكبر في الفصل بين الكلام المتكافئ والمعنى المختلف فالفاعل والمفعول به لا يمكن لنا أن نفصل بينهما إلا عن طريق الإعراب وخصوصاً إذا تساوت حالة كلٍّ منها في إمكانية عمل الفعل فيه، فاللإعراب دورٌ مهم في أداء المعنى وفهمه أيّ في وظيفة التفاهم؛ "لأن المعاني النحوية جزء أساسي من المعنى العام للكلام فيكون التعبير عنها جزءاً من التعبير عنه"[٣].

- ولا شك- في أن أوثق نص عربي تستند إليه العربية في تقعيد قواعدها هو النص القرآني "وأقوم طريق ليُسلك في الوقوف على معناه ويُتوصل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القراءات المنقولة عن الأئمة الأثبات"[٤].

---

(١) تفسير الطبري، الجزء الثلاثون، صفحة ١٧٠.

(٢) نفسه، صفحة ١٧٠.

(٣) كتاب الإعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة، أحمد حاطوم، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، صفحة ١٩١.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، العكبري، القسم الأول، صفحة ١.

"إذ لولاه ما كان يتسنى لنا أن نفهم معاني القرآن المبين، ولا ندرك مواطن جماله، ومحال بلاغته، وإعجازه، وسائر أوامره ونواهيه ومصادر أحكامه وحلاله وحرامه وآيات وعدّه ووعيده"(١) ليتأتى لنا بعد هذا النص القرآني قراءاته المتعددة إذ إنها من الأصول التي تستند إليها القواعد النحوية. والإعراب من أهم الوسائل التي تعين على ضبطها وفهم مضامينها وفي هذا يقول ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) "فمن حَمَلَةِ القرآن المُعْرِبُ العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات، ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين ومنهم من يُعْرِب ولا يَلْحن ولا علم له بغير ذلك، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذه عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلَّم، لا يعرف الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ولا به بصرٌ بالمعاني يرجع إليه"(٢).

وختاماً ما بوسعنا إلا أن نؤكد أن هذا القرآن يحمل في دفتيه أسراراً وروائع وإعجازاً في ألفاظه وتراكيبه ؛فحريّ بنا أن نقف أمام هذا الإعجاز ونتذوقه بذلك الحس النحوي مظهرين بأن هناك العديد من آيات الكتاب كان للإعراب دورٌ في توجيهها والوقوف على أغراضها ومقاصدها.

---

(١) الإعراب في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥، صفحة ٥١.

(٢) كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، صفحة ٤٥-٤٦.

المبحث الثالث: لمسات بيانيه من القرآن

١ – المتشابه بالتقديم والتأخير:

لم يأت التقديم والتأخير عبثاً في كتاب الله بل جاء ليحمل معه اسراراً بلاغية وجمالية، يحتاج المرء إلى تأمل وتدبر وإعمال للعقل حتى يتمكن من فهم المقصود منه وتبيانه. وقد ورد التقديم والتأخير في كثير من آيات الكتاب.

ذلك أن هذا الكتاب امتاز بدقته في اختيار كلماته، واختيار موضعها الملائم لها، فإن قدم كلمة أو أخرها ففي ذلك حكمة لغوية ترتبط بالسياق العام للآية الكريمة، فتقديم الكلمة وتأخيرها متأتٍ من أهميتها. وقد ذكر الزركشي "أنه أحد الأساليب البلاغية فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق وقد أُختلِف في عده من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ،وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نُقِل كل واحد منهما عن رتبته وحقه والصحيح أنه ليس منه، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع" (١).

أما الجرجاني فيستهل باب التقديم والتأخير بمقدمة بديعية قائلاً: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعةٍ ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويَلطُف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أنه قُدّم فيه شيئ وحول اللفظ من مكان إلى مكان"(٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث، صفحة ٢٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز، صفحة ١٠٦.

قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"(١).

قوله تعالى: "فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"(٢).

يلاحظ تقدم(**الحمد**)على(**الله**) في الآية الأولى وتأخره في الآيه الثانية، وقد ورد تقدم(**الحمد**) على(**الله**) في مواضع متنوعة من القرآن الكريم(٣).

بالعودة إلى سياق سورة الجاثية والنظر في قوله تعالى: "وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ* ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "(٤).

تمثل هذه الآيات الكريمة قمة جحود الكافرين والجزاء المستحق على ذلك، ومع ذكر هذا الجحود نجد أن سورة الجاثية من بدايتها تُظهر لنا نِعم الله التي لا يملك الانسان أمامها إلا حمد الله سبحانه وتعالى.

ومنه قوله تعالى: "إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(٥).

---

(١) الفاتحة: ١.

(٢) الجاثية: ٣٦.

(٣) الأنعام:١،٤٥،الاعراف،٤٣، يونس:١٠،النحل:٧٥،الكهف:١،المؤمنون:٢٨،سبأ:١،فاطر:١،٣٤، الصافات:١٨٢،الزمر:٧٥،٧٤،٢٩،غافر:٦٥،إبراهيم:٣٩،الإسراء:١١١.

(٤) الجاثية: ٣٣-٣٦.

(٥) الجاثية: ٣-٥.

وقوله: " اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(١).

فالسورة الكريمة تقابل بين جحود الكافرين ونعم الله التي لا تحصى، وهذا ما استدعى تقدم لفظ الجلالة على الحمد. ذلك أن عباد الله الصالحين عندما يرون عقاب الكافرين الشديد يخصون الله بالحمد لأنهم آمنوا به وبالتالي لم يشملهم هذا العذاب.

وفي تعليل الغرناطي لهذه الآية نجده يقول:" إن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير أو تأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة في جهة التركيب اللفظي، **بل قد يعرض من جهة المعنى وتقدير الكلام ما يقتضي ذلك ويوجبه، إذا تقرر هذا** فنقول: إن قوله تعالى: فلله الحمد ورد على تقدير الجواب بعد ارغام المكذّب وقصره، ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل عليهم السلام وظهور ما كذب الجاحد به فعند وضوح الأمر كأنه قد قيل: لمن الحمد ومن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك، فقيل:(**فلله الحمد**) ...ثم يعلل مجيئ الحمد لله على الأصل فيقول:" ولما كان الوارد في ام القرآن خطاباً للمؤمنين وتعليماً للمستجيبين مجرداً عما قُصِد في آية الجاثية ومن توبيخ المكذبين ورد على ما قُدِّم من الاكتفاء وكلٌ على ما يجب ويناسب"(٢).

وقد ذكر الدكتور السامراني أن: عبارة(فلله الحمد) " اقتضى فيها المقام تقديم الذات المستحقة للحمد وتخصيصه بها فقد ذكرت سورة الجاثية أصنافاً من الكفار ، وفصلت في ذكر عقائدهم....

---

(١) الجاثية: ١٢-١٣.

(٢) ملاك التأويل: بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل، أبو جعفر أحمد إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق د.محمود كامل أحمد، السفر الأول، دار النهضة-بيروت، صفحة١٠-١٣.

ولم يعترفوا لله بشيء من خصائص الربوبية والألوهية ... وهو المستحق الحمد على وجه الحصر والقصر فقدم الذات الإلهية ، وقصر الحمد عليه لأن المقام يقتضي ذلك ".(١)

قوله تعالى: "**قُل لا أَملِكُ لِنَفسي نَفعًا وَلا ضَرًّا إِلّا ما شاءَ اللَّهُ وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لَاستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ وَما مَسَّنِيَ السّوءُ إِن أَنا إِلّا نَذيرٌ وَبَشيرٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ**"(٢).

وقوله تعالى: "**قُل لا أَملِكُ لِنَفسي ضَرًّا وَلا نَفعًا إِلّا ما شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُم فَلا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ**"(٣).

لنأتي وننظر في الآية الأولى على أن تكون هذه النظرة في عبق سياق الآية فقد قدم الله النفع على الضرر في سورة الأعراف، حيث تلاءم مع سياق الآيات السابقه لها يقول الله: "**مَن يَهدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهتَدي وَمَن يُضلِل فَأُولئِكَ هُمُ الخاسِرونَ**"(٤).

فنجد هنا أن الله قدم الهداية على الضلال فاستحق النفع التقدم على الضرر في الآية اللاحقة، ومن ثم يأتي الله بقوله في ختام هذه الآيه: "**وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لَاستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ وَما مَسَّنِيَ السّوءُ إِن أَنا إِلّا نَذيرٌ وَبَشيرٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ**"(٥).

ليتقدم الخير على السوء.

لنتأمل هذه المعادلة التي بدأها الله بتقديم الهداية على الظلال، فاستحق النفع على الضرر ليؤجر بالخير بدلاً من السوء

---

(١) لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، فاضل صالح السامرائي ،الطبعة الثامنة ، دار عمار ، الأردن ، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م، صفحة ١٩ -٢٠

(٢) الاعراف: ١٨٨.

(٣) يونس: ٤٩.

(٤) الاعراف: ١٧٨.

(٥) الاعراف: ١٨٨.

أما في الآية الثانية، فنجد أن الضر تقدم على النفع لأن السياق جاء يلائم السابق لهذه الآية، إذ يقول تعالى: "وَلَو يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ استِعجالَهُم بِالخَيرِ لَقُضِيَ إِلَيهِم أَجَلُهُم فَنَذَرُ الَّذينَ لا يَرجونَ لِقاءَنا في طُغيانِهِم يَعمَهونَ* وَإِذا مَسَّ الإِنسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنبِهِ أَو قاعِدًا أَو قائِمًا فَلَمّا كَشَفنا عَنهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَم يَدعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلمُسرِفينَ ما كانوا يَعمَلونَ"(١).

ثم تأتي آية لاحقة بهذه الآيات تتمثل بقوله تعالى: "قُل أَرَأَيتُم إِن أَتاكُم عَذابُهُ بَياتًا أَو نَهارًا ماذا يَستَعجِلُ مِنهُ المُجرِمونَ"(٢).

فاقتضى السياق تقديم الضرر على النفع .

يقول الغرناطي في تعليل هاتين الآيتين: " لما تقدم سؤالهم عن الساعه وتكرر في قوله: "يَسأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنها"(٣)،أي عالم بها وكأن ظاهر السياق يشير إلى أنهم كانوا يظنون أنه عليه السلام يعلمها فطلبوا تعريفهم بها وأن يخصهم بذلك. ولا شك أن العلم بالشيئ نفع لصاحبه فعرفهم بأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وتقدم ذكر النفع لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها فأعلمهم أن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلمها، وأنه عليه السلام لا يملك من ذلك شيئاً إلا ما شاءالله له مما عدا علم الساعه ... وأما تأخيره في سورة يونس وتقديم الضر، وللمتقدم قبله من قوله: "وَيَقولونَ مَتى هذَا الوَعدُ"(٤).

فطلبوا هذا العذاب استهانةً وتكذيباً، ولم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة والمضرة العاجلة، فقال لهم رسول الله بأمر من الله تعالى: إني لا أملك الضر ولا النفع لنفسي ولا لكم فلا تستعجلون ذلك فليس بيدي فقدم الضر لأجل ما تقدم من طلبهم إياه"(٥)

---

(١) يونس: ١١-١٢.

(٢) يونس: ٥٠.

(٣) الاعراف: ١٨٧.

(٤) يونس: ٤٨.

(٥) ملاك التأويل السفر الأول، صفحة ٤٥٠-٤٥١.

قوله تعالى: "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لا إِلهَ إِلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعبُدوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ"(١).

وقوله تعالى: "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"(٢).

نرى أن الله سبحانه وتعالى في الآيه الأولى من سورة الأنعام قدم: "**لا إله إلا هو**" وأخّر: "**خالق كل شيئ**" وفي الآية الثانية جاءت الهيئة المعاكسة والسبب في ذلك أن سياق الآية في سورة الأنعام جاء منكراً للشرك داعياً للتوحيد بالله. ودليلنا في ذلك قوله تعالى: "وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفونَ * بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ أَنّى يَكونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تَكُن لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ"(٣).

فقد جاء الكلام متمحورًا حول قضية التوحيد ونفي الشرك ونفي الصاحبة والولد عن نفسه سبحانه عما يصفون، فجاء المقام ملائماً لتقديم كلمة التوحيد: "**لا إله إلا الله**" على "**خالق كل شيئ**"

يقول القرطبي في عرضه للآيات: "وعندئذٍ يبدو الشرك بالله والسياق يواجه الشرك والمشركين بهذا الاستعراض...وكذلك يجيئ في السياق بعد استعراض صفحة الوجود، وانكشاف حقيقة الخلق والانشاء والرزق والكفاله والسلطان الدعوة الى عبادة الله وحده وانفراده بالألوهية وخصائصها"(٤).

نجد أن هذا التقديم لم يكن عبثاً فالقرآن دقيق في وضع الفاظه ورصفها، بعضها بعض بأسلوب لا متناهٍ في دقته وإعجازه مراعياً السياق العام لهذه الآيات.

(١) الأنعام: ١٠٢.

(٢) غافر: ٦٢.

(٣) الانعام: ١٠٠-١٠١.

(٤) في ظلال القرآن، المجلد الثاني، الجزء السابع، صفحة ١١٥٣.

أما في سورة غافر، فقد جاء السياق متحدثاً عن الخلق وعن نعم الله وفضله على الناس، يقول تعالى: "**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**"(١).

يذكر القرطبي قوله: " **ذلكم الله ربكم خالق كل شيئ** ". بيّن الدلاله على وحدانية الله وقدرته"(٢).

ويقول ابن عاشور: " **ذلكم الله ربكم خالق كل شيئ**" اتصل الكلام على دلائل التفرد بالإلهية من قوله: "ذلكم الله ربكم خالق كل شيئ" إلى قوله مخلصين له الدين... اتصال الأدله بالمستدل عليه(٣).

أما الغرناطي فعلل ذلك التقديم والتأخير في قوله: "إن آية الأنعام لما تقدم فيها قوله تعالى: "**وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لَهُ بَنينَ وَبَناتٍ بِغَيرِ عِلمٍ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفونَ *بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ أَنّى يَكونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تَكُن لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ**". (٤)

كان الملائم نفي ما جعلوه وما ادّعوه من الشركاء والصاحبة والولد، فتقدم ما الأمر عليه من وحدانيه سبحانه وتعاليه عن الشركاء والولد فقال: "**لا إله إلا هو**"، وعرف العباد بعد بأن كل ما سواه سبحانه خلقه وملكه فقدم الأهم في الموضع، أما آية غافر فتقدمها قوله تعالى: "**لَخَلْقُ**

---

(١)غافر:٥٧-٦١.

(٢) في ظلال القرآن، الجزء الثامن عشر، صفحة ٣٧٧.

(٣) التحرير والتنوير، المجلد التاسع، الجزء ٢٤، صفحة ١٨٧.

(٤) الأنعام: ١٠٠-١٠١.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ", فلما تقدم ذكر الخلق الأعظم... أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيئ فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهم".[١]

قوله تعالى: "يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ"[٢].

وقوله تعالى:"يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ*وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ"[٣].

في سورة المعارج جاء الوصف لمشهدٍ من مشاهد عذاب يوم القيامة، وذلك حين يرى الإنسان المصير الذي سيؤول إليه، عندها يتمنى لو يستطيع أن يجعل أحداً مكانه حتى لو كان هذا الشخص من أقرب الناس إليه وأعزهم على نفسه؛ لذلك جاء الترتيب على النحو الآتي الابن ثم الزوجة ثم الأخ ثم العشيرة ومن بعدها أهل الأرض.

في واقع الأمر لا يستطيع أحدنا أن ينكر أن ألصق الناس به ولده لذلك ابتدأ الله هذا الترتيب بذكر الابن، فالانسان في هذا المشهد في حالة هلع وجزع وخوف تدفعه إلى التضحية بغيره حتى يستطيع أن يحظى بالنجاة مما هو فيه.

يذكر الطبري: " وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين ثم الصاحبة ثم الأخ اعلاماً منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذٍ من البلاء يفتدي نفسه لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس إليه كان في الدنيا وأقربهم إليه نسباً... ثم يورد حديثاً عن قتاده في تفسيره لهذه الآيات، ويقول فيها: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلكَ اليوم"[٤].

---

(١) ملاك التأول، السفر الأول، صفحة ٣٤١-٣٤٢.وأنظر درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الثاني، صفحة ٥٣٥-٥٣٦

(٢) المعارج: ١١-١٣.

(٣) عبس: ٣٤-٣٦.

(٤) تفسير الطبري، الجزء ٢٩، صفحة٨٨-٨٩.

أما في سورة عبس فالمقام هنا مقام فرار، والإنسان بطبيعته عندما يفر أو يقرر الهروب من أحد يكون هروبه ممن هم بعيدين عنه في المنزلة، وينتهي بالأقربين منهم، فجاء في هذه الآيات الترتيب على نحو تصاعدي إبتدأه الله بالأخ ثم الأُم ثم الأب ثم الزوجة ثم الإبن(١).

والسؤال الآن هو من أقرب على الانسان الأم أم الأب ؟ لعل المنطق يقضي بقرب الأم لما عُرِف عنها من حنانٍ وعطفٍ ورآفه أكثر من الأب، فإذا كان المنطق يقضي بقرب الأم اكثر، فلماذا قدم الأم وهي الأقرب للإنسان من الأب؟

جاء التقديم هنا لأن الفرار من الأم أولى فهي تكون بحاجة إلى المساعدة أكثر من الأب، فسبحان من خلق الانسان وجبله على علمٍ بطبيعتهِ وفكره.

يقول الطبري"إذا جاءت الصاخة في هذا اليوم يفرّ المرء من أخيه، وأمه وأبيه وزوجته في الدنيا، وبنيه، حذراً من مطالبتهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم"(٢) فجاء القرار ممن هم أبعدهم منزلة عنده حتى أقربهم.

من خلال الآيتين السابقتين نخلص إلى معادلة هذا الانسان الذي كان مصيره الهلع والخوف والفرار نتيجة لشدة هول ما يرى، وما بيده لازادٌ ولاقوة تنفعه. حينذاك كانت النتيجة على النحو التالي, الهلع والخوف من المصير تساوي التضحية بالابن، ثم الزوجة، ثم الأخ...الخ

أما الفرار والهرب يساوي الهروب من الأخ, ثم الأم, ثم الأب ثم الزوجه ثم الابن.

ففي سورة المعارج التضحية والافتداء تكون حتى بأقرب الناس إليه وانتماءً بالأبعد.

أما في سورة عبس فالفرار يكون أولى بمن هم أبعدهم عن نفسه وصولاً إلى الأقرب.

---

(١) ينظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، صفحة ١٨٠.

(٢) تفسير الطبري، الجزء الثلاثون، صفحة٧٧.

قوله تعالى:"قُل تَعالَوا أَتلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم أَلّا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم مِن إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُكُم وَإِيّاهُم"(١).

وقوله تعالى: "وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُهُم وَإِيّاكُم"(٢).

في سورة الانعام: كان الخطاب موجهاً للفقراء الذين يعيشون في حاله من الفقر الشديد، ويقتلون أولادهم لأنهم لا يجدون ما يأكلون فيعمدون الى تفضيل قتل أبنائهم على معاناة عدم إيجاد الطعام لهم، وكأن الرزق في أيديهم فنجد أن الله قدم رزق الآباء على الأبناء هنا

في حين جاء تقديم رزق الأبناء على الآباء في سورة الاسراء؛ لأن الخطاب موجه للأغنياء الذين يعيشون في رغد ونعيم ويخشون أن يأتي يوم عليهم يُبَدَل فيه حالهم من الغنى إلى الفقر، أو يخافون أن كثرة عدد أولادهم ستكون سبب تعاستهم، لأن ذلك سيؤثر في ثروتهم الماليه بالتالي سيؤثر في سعادتهم، ولكن كل هذا عبارة عن أمر متوقع يمكن أن يحصل ويمكن أن لا يحصل؛ لذلك قال تعالى: "**خشية املاق**" أي أنهم يخافون من شيئ، قد لا يقع لذا فهم يُقدِمون على قتل أولادهم. ليأتي فصل الله في هذه المسألة ويجعل تقديم رزق الأولاد على الآباء؛ لأن رزق الأولاد هنا هو المطلوب دون رزق الآباء فكان له الأهمية البالغة في التقديم

يقول الالوسي في هذا: "الخطاب في كل أيه لصنف وليس خطاباً واحداً فالمخاطب بقوله سبحانه "**من املاق**" من ابتُلي بالفقر وبقوله "**خشية املاق**" من لا فقر له ولكن يخشى وقوعه في المستقبل

---

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) الاسراء: ٣١.

ولهذا قدم رزقهم فهنا في قوله "**نحن نرزقكم واياهم**" وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية فقيل "**نحن نرزقهم واياكم**"[١] فالتقديم الحاصل في سورة الانعام كان لضمير المخاطب على الغائب وهو ما على الاختيار في كلام العرب في حين قُدم ضمير الغائب على المخاطب في سورة الاسراء فما الذي أوجب هذا؟

يجيب الاسكافي قائلاً: "فأما قوله في سورة الانعام"**نحن نرزقكم واياهم**" فلأن قبله "**ولا تقتلوا أولادكم من املاق**" أي من أجل املاق, وانقطاع مال وزاد وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا الزمتهم مؤونه فكأنه قال:

الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم, ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم واياهم وأما الآية الثانية قال فيها"**خشيه املاق**" والاملاق غير واقع فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم ثم عن القاتلين أيَ لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فالله يرزقهم واياكم" [٢].

<u>٢-المتشابه اللفظي في الحذف والذكر:</u>

لعل ما يؤنس النفس ويلامس القريحة في الحذف قول الامام عبد القاهر الجرجاني وفي وصفه له، فقد ذكر أنه: "باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ ،عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فكأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطْق وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبيّن"[٣]. وهذا القول لا يقلل من شأن الذكر بل إن للذكر دوراً لا يغني الحذف عنه. وللقرآن الكريم نمطه الخاص في التركيب وفي الأساليب البيانية وطرق التعبير.

---

(١) روح المعاني، المجلد الرابع، صفحة٢٩٧.

(٢) درة التنزيل وغزة التأويل، الجزء الثاني، صفحة ٥٦١-٥٦٢.

(٣) دلائل الاعجاز، صفحة ١٤٦.

ومن هذه الأساليب أسلوب الحذف والذكر فقد يذكر الحرف في موطن من الآية ويحذفه في أُخرى وكذلك الكلمة والتركيب.

وأسلوب الذكر والحذف، ليس أسلوباً عشوائياً، وإنما أورده العليّ العظيم في كتابه لحكمةٍ قد ندركها وقد لا ندركها متيقنين أن هذا الحذف لا يُنسب إلى مضمون آيات الذكر الحكيم، بل ينسب إلى تركيب وأسلوب اللغة العربية التي نزل بها هذا الكتاب

ومن أمثلة الحذف والذكر في الآيات المتشابهة قوله تعالى:

١ -"**وَاصبِر وَما صَبرُكَ إِلّا بِاللَّهِ وَلا تَحزَن عَلَيهِم وَلا تَكُ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرونَ**"[١].

وقوله تعالى:"**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**"[٢].

فما بال حرف النون حذف من الآية الأولى "تك" وذكر في الآية الثانية "تكن"

من ناحية الحكم النحوي يجوز حذف نون كان بشرط أن تكون فعلاً مضارعاً مجزوماً بالسكون، ليس بعدها ساكن أو ضمير متصل[٣]

فيجوز حذف النون تخفيفاً. وبالعودة إلى سياق الآيتين نجد أن كلاً منهما يختلف عن الآخر، ذلك أن سياق آية سورة النحل جاء في بيان أحداث غزوة أُحد وفعل المشركين بهم وذلك في قوله تعالى"**وَإِن عاقَبتُم فَعاقِبوا بِمِثلِ ما عوقِبتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَيرٌ لِلصّابِرينَ**"[٤].

يذكر القرطبي أن هذه الآية "نزلت في شأن التمثيل بسيدنا حمزة يوم أُحد"[٥].

---

(١) النحل: ١٢٧.
(٢) النمل: ٧٠.
(٣) التطبيق النحوي، صفحة ١٣٧.
(٤) النحل: ١٢٦.
(٥) الجامع لاحكام القرآن، الجزء الثاني عشر، صفحة ٤٦١.

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى حمزة وما فعل به قال عليه السلام "**لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلاً منهم**"[١].

فأنزل الله تعالى قوله "**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عقوبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**" والناظر بخاتمة هذه الآية يتبين له أن الله جل علا بين أن الصبر خيرٌ من الرد بالمثل، ودليل ذلك الآية اللاحقة لهذه الآية في قوله تعالى:"**واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون**"

والمقصود في ذلك اصبر فما صبرك إلا بتوفيق من الله وقوله "**ولا تك في ضيق**" فقد ذكر الزمخشري "أي لا يضيق صدرك من مكرهم أيّ تخفيف الضيق"[٢].

فحذفت النون هنا لملاءمة السياق, فالله تعالى يخفف ويسلي عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ويواسيه بضرورة الصبر في مثل هذا الوقت فتلاءم حذف النون في تك مع واقع التسلية والتخفيف بل والتخلص من الضيق الذي ألم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما الآية الثانية من سورة النمل فقد جاء سياقها في محاججة المشركين, بإثبات الأدلة والبراهين على قدرة الله ثم يُخْبِر الله رسوله بأن لا يحزن ولا يكن في صدره ضيق لما اختاروه وفعلوه, فدلائل قدرة الله ظاهرة, فلم يأت قوله تعالى "**لا تكن في ضيق**" بغية التصبير كما هو الحال في الآية الأولى بل كان المقصود منها "لاتحزن عليهم, لأنهم لم يتبعوك ولم يُسلموا ولا تكن في حرج من مكرهم وكيدهم ولا تبالِ بذلك فإن الله يعصمك من الناس"[٣].

---

(١) سُنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، عُني بتحقيقه وتصحيحة، عبد الله هاشم يماني المدني، المجلد الثاني، الجزء الرابع، دار المعرفه، بيروت–لبنان، ١٣٨٦هـ–١٩٦٦م، صفحة ١١٨–١١٩.

(٢) الكشاف، الجزء الثاني , الصفحة ٤٧٤.

(٣) الكشاف، الجزء الثالث، صفحة٢٨٨.

٢- قوله تعالى: "وَلَمّا جاءَت رُسُلُنا لوطًا سيءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعًا وَقالَ هذا يَومٌ عَصيبٌ"(١).

وقوله تعالى: وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ"(٢).

حُذفت "أن" من الآية الأولى وذكرت في الثانية ،وقد تحدث النحاة عن زيادة أن وحذفها، منهم ابن هشام إذ يقول : "أنْ" زيادتها تكون في أربعة مواضع : "أحدها وهو الأكثر شيوعاً أن تقع بعد لما التوقيفية، والثاني أن تقع بين لو وفعل القسم، والثالث هو نادر أن تقع بين الكاف ومخفوضها، والرابع بعد إذا"(٣). فالذي جوز ذكرها في الآية الأولى مجيئها بعد لما.

وقد ذكر الغرناطي ت(٧٠٨) في توجيه هاتين الآيتين "أنّ" "أنْ" هذه الخفيفه كثيراً ما تزاد، وزيادتها على ضربين بقياس وغير قياس، فالذي بغير قياس نحو قوله "كأن ظبية تعطو إلى وارف السّلم" فزيدت مع كاف التشبيه بينها وبين مجرورها. وأما التي بقياس فبعد لما. ولما ورد في آية هود قوله تعالى : " ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً". ثم ورد هذا اللفظ بجملته في سورة العنكبوت متكرراً بعينه، ورد أولاً بغير "أنْ" على الأصل وورد ثانياً بزيادة "أنْ" على الثاني ليحصل بين التواردين ما يرفع تثاقل اللفظ المتكرر"(٤).

فقد جاء ذكر "أنّ" في هاتين الآيتين على الوجهين الجائزين بالذكر والحذف.

وأما الاسكافي فيقول في توجيه الآيتين:

"إن اقتران "أنْ" ب "لما" في سورة العنكبوت تكملة لمعناها في نفسها، ليدل بذلك على أنه قد قارن جوابها متصلاً به ما يكملّه ويخلصه لتحقيق أو بطلان، فالتي في سورة العنكبوت قد

(١) هود: ٧٧.
(٢) العنكبوت: ٣٣.
(٣) مغني اللبيب، الجزء الأول، صفحة ٤١.
(٤) ملاك التأويل، السفر الثاني، صفحة٥٢٦-٥٢٧.

اتصل بجوابها وهو "سيئ بهم ذرعاً" ما يكملّه ويخلصّه لبطلان الروع السابق إليه... وفي سورة هود لم يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا عند قوله: **"قالوا يا لوطُ إنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلوا إلَيكَ فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ إلّا امرَأَتَكَ إنَّهُ مُصيبُها ما أَصابَهُم إنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ أَلَيسَ الصُّبحُ بِقَريبٍ"**[١].

وهذا الجواب لم يتصل به اتصال ما يكون من تمامه"[٢]. هذا الكلام يقودنا للذهاب مع الزمخشري في تفسيره هاتين الآيتين وننظر في قوله في آية سورة العنكبوت "أن" صلةٌ أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ،كأنهما وجِدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل لما احسّ بمجيئهم فاجأته المساءه من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعهُ أي طاقته"[٣].

وفي تفسير آية هود "**يقول كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم**"[٤]. من تفسير الزمخشري نجد أنفسنا تذهب في عبق سياق هاتين الآيتين لنصل إلى أن الله جلّ وعلا قال في سورة هود : **"وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ *قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ"**[٥].

في هاتين الآيتين حديث عن سيدنا ابراهيم عندما مرّ عليه الملائكه في هيئة أضياف. حاملين له البشرى، ومخبريه بهلاك قوم لوط، فقد اخبروه بأنهم أُرسِلوا لهلاك قوم لوط فأخذ يدافع لعل الله يهديهم، مذكراً إياهم أن فيها لوطاً. فأخبروه بأن الله سينجي لوطاً إلا إمرأته لأنها كانت

---

(١) هود: ٨١.
(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الثالث، صفحة ١٠٣٠-١٠٣٣ بتصرف.
(٣) الكشاف، الجزء الثالث، صفحة٣٤١.
(٤) نفسه، الجزء الثاني، صفحة٣٠٥.
(٥) العنكبوت: ٣١-٣٢.

تمالي قومها على كفرهم وتتبعهم، ليأتي بعد ذلك قوله تعالى**(ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم....)** فقد دخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رآهم اهتم بأمرهم. إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعه الراهنة فقالوا له لا تخف إنا منجوك وأهلك....." (١).

فالناظر في هذه الآيات يجد أن هناك حديثاً عن مجيئ الملائكة لسيدنا ابراهيم حاملين معه البشرى له والهلاك لقوم لوط وصولاً بدخول الملائكه على سيدنا لوط، وقد جاء هذا الدخول مختصراً بالحديث عن النتائج مباشرة وذلك في قوله تعالى: "**لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**"وكأن ذكر "أنْ" في هذه الآية أحدثت مقاربةً واختصاراً في الزمن فقد اختصرت زمن المجيئ لتتحدث عن النتائج إذ هي أكبر وأهم وأخطر من المجيئ.

وفي سورة هود يقول تعالى: "**وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا إِبراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ *فَلَمّا رَأى أَيدِيَهُم لا تَصِلُ إِلَيهِ نَكِرَهُم وَأَوجَسَ مِنهُم خيفَةً قالوا لا تَخَف إِنّا أُرسِلنا إِلى قَومِ لوطٍ * وَامرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرناها بِإِسحاقَ وَمِن وَراءِ إِسحاقَ يَعقوبَ *قالَت يا وَيلَتى أَأَلِدُ وَأَنا عَجوزٌ وَهذا بَعلي شَيخًا إِنَّ هذا لَشَيءٌ عَجيبٌ * قالوا أَتَعجَبينَ مِن أَمرِ اللَّهِ رَحمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ * فَلَمّا ذَهَبَ عَن إِبراهيمَ الرَّوعُ وَجاءَتهُ البُشرى يُجادِلُنا في قَومِ لوطٍ * إِنَّ إِبراهيمَ لَحَليمٌ أَوّاهٌ مُنيبٌ * يا إِبراهيمُ أَعرِض عَن هذا إِنَّهُ قَد جاءَ أَمرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُم آتيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردودٍ**"(٢).

وصولاً إلى قوله تعالى :"**وَلَمّا جاءَت رُسُلُنا لوطًا سيءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعًا وَقالَ هذا يَومٌ عَصيبٌ**"

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، صفحة ٤١٦-٤١٧.

(٢) هود: ٦٩-٧٦.

فقد جاء حديث الملائكة هنا مع ابراهيم وكيفية تقديم الطعام لهم والبشرى وغير ذلك من الأمور التي حدثت أثناء مجيئ الملائكه إلى إبراهيم عليه السلام ومن ثم توجههم إلى لوط عليه السلام دون ذكر النتائج المترتبة على هذا المجيئ مباشرة فقد تأخرت النتيجة إلى الآية الواحدة والثمانين في قوله تعالى: "قالوا يا لوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلوا إِلَيكَ فَأَسرِ بِأَهلِكَ...."

وخلاصة الأمر في مجيئ "أنْ" في سورة العنكبوت يحمل في طياته اختصار الوقت والزمن الذي ترتب عليه الوصول إلى النتيجة فوراً في حين تأخرت نتائج المجيئ في سورة هود إلى الآيات اللاحقة الأمر الذي سوغ عدم مجيئ "أنْ".

٣-قوله تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ"(١)

وقوله تعالى: "وَقاتِلوهُم حَتّى لا تَكونَ فِتنَةٌ وَيَكونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعمَلونَ بَصيرٌ"(٢).

فما الحكمةفي حذف التوكيد "كله" في الآية الأولى وذكره في الآية الثانية؟

يجيب الخطيب الإسكافي عن هذا قائلاً "إن الآية الأولى من سورة البقرة جاءت في قتال أهل مكة ألا ترى ما قبلها "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ"(٣) وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك وهم نازلوا الحرم فاقتصر على الدين من غير توكيد على معنى حتى يكون الدين، حيث هؤلاء في كل مكان لا في كل البلاد.... وأما في سورة الأنفال فالأمر ورد عاماً في قتال كل الكافرين، ألا ترى أن قبل الآية "قُل لِلَّذينَ كَفَروا إِن يَنتَهوا يُغفَر لَهُم ما قَد سَلَفَ وَإِن يَعودوا فَقَد مَضَت سُنَّتُ الأَوَّلينَ"(٤). وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة فاقتضى هذا أن يكون بعده "**ويكون الدين كله لله**"فأمروا بإبطال كل كفر قدروا عليه"(٥).

---

(١) البقرة: ١٩٣.

(٢) الانفال: ٣٩.

(٣) البقرة: ١٩١.

(٤) الانفال: ٣٨.

(٥) درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الاول، ٣٣١-٣٣٣ وانظر ملاك التأويل، السفر الأول، صفحة ١١٦-١١٨ .

وعليه فالآية الأولى من سورة البقرة تحدثت عن كفار مكة الذين "قاتلوا المسلمين واخرجوهم من ديارهم، والمضي في القتال حتى يقتلوهم على أية حال، وفي أي مكان وجدوهم. باستثناء المسجد الحرام إلا أن يبدا الكفار فيه بالقتال وإلا أن يدخلوا في دين الله، فتُكف أيدي المسلمين عنهم مهما كانوا قد آذوهم من قبل وقاتلوهم وفتنوهم"(١).

أما الآية الثانية من سورة الأنفال فالمقصود بالفتنة هنا الشرك، والمقصود أي "**لما تبين لله أن الكفار إن انتهوا عن الكفر غفر لهم وإن عادوا فهم متوعدون أتبعه بأن أمرهم بقتالهم إذا أصروا فقال "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة**"....ويخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الأديان وإنما يحصل هذا إذا زال الكفر بالكلية"(٢).

في الآية الأولى القتال محصور بأهل مكة وفي الثانية على عموم الكفار فجاء التوكيد ملائماً للسياق، أي إن إثبات هذا الدين وعمومه يعادله زوال الكفر لعمومه.

٤-ومنه قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"(٣).

قوله تعالى: "**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"(٤).

في الآية الثانية ذكر الله قوله "**يخلق ما يشاء**" في حين حذفت من الآية الأولى وسبب ذلك أن هذه الآية جاءت رداً على الكفار الذين قالوا أن عيسى هو الله فردّ عليهم الله بقوله "**فمن يملك من الله شيئاً**" أي من "يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن اراد أن يهلك عيسى ؟واحتج بذلك على فساد عقولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات، ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ويتبعها سبحانه بقوله "**ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيئ قدير**" ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى أنه سبحانه قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل لما خلق السموات والأرض، ومن أصل كخلق ما بينهما فيُنشئ من أصل

(١) في ظلال القرآن، المجلد الأول، صفحة ١٨٩.
(٢) اللباب في علوم الكتاب، الجزء التاسع، صفحة٥١٥.
(٣) آل عمران: ١٨٩.
(٤) المائدة: ١٧.

ليس من جنسه كأدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه، إما من ذكرٍ وحده كما خَلَقَ حواء أو من أنثى وَحْدَها كعيسى أو منهما كسائر الناس"(١).

حيث أن الآية الأولى جاءت تعقيباً للسابق في قوله تعالى: "**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**"(٢).

والمعنى لا تحسب الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون بأن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق، وإظهار الحق بمنجاه من العذاب؛فلله ملك السموات والأرض يملك أمرهم ويقدر على تعذيبهم (٣).

جاء قوله: "**ومابينهما يخلق ما يشاء**" لدحض ذلك الافتراء المزعوم بأن عيسى هو ابن الله فكيف سيكون هو الله والله هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما من البشر والحيوانات فاستدعى الموقف ذكر(وما بينهما يخلق ما يشاء) لبيان تصرف الله في خلقه، أما الآية الاخرى من سورة آل عمران فجاءت لبيان أن الامر والعقوبة بيد الله فنلاحظ كيفية استدعاء السياق للفظ وتركه للفظ في موقف آخر.

٣- <u>المتشابه في التعريف والتنكير :</u>

للقرآن الكريم منهجه في انتقاء الكلمة القرآنية بأبعادها اللغوية والصرفية والدلالية ثم مزجها في سياقها العام

وقد جرى التعبير القرآني على تنكير بعض الألفاظ مرة وتعريفها مرة أخرى.

وقد فصل العلماء (٤) في التعريف والتنكير وتحدثوا فيه ومنهم الزملكاني نجده يقول: "وقد يظن ظان أن المعرفة أجْلىَ فهي من النكرة أولى ويخفي عليهم أن الابهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق، وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص. بخلاف المعرفة فإنها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه"(٥).

(١)تفسير البيضاوي، الجزء الثاني، صفحة ١٢٠، وانظر ملاك التأويل، السفر الأول، صفحة٢٤٥-٢٥٠.

(٢) آل عمران: ١٨٨.

(٣) تفسير البيضاوي، الجزء الثاني، صفحة ٥٤.

(٤) منهم عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز صفحة١٧٧ والزمخشري ،وفي هذا يُنظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري واثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، صفحة٢٤٨ وما بعدها.

(٥) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور أحمد مطلوب، الطبعة الأولى دار احياء التراث الإسلامي، بغداد،١٩٧٤م، صفحة١٣٦.

وقد تحدث عن أقسام المعرفة فقال: "وأما أقسام المعرفة فخمسة وأعرفها المضمر، ثم العلم، ثم اسم الاشارة ،والموصول، ثم المعرف بالألف واللام، ثم المضاف إلى واحد منها أضافة معنوية لا تحقيقية.

وكما تتفاوت المعارف في مراتب التعريف فكذلك النكرات في مراتب التنكير وكلما ازدادت النكرة عموماً زادت إبهاماً في الوضع"(١).

هذا الأمر يتطلب منا استقراء لبعض نصوص كتاب الله لنتبين من خلالها دلالات التعريف والتنكير نحويةً كانت أم بلاغية ومن ذلك قوله تعالى:

١- "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"(٢).

وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"(٣).

وقوله تعالى: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"(٤).

جاءت كلمة "الحق" في الآية الأولى من سورة البقرة معرفةً، في حين جاءت في الآية الثانية والثالثة من سورة آل عمران نكرة.

يقول الخطيب الاسكافي: "أن الجواب عن ذلك أن الآية الأولى في سورة البقرة خبر عن قوم عُرفوا وعرفت أفعالهم ومضت أزمنتهم وأحوالهم، فلما اشتهروا شُهِر فعلهم بوقوعه منهم... والمعنى أنهم كانوا يقتلونهم من غير أن يقع منهم ما يوجب عليهم القتل عندهم وفي دينهم، والموضع الثاني الذي نُكر فيه "حق" هو خبر عن قومٍ يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به، وقد جاء قوله تعالى: "إن

---

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ،الزملكاني، صفحة١٣٣.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) آل عمران: ٢١.

(٤) آل عمران: ١١٢.

الذين يكفرون" ولم يقلْ "**إن الذين كفروا**" فلما لم تكن هذه الحال واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة التي جُعلت خبراً عن قوم مضوا على هذه الأفعال فقال فيهم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"(١).

وأما قوله تعالى: "**ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله ....**" فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي فقال "**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**" فكان خبراً عن اعتقادهم لأنه لا يجوز أن يعاقبوا وتضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم فيصيرون مثل الأولين الذين أخبر عنهم بقوله: "**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين**". فاختير لفظ المعرفة في القصة التي وقع التهديد مقارناً لها ليمنع من وقوعها.

وعليه فسياق آية سورة البقرة يختلف عن سياق سورة آل عمران فسورة البقرة جاءت تتحدث عن قوم عُرفوا وعرفت أفعالهم ومضى زمانهم فلم يشهدوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وكَفِر فسم كبير منهم بعد تعريفهم بنعم الله.

وأما آيتا سورة آل عمران فهما خبر عن قوم عاصروا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وشهدوا الآيات والبراهين، وبالرغم من ذلك أصروا على الكفر ؛لذلك جاءت كلمة الحق معرفة في سورة البقرة لأنها تحمل في داخلها دلالة على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغر الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعوا إلى القتل معلوم ودليلنا في ذلك سياق الآية نفسها فقد جمع الله الذله والمسكنة وغضبه عليهم.

في حين جاءت كلمة حق في سورة آل عمران نكرة عامة والقصد من هذه النكرة الزيادة في ذمهم، وتشنيع موقفهم وفعلهم؛ لأن التنكير معناه أنهم قتلوا الانبياء بغير سبب اصلاً يدعو الى القتل وغيره؛ لذلك جاءت كلمة حق نكرة للزيادة في ذمهم ،ويؤكد هذا السياق الآية في قوله: "وضربت عليهم الذله والمسكنة أين ما ثقفوا" فجعلها بقوله اينما ثقفوا.

وهذا يعني ان لفظه "الحق" في سورة البقرة تدل على جنس الحق أو على الحق المعهود والذي أَذِن أن تُقْتَل به النفس: من قتل النفس المؤمنة عمداً ،ومن قتل المرتد، وقتل المحصن على الشروط والتفصيلات المعروفه عند أهل الفقه،فقد كانوا يقتلون الأنبياء من غير أن يقع منهم ما يوجب عليهم القتل في دينهم ولكن هذا الفريق وإن وُصِف بالكفر والاعتداء والمجاهرة بالباطل وغيره إلا أنهم ليسوا كيحيى بن أخطب وأشباهه من المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم"(٢).

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الاول، صفحة٢٤٦–٢٤٩ وانظر ملاك التأويل، السفر الاول صفحة ٧٠ وما بعدها .

(٢) ملاك التأويل، السفر الاول، صفحة ٧٢.

والذي في سورة آل عمران إخبار عن قوم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن قتل الأنبياء من أكبر الموبقات في معتقدهم ودينهم، ومع ذلك يقتلونهم بغير سبب ولا شبهه وذلك اوغل في ذمهم والتشنيع عليهم والتوبيخ لهم على سوء حالهم لأنهم ارتكبوا هذا الجرم عامدين يعلمون أنهم يخالفون ما شرّع الله لهم في كتبهم"[١].

وبالتالي فتنكير كلمة الحق أبلغ في التشنيع عليهم من التعريف؛ لأن فيه ابهام يحمل في داخله دلالة الذنب الذي اقترفوه من قتلهم للأنبياء.

٢-قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**"[٢].

وقوله تعالى: "**وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ اجعَل هذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ**"[٣].

يقول الخطيب الإسكافي للسائل أن يسأل فيقول: لم كان في سورة البقرة "بلداً" نكرة وفي سورة إبراهيم معرفة؟

ثم يقول والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال إن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جُعل بلداً آمناً فكأنه قال ربّ اجعل هذا الوادي بلداً آمناً؛ لأن الله تعالى حكى عنه أنه قال، "**رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ**"[٤] ووجه الكلام فيه تنكير "بلد" الذي هو مفعول ثانٍ وهذا مفعول أول.

والدعوة الثانية وقعت وقد جُعِلَ الوادي بلداً، فكأنه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ومصرّته كما سألت، آمنا على من أوى إليه ولاذ به فيكون "البلد" على هذا عطف بيان.

والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلداً، وانما طُلِب من الله تعالى أن يجعله آمناً وللقائل أن يقول إجعل ولدك هذا ولداً أديباً وهو ليس يأمره بأن يجعله ولداً لأن ذلك ليس إليه وإنما أمره بتأديبه....ثم يقول كذلك قوله تعالى "**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا**"[٥]

---

(١) أنظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مشهور مشاهرة، صفحة ١٣٣.
(٢) البقرة: ١٢٦.
(٣) ابراهيم: ٣٥.
(٤) ابراهيم: ٣٧.
(٥) البقرة: ١٢٦.

ويجوز أن يكون المراد اجعل هذا البلد بلداً آمناً فيدعو له بالأمن بعد ما قد صار بلداً.

ويكون مثل قوله " **رَبِّ اجعَل هذَا البَلَدَ آمِنًا**"(١) وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله تعالى عنها في الموضعين(٢).

يرى أبو السعود ت(٩٥١) أن قوله تعالى في سورة البقرة "**اجعل هذا بلداً آمنا**" اي ذا أمن كعيشة راضية أو آمناً أهله أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة.

ويرى في تعريفها في سورة ابراهيم أن السبب فيه هو تعدد السؤال؛ لأن سيدنا ابراهيم سأل الله البلد والآمن فاستجيب له واحد، وتأخر الثاني ثم كرر السؤال وكان المسؤول أولاً وهو البلديه ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب الى ذلك وثانياً الأمن المعهود الذي تستمر به الحياه"(٣).

وعليه يرى أبو السعود أن تنكير كلمة بلد في سورة البقرة كان نتيجةً للمسؤول وهو الأمن المصحح للسكن وللنماء أي الاطمئنان لهذا المكان حتى يصبح مكاناً مهيأ ومناسباً للبناء والسكن وعرفت كلمة البلد في سورة ابراهيم لأن الامن المطلوب هو الأمن المعهود الذي تستمر به الحياه وتطمئن به النفس وتقر له العين.

وبهذا يكون هذا الكتاب كتاباً بلاغياً معجزاً أودعه الله بين أيدينا بأساليب متنوعه ومختلفه تصلح لكل زمان ومكان، فقد جاء ليعالج كافة الأمور الإنسانية في شتى مواقف الحياة الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية علاجاً حكيماً واضعاً لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة ببلاغة وألوان بيانية تُذهِل النفس البشرية امام هذا الصنيع.

والحمدلله رب العالمين.

---

(١) ابراهيم: ٣٥.

(٢) انظر درة التنزيل وغرة التأويل، الجزء الأول، صفحة ٢٨٢-٢٨٦.

(٣) انظر ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن لكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، الجزء الأول، دار احياء التراث العربي بيروت-لبنان، صفحة ١٥٨

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة التي عشت فيها مع كتاب الله دراسةً وتحليلاً وتمثيلاً للظواهر التي طرقتها يمكنني أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها وهي:

*إن مناقشات العلماء الطويلة في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية حول ظواهر التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، وغيرها لهو اعتراف يقيني بأن هذا القرآن العظيم معجزٌ في كل آياته وسوره وأنه كتاب محكم لا ترادف فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

*إن هذه المناقشات، وما قدمه العلماء من تعليل لهذه الظواهر البيانية، يكشف أن القرآن يصور الحياة الإنسانية والنفس البشرية في كل أحوالها. فالحذف والذكر للكلمة نفسها في مواضع مختلفة، والتعريف والتنكير، أو التقديم والتأخير إن هو إلا كشفٌ عن خلجات النفس البشرية في المواقف المختلفة، ولما كانت النفس البشرية قائمة إلى آخر الحياة، فإن النفوس على مرّ الأيام تشعر بأن القرآن يخاطبها في التفاصيل الدقيقة من أفكارها ومشاعرها، وهكذا يكون القرآن جديداً دائما، كما قال الامام النورسي، كلما شاب الزمن شب القرآن.

*دلت الدراسة على أن القرآن الكريم، وبالرغم من مئات الدراسات التي كتبت حوله قديماً وحديثاً ما زال بحاجة الى الكثير من الدراسات البيانية التي تختص بفكرة واحدة من كشوف القرآن الكريم كأن تقوم دراسة مثلاً عن:

- الحذف والذكر في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية.
- التعريف والتنكير في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية.
- ذكر الأنبياء في القرآن الكريم، منهجه ودلالاته.
- الآيات المتكررة في القرآن الكريم بالنص الواحد دراسة لغوية بيانية.
- النفس الأنسانية، أنواعها وأعمالها في السياق القرآني.
- إعجاز القرآن الكريم بيانه في الدراسات الحديثة، نماذج وشواهد.

*إن القرآن الكريم نص واحد متكامل وهو ما زال بحاجةٍ إلى تحقيق هذه الفكرة حتى تغدو واضحة كالشمس لدى كل أنسان وحبذا لو تخصصت دراسة مستقلة عن أقوال العلماء قديماً وحديثاً عن هذه الفكرة.

*أن (نحو القرآن الكريم يدل دلالة قاطعة على أن البيان القرآني سبق الدراسات كلها في اعتماد دراسة النص المتكاملة لا الجملة الواحدة وهذا هو لبّ ما قامت عليه الدراسات النصية المعاصرة.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرشاني، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢. أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن دراسة تطبقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء، هديل محمد عطية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣. أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسةنظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالاً، محمود سلمان حسن الهواوشة، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩م.

٥. الإحالة في النص القرآني، ياسين فوزي أحمد بني ياسين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦. أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين احمد ياسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الطنية، نابلس – فلسطين.

٧. أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨. ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٩. الإرشاد إلى علم الأعراب، محمد بن أحمد عبد اللطيف القريشي الكبيشي "شمس الدين"، تحقيق يحيى مراد، حقوق الطبع محفوظة تبعاً للقوانين الملكية الفكرية.

١٠. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعةالثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

١١.أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان - الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١١. الأسلوبية، تحليل الخطاب، منذر عياشي، دار المحبة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

١٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي، مطبعة المدني، ١٩٦٧م.

١٣. الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٨٤م.

١٤. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ٢٠٠٩م.

١٥. إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، الطبعة الأولى، مطبعة الإسلام، ١٣١٥هـ.

١٦. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٧. الإعراب في القرآن الكريم، سامح عاطف الزين، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات الانباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠. أهداف الاعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، الدكتور عبد القادر بن عبد الرحمن السعدي، جامعة الشارقة، الشبكة المعلوماتية.

٢١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الأولى، نهر الخير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٢. الإيضاح في الترادف، محمود سليم هياجنة، دار البيارق، عمان، ٢٠٠١م.

٢٣. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، مكتبة العروبة.

٢٤. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٢٥. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاوي، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث الاسلامي، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، ١١٣٤هـ - ١٩٩٢م.

٢٨. بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٩٨١م.

٢٩. بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي.
٣١. البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، الطبعة التاسعة، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٢. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٣. بناء الجملة الفعلية في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد الرحيم رضوان، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.
٣٤. البنية الاحالية في ديوان قصائد مغضوب عليها لنزار قباني، بوباكر بوترعة، رسالة ماجستير، جامع الحاج الخضر، الجزائر ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.
٣٥. البنية النصية لقصة موسى، رضوان حبيب كياني، رسالة كتوراة، الجامعة الإسلامية، باكستان، ٢٠١١م.
٣٦. البيان القرآني، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٣٧. البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان – الأردن، ١٩٨٩م.
٣٨. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
٣٩. تاريخ آدب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثانية، مطبعة الإستقامة، مصر ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
٤٠. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي.

٤١. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان، المعتصم بالله ظاهر بن صالح بن احمد الجزائري، الطبعة الأولى، مطبعة المنار، مصر، ١٣٣٤هـ.

٤٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون – تونس.

٤٣. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٤. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٥. التطبيق النحوي، عبده الراجحي، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان – الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٤٦. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، عودة أبو عودة، الطبعة الثانية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

٤٧. تفسير البحر المحيط، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، تحقيق الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٨. تفسير الطبري، جامع البيان، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد محمود شاكر.

٤٩. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الغداء اسماعيل بن كثير، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٠. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥١. التقديم والتأخير في آيات القرآن، المتشابه لفظاً دراسة لغوية ودلالية، سرهد طه حميد، رسالة ماجستير، العلوم الإسلامية العالمية ،٢٠١١-٢٠١٢م.

٥٢. التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى جواد فضل حمد الوداعي، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

٥٣. تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٥٤. تنبيه الألباب على فضائل الأعراب، أبو بكر محمد بن عبد الملك النحوي إبن السراج السفريني، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحموز، الطبعة الأولى، دار عمار، الأردن، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٥. تهذيب اللغة، أبو منصور بن أحمد الأزهري، تحقيق رياض زكي قاسم، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٦. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاليني، الطبعة الثامنة والعشرون، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٥٧. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنه وآي القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد مكي بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرساله، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٨. جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مذاري، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٩م.

٥٩. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٦٠. الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، معارف الإسكندرية، ١٩٨٤.

٦١. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم.

٦٢. الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً، فتحي عبد الفتاح الدجي، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٣. الجملة بين النحو المعاني، محمد طاهر الحمصي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق.

٦٤. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، أ"بو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني، مكتبة القاهرة.

٦٥. الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٦٦. الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة استقرائية على الجمل والمفردات، منصور محمود حسن أبو زينه، رسالة ماجستير، الجامعة الاردني، ٢٠٠٢م.

٦٧. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم إبراهيم المرطعنى، مكتبة وهبه، القاهرة.

٦٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

٦٩. الخطاب العقلي في القرآن الكريم دراسة في علم تحليل الخطاب، فريال القضاه، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، دبي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٠. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة" خلود إبراهيم سلامة العموش، رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية، ١٩٩٨م.

٧١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروفه بالسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٢. الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، فاضل صالح السامرائي، دار النضير، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٧٣. دراسات في فقه اللغة، صبيحي الصالح، الطبعة الثانية، المكتبة الأهلية، بيروت – لبنان.

٧٤. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البينة والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٩م.

٧٥. دراسات للأسلوب القرآن الكريم، محمد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

٧٦. دراسة بيانية في الأسلوب القرآني، تعبير القرآن، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثامنة، دار عمار، الأردن، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

٧٧. دراسة في النص والنص المترابط من النصية إلى التفاعلية، لبيبة الخمار، الشبكة المعلوماتية، daifi.montadarab.com.

٧٨. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٩. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

٨٠. دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، الطبعة الأولى، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان – الأردن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨١. دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، قرأ وعلق عليه محمود شاكر، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨٢. الدوافع النفسية، مصطفى فهمي، الطبعة الرابعة، دار مصر، ١٩٦٠م.

٨٣. دور الكلمة في اللغة استيفين أولمان، ترجمة الدكتور كما بشر، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، ١٩٦٢م.

٨٤. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف العبيدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٨٦. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٧. سنن الدار قطني علي بن عمر الدار قطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٨٨. السياق القرآني في تفسير أبو السعو العمادي، روان فوزي مفضي الحديد، رسالة ماجستير، الجامعه الأردنية، ٢٠١٠م.

٨٩. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، أربد – الأردن، ٢٠٠٥م.

٩٠. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩١. السياق والمعنى عند الإمام أبو حامد الغزالي في ضوء علم اللغه الحديث، سالم محمد (المقبل الحاج) الخوالدة، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٩.

٩٢. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩١٧م.

٩٣. شرح إبن عقيل على ألفية إبن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٤. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي يعيش، عالم الكتب، بيروت.

٩٥. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أبو هاجر محم السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٩٦. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي، تحقيق محمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٩٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه وطبعه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٨. صلاح الوجوه والنظائر، هارون بن موسى، تحقيق صالح الضامن، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٨م.

٩٩. ظاهرة الإقتصاد اللغوي في القرآن الصغير والحذف أنموذجين، نواف عبد الكريم إبراهيم غرايبة، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك،٢٠٠٥.

١٠٠. العلاقات النصية في القرآن الكريم، مصطفى أحمد عبد العليم، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، الشبكة المعلوماتية www.almaktbh.com.

١٠١. علم أصول الفقه، عبد الوهاب حلاف، الطبعة الاولى، الزهراء للنشر والتوزيع.

١٠٢. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، مكتبة العروبة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠٣. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، الطبعة الأولى، دار قباء، ١٤٣١م.

١٠٤. علم اللغه العام، فردينان دي سوسير، ترجمة الدكتور يوئيل عزيز، الطبعة الثالثة، دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.
١٠٥. علم النص، جوليا كريستيفيا، ترجمة فريد الناهي، الدار البيضاء، المغرب.
١٠٦. علم لغة النص المفاهيم والأتجاهات، سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان – بيروت، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م.
١٠٧. عيار الشعر، محمد أحمد بن طبابا العلوي، تحقيق عبد الستار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٠٨. غذاء الالباب في شرح منظومة الآداب، الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، مطبعة لنجاح، مصر، ١٣٢٤هـ.
١٠٩. الفاصلة القرآنية شكلاً وبلاغة، عمار توفيق بدوي، الطبعة الأولى، أكاديمية القاسمي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١١٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء.
١١١. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١١٢. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
١١٣. فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١١٤. فقه اللغات السامية كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١١٥. فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، وزارة التربية والتعليم، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

١١٦. فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم الملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

١١٧. فقه اللغه، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة.

١١٨. فواتح سور القرآن، حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١١٩. في أصول النحو، سعيد الأفغاني، الطبعة الثالثة، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

١٢٠. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٤م.

١٢١. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الرابعة والثلاثون، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٢. في نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، مجلة المجاهد، عدد ١٤٢٤.

١٢٣. فيض الحنان في علوم القرآن، مصطفى رجب، المكتب المصري، ٢٠٠٠م.

١٢٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، الطبعة الثانية، مكتبة مصر، ٢٠٠٣م.

١٢٥. قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، الطبعة الثالثة، دار النفائس، الأردن، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م.

١٢٦. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصة آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٢٧. كتاب الأعراب محاولة جديدة لاكتناه الظاهرة، أحمد حاطوم، الطبعة الثانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٨. كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيقه، دار المعارف، مصر.

١٢٩. الكتاب، أبو بشر بن عثمان بن قنبر"سيبويه" تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت.

١٣٠. الكشاف عن الحقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠١٢م.

١٣١. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين جماعة، تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف، الطبعة الأولى، مكتبة دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٣٢. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق رمضان عبد التواب، الطبعة الرابعة، دار الرسالة، بيروت – لبنان.

١٣٣. الكلمات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية، أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٣٤. اللباب في علوم الكتاب ،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣٥. لسان العرب، ابن منظور، الطبعة السابعة، دار صادر، بيروت، ٢٠١١.

١٣٦. لسانيات النص مدخل إلى أنسجام الخطاب، محمد خطابي، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م.

١٣٧. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثامنة، دار عمار الأردن١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٣٨. ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، اعتنى به عبد العزيز الميميني، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٣٩. مباحث علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٤٠. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار بن احمد الهمذاني، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة.

١٤١. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوة بلاغية، مشهور موسى مشهور مشاهرة، رسالة الدتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.

١٤٢. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية، محمد بن راشد البركة، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود، السعودية، ١٤٢٦هـ.

١٤٣. المتشابه في القرآن الكريم مفهومه وأسبابه وحكمته، طه عابدين، الشبكة المعلوماتيه : Uqu.edu.sa/files٢/I 'tiny/pof٦.

١٤٤. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الاثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطيعة الباني الحلوي، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

١٤٥. مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤٦. محاضرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، الطبعة الأولى، دار النفائس، عمان – الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد الله الأنصاري والسيد عبد العلي ابراهيم ومحمد الشافعي العناني، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٤٨. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم دراسات لغوية، إبراهيم مصطفى نمارنه، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٤٩. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وأثرهما في الاختلاف العقيدي، أحمد بن سعيد بن خلفة البوسعيدي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٥٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النفسي، تحقيق يوسف علي بديوي ومحي الدين ديب، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٥١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية.

١٥٢. مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء العكبري، تحقيق الدكتور عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب القاهرة، ١١٤٦هـ

١٥٣. المصطلحاب القرآنية ما اتفق لفظه واختلف معناه، كمال المويل، الشبكة المعلوماتية: www.sunag.net.

١٥٤. معالم في الطريق، السيد قطب، الطبعة السادسة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥٥. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الطبعة الأولى، ١٩٥٥، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، عالم الكتب، بيروت.

١٥٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن الصيوطي، تحقيق محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

١٥٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت لبنان.

١٥٨. معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، الطبعة الرابعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠١م.

١٥٩. معرفة تأويل المتشابه، عبد الله أبو السعود بدر، دار ابن الحزم، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٦٠. مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب، إبن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦١. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق عبد الحميد الهمذاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٢. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعوف بالراغب الاصفهاني، أعده للنشر واشرف على الطبع الدكتور محمد أحمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية

١٦٣. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦٤. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

١٦٥. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٩٩.

١٦٦. ملاك التأويل بذويي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي فيآية التنزيل، أبو جعفر احمد ابراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق محمود كامل احمد، دار النهضة، بيروت.

١٦٧. من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض.

١٦٨. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٦٦م.

١٦٩. من النص الى النص الترابط مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، سعيد يقطين، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، المغرب - الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

١٧٠. منهج ابن العربي في تفسير احكام القرآن، منصور بن فضيل كافي، الطبعة الأولى، دار حامد، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٧١. المهارات الأساسية في الفتوى الكتابية، داوود الشوابكة ومصطفى الفار، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان – الأردن، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٧٢. الموافقات في أصول الشريعه، أبو اسحق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، بقلم الشيخ عبد الله دراز، الأزهر الشريف.

١٧٣. نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلح، مجلة فصول، الهيئة العامة ، القاهرة، ١٩٩١م.

١٧٤. نحو النص إتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٧٥. نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، عمان – إربد، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.نحو النص بين الاصاله والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية.

١٧٦. نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، الأردن – إربد، ٢٠٠٤م.

١٧٧. النحو الوافي، عباس حسن، الطبعة الخامسة، دار المعارك مصر.

١٧٨. النحو وكتب التفسير، إبراهيم عب الله رفيده، الطبعه الأولى، منشورات المنشأه الشعبية الجماهيرية الليبية، ١٩٨٠م

١٧٩. نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، الطبعة الاولى، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٣م.

١٨٠. النص والاسلوبية، بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العربي، ٢٠٠٠م.

١٨١. النص والخطاب والأجراء، روبرت دي يوجراند، ترجمة تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٨٢. نظام الارتباط زالربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الطبعة الأولى، لبنان – بيروت، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م.

١٨٣. نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة، ١٩٩١.

١٨٤. النظام النحوي في اللغة العربية، ياسر الملاح، الطبعة الثانية، دار البيرق العربي، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٨٥. نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، حسن خميس الملاح، الطبعة الأولى، دار الشروق، ٢٠٠٠م.

١٨٦. نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح محمود، الطبعة الأولى، دار وائل، عمان – الأردن، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٨٧. النظرية الشعرية، جون كوين، ترجمة أحمد درويش، دار غريب، ٢٠٠٠م.

١٨٨. نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، أحمد مكي الانصاري، الطبعة الأولى، دار القبلة، ١٤٠٥هـ.

١٨٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمرالبقاعي، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٩٠. هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، أبو الحسن علي بن محمد المخاوي، تحقيق عبد القادر الخطيب الحسيني، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان.

١٩١. الوافية في شرح الكافية، ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف العلوي، الأستزابادي، تحقيق عبد الحافظ شلبي، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٩٢. وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- المراجع الأجنبية:

Hallidy and R.Hassan.cohesion in English, longman,London,١٩٧٦.